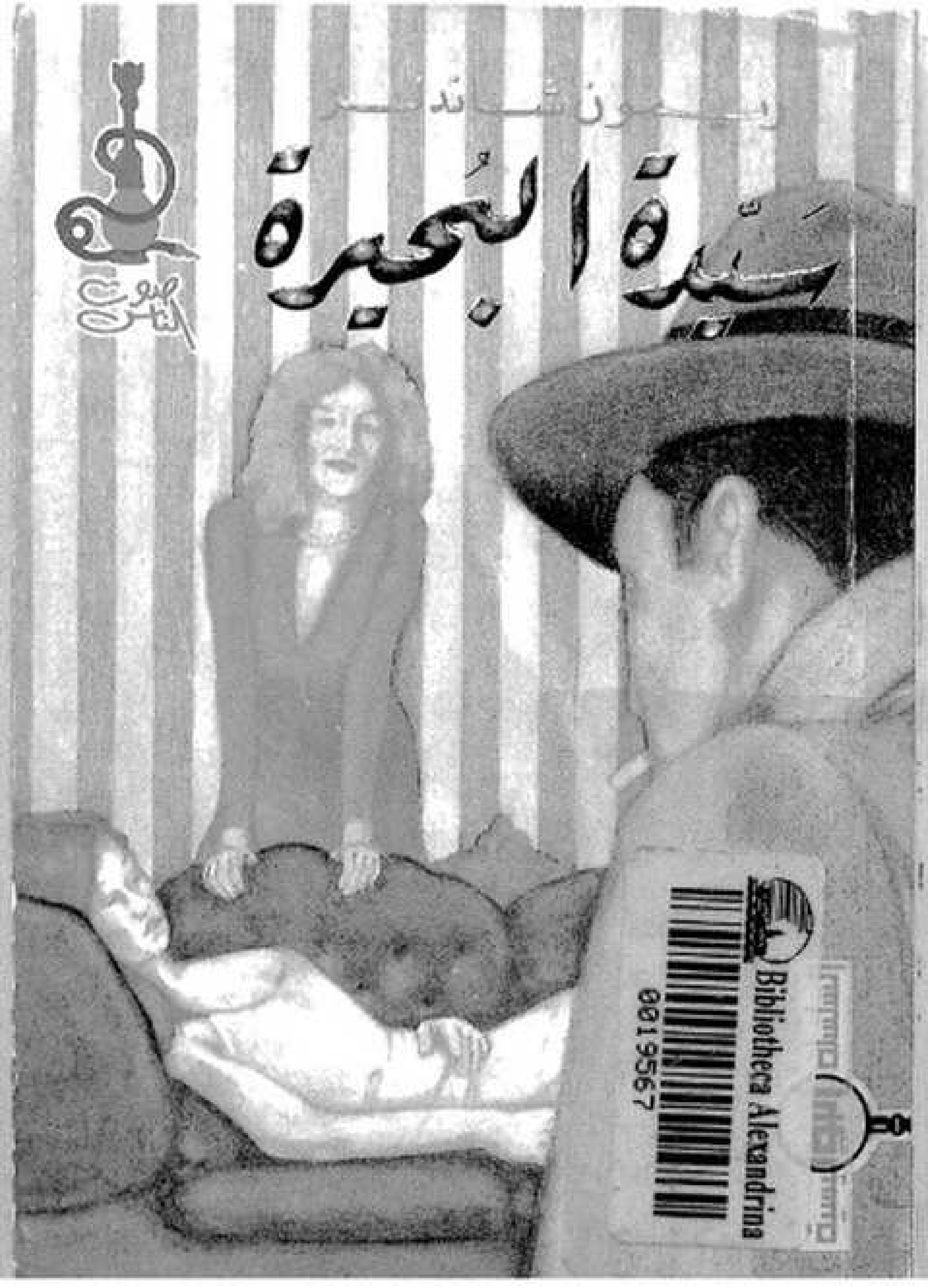
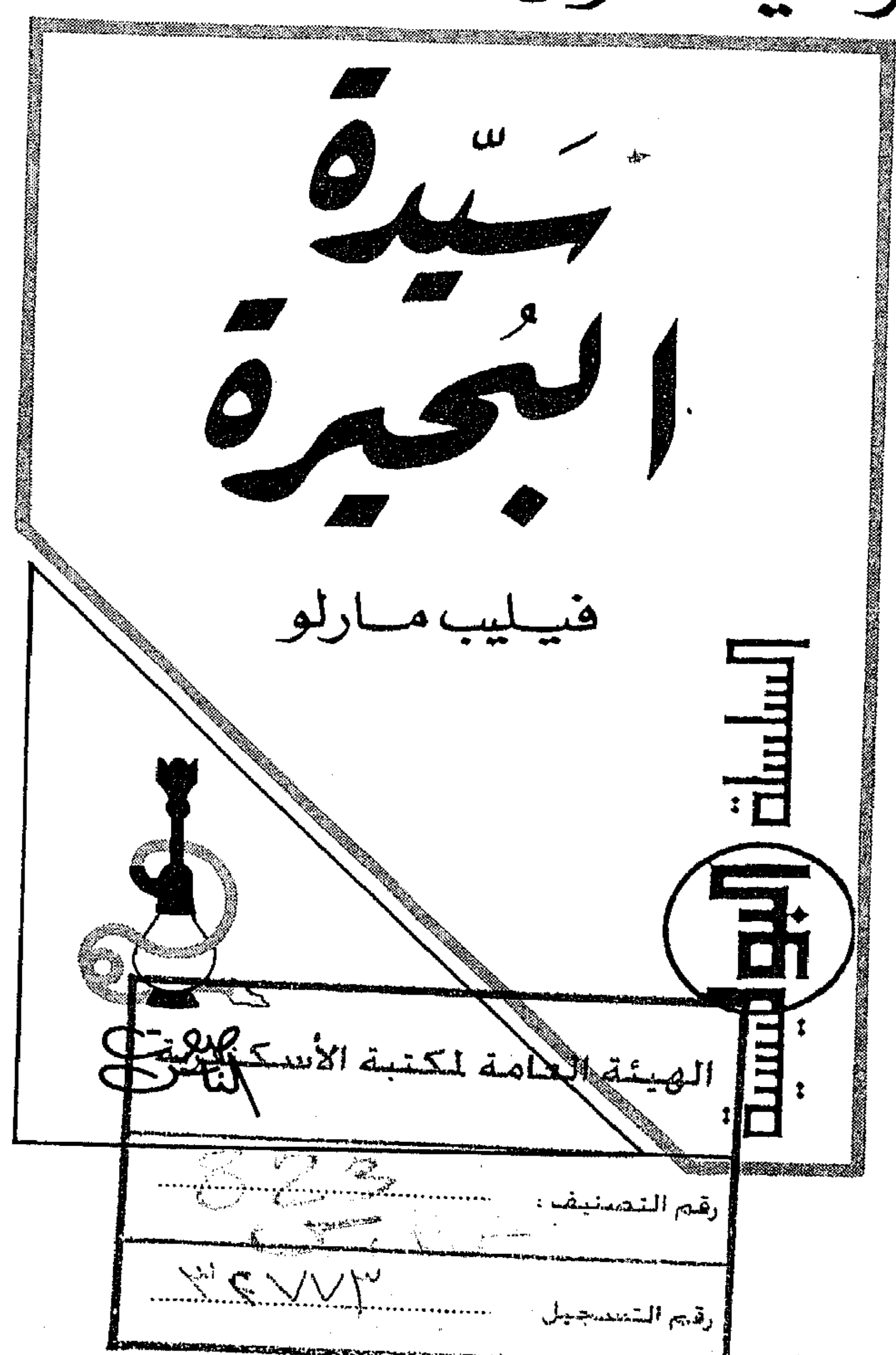

سيدة البحيرة

سيّدة البحيرة

ريمون شاندلر



THE LADY IN THE LAKE

by

RAYMOND CHANDLER

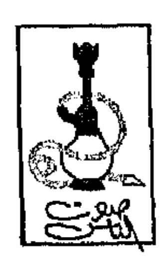
ترجمة

سمية فلّو عبود

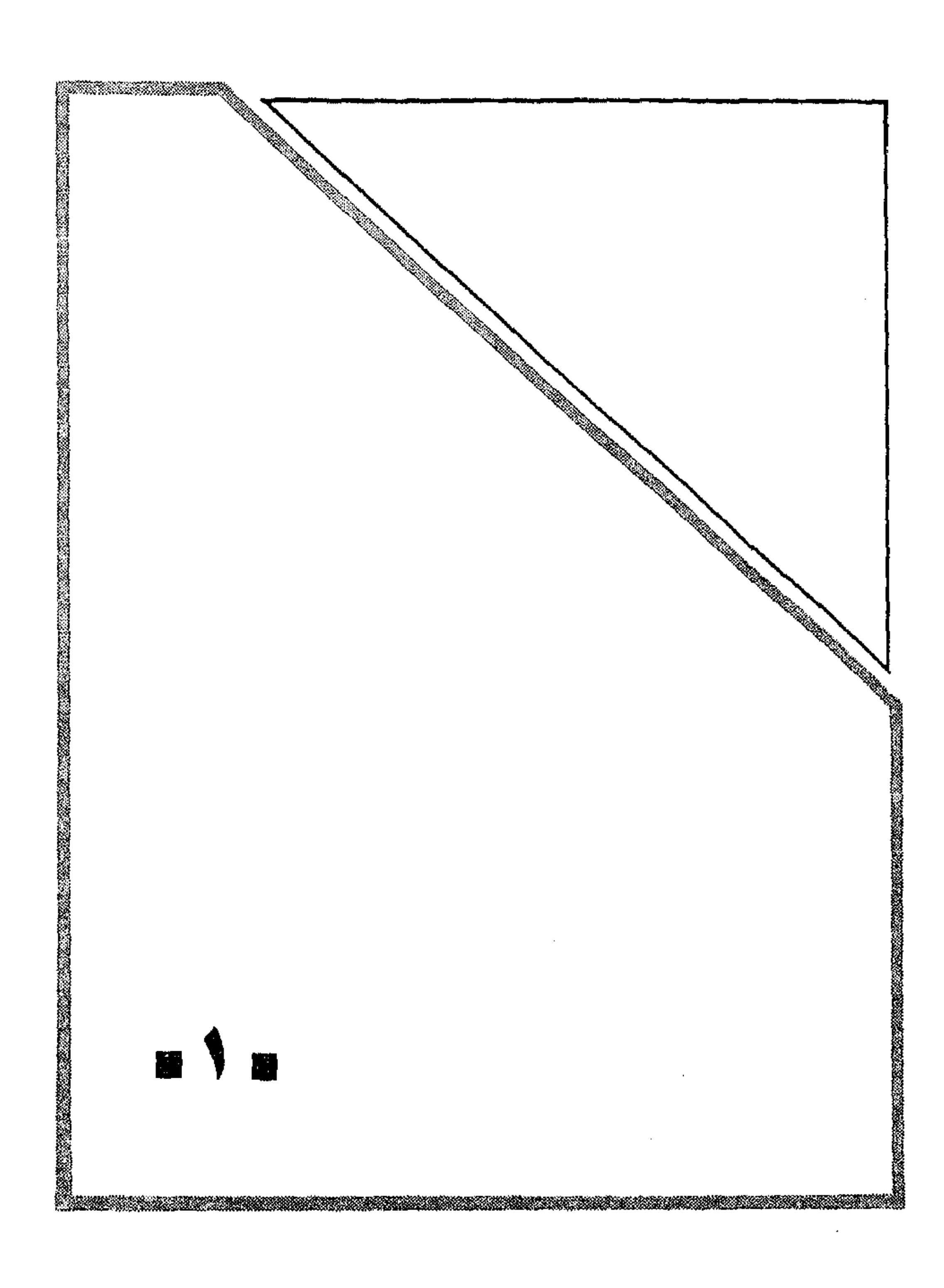
ARABIC EDITION 1993

P.O.Box:7038 - Limassol
CYPRUS
P.O.Box:113/5796 -Beirut
LEBANON

ISBN 1-85513-164-1



الطبعة الأولى: تموز/يوليو ١٩٩٣
الغلاف: تصميم رملة شماعة
رسوم شيڤورن كوريغان


■ ١ ■

مبنى «تريلور» كان، ولايزال، قائماً في شارع «أوليفر»، بالقرب من المنطقة السادسة، على الضفة الغربية. كان الرصيف أمامه مُشيّداً بوحدات بيضاء وسوداء من المطاط، يقومون الآن بانتزاعها للتبرع بها إلى الحكومة. وقد وقف رجل حاسر الرأس، شاحب الوجه، يبدو كأنه مراقب بناء، يشرف بانتباه على العمل الدائر ويحدّق كأن ما يحدث يحطّم قلبه.

مررت بالقرب منه وأنا أعبر رواقاً مقنطراً فيه صف من المتاجر المتخصصة حتى دخلت في ردهة رحبة سوداء وذهبية. شركة جيلرلاين في الطابق السابع، في واجهة الممر، خلف باب زجاجي له إطار مكسو بالبلاتين. يغطي أرض غرفة الانتظار سجاد صيني؛ جدرانها فضية باهتة وأثاثها له زوايا بارزة لكنه وُضع بشكل مدروس، في أرجائها توزّعت منصات تحمل منحوتات تجريدية حادة الأطراف ولماعة، وفي إحدى الزوايا خزانة مثلثة الشكل عُرضت فيها قطع فنية أخرى. في تلك الخزانة رفوف ومدرجات وأماكن عرض منعزلة ونتوءات من زجاج المرايا اللماع كانت تضم كل ما هو معروف حتى اليوم من أشكال القوارير الفاخرة والعلب. هناك علب الكريم الذي يستخدم للتجميل وعلب لمختلف أنواع المساحيق

والصابون والكولونيا لكل فصل ولكل مناسبة. وهناك عطور في قوارير صغيرة ألوانها فاتحة وعليها عُقد جذابة من الساتان تشبه فتيات صغيرات يتعلمن الرقص. وأفضل منتوجات الشركة كان معروضاً بكمية ضئيلة وفي قارورة صغيرة وبسيطة، كهرمانيّة اللون. احتلت الزجاجة وسط الخزانة على مستوى النظر، وقد خُصص لها متسع من المكان، وتحمل اسم «جيلرلاين ريغال، شمبانيا العطور». من المؤكد انها تحوي العطر الذي ينبغي إقتناؤه. نقطة واحدة منه في تجويف حنجرتك، سيدتي، وتبدأ اللآلئ القرنفلية اللون تنهمر عليك كأنها أمطار الصيف.

فتاة شقراء صغيرة ومرتّبة جلست في زاوية بعيدة إلى طاولة عادية، وراء حاجز وعلى مسافة تحميها من الزائرين. وإلى مكتب عريض وُضع بجانب الباب جلست شابة جميلة، طويلة ونحيلة القوام، لها شعر أسود واسمها، كما هو مُدوّن على اللوحة المعدنية المنقوشة أمامها على الطاولة، الآنسة «أدريان فرومسيت».

كانت ترتدي بذلة عمل رمادية وقميصاً أزرق تحت السترة وتلفّ رقبتها برباط عنق فاتح اللون. في الجيب العالي لسترتها بدت أطراف المحرمة المطوية حادة كأنها تصلح لتقطيع الخبز. يزيّن معصمها سوار معدني لا تحمل حلية غيره. فرقت شعرها الداكن وتركته ينساب في تموجات حرة ومصففة. بشرتها ناعمة، عاجية اللون، ولها حاجبان قاسيان إلى حد ما، وعينان سوداوان واسعتان تبدوان كأنهما قابلتان لأن تصبحا مفعمتين بالدفء في الوقت المناسب وفي المكان المناسب.

وضعت أمامها بطاقتي العادية، تلك التي لا تحمل صورة

البندقية الرشاشة في زاويتها، وقلت لها انني أرغب في رؤية السيد «ديراس كينغسلي».

نظرت إلى البطاقة وسألتني: هل عندك موعد معه؟

ـ لا، ليس عندي موعد .

ـ من الصعب ان تقابل السيد كينغسلي بدون موعد .

لا أستطيع مجادلتها في هذه المسألة.

ـ ما هي طبيعة مهمتك يا سيد مارلو؟.

ـ ذات طابع شخصي.

ـ حسناً ، هل يعرفك السيد كينغسلي، يا سيد مارلو؟».

ـ لا أعتقد ذلك. قد يكون سمع اسمي. قولي له انني من طرف الملازم ماغي.

وضعت بطاقتي بجانب كومة من الأوراق التي طبعت عليها مؤخراً اسم المؤسسة وعنوانها. أسندت ظهرها إلى الكرسي ووضعت ذراعها على الطاولة وأخذت تدقّ عليها بخفة بواسطة قلم ذهبي صغير.

ابتسمت لها ابتسامة عريضة. كانت الشقراء الصغيرة، التي تجلس خلف الحاجز، تدير نحونا أذناً صاغية ورسمت على ثغرها ابتسامة رقيقة. بدت لعوباً ومتلهفة، لكنها ليست واثقة من نفسها تماماً، كقطة جديدة في بيت لا يهتم سكانه كثيراً بالقطط.

قلت: آمل ان يكون قد سمع بإسمي. ولكن من الأفضل ان نسأله لكي نعرف ذلك.

انصرفت إلى كتابة ثلاث رسائل على عجل، كي لا ترمي بعلبة الأقلام في وجهي. ثم قالت دون ان تنظر إليَّ:

ـ السيد كينغسلي في اجتماع. سأعرض عليه بطاقتك حين تسنح لي الفرصة بذلك.

شكرتها وتوجهت للجلوس في مقعد من معدن «الكروم» والجلد كان مريحاً أكثر بكثير مما يبدو عليه. مضى الوقت والصمت يسيطر على المشهد. لا أحد دخل أو خرج. يد الآنسة فرومسييت الرشيقة كانت تمر فوق أوراقها، وشكوى القطة الجالسة وراء الحاجز كانت خافتة ولكنها مسموعة في بعض الأوقات، هذا إلى جانب طقطقة التوصيلات الكهربائية الخفيفة التي كانت تظهر ثم تختفي.

أشعلت سيجارة وقرّبت مني منفضة وضعت على قاعدة. الدقائق تسير على أطراف أصابعها، وتضع أصابع يديها على شفاهها. سرّحت نظري في المكان. لا يمكن التكهن بالوضع السائد من تجهيزات كهذه. قد تكون هذه الشركة تربح الملايين، وربما يكون «الشريف» في الغرفة الخلفية يسند كرسيه إلى الخزنة.

نصف ساعة مضت أشعلت فيها ثلاث أو أربع سجائر قبل ان يفتح باب خلف مكتب الآنسة فرومسييت ويخرج منه رجلان يديران ظهريهما إلينا وهما يضحكان. وقف رجل ثالث يفتح لهما الباب ويساعدهما في الضحك. تصافح الجميع بحرارة وتقدم الرجلان عبر الغرفة ثم خرجا. الرجل الثالث مسح الابتسامة عن وجهه وبدا كأنه لم يبتسم في حياته من قبل. كان طويل القامة يرتدي بذلة رمادية ولا يكترث للأمور الصغيرة.

سأل بصوت آمر وحاد: هل هناك اتصالات؟

قالت الآنسة فرومسيت بهدوء: هناك السيد مارلو الذي يرغب في مقابلتك. من طرف الملازم ماغي. إنه مكلف بمهمة شخصية.

رد الرجل الطويل بصوت عال: لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

تناول بطاقتي دون ان يلتفت نحوي ثم عاد إلى غرفة مكتبه. انغلق باب الغرفة المزوّد بدفاش آلي مصدراً صوتاً خافتاً.

ابتسمت لي الآنسة فرومسيت ابتسامة لطيفة وحزينة وأنا رددتها لها بنظرة خبيثة. تناولت سيجارة أخرى ومر مزيد من الوقت. وأخذني المزيد من الإعجاب بشركة جيلرلاين.

بعد عشر دقائق انفتح الباب نفسه ثانية وخرج الرجل الكبير وهو يعتمر قبعته وقال بصوت صادر من خياشيمه انه ذاهب ليقص شعره. مشى على السجادة الصينية بخطوات رياضية ناشطة واجتاز حوالي نصف المسافة التي تفصله عن باب الغرفة ثم التفت بحدّة وتراجع إلى حيث كنت أجلس.

سألني بصوت مرتفع: هل تريد مقابلتي؟

كان طوله حوالي ستة أقدام وانشين، وليس في شكله ما يدل على النعومة. عيناه رماديتان بلون الحجر وفيهما نقاط من الضوء البارد. كان يرتدي بأناقة بذلة من قماش «الفلانيلّة» الرمادي الناعم والمخطط بخطوط بيضاء رفيعة، سلوكه يدل على انه رجل صعب المراس.

وقفت وقلت: أرغب في رؤيتك إذا كنت السيد ديراس كينغسلي.

ـ ومَنْ كنت تحسبني؟

لم أجبه وقدمت له بطاقتي الثانية، تلك التي تحمل نوع عملي. تناولها وحدّق فيها عابساً.

سألني بصوت حاد: مَنْ هو ماغي؟

- إنه مجرد شخص أعرفه.

- هذا رائع. والتفت نحو الآنسة فرومسيت. لقد أعجبها جوابي. أعجبها جداً. هل لديك شيء آخر تضيفه حوله؟.

قلت: حسناً، إنهم يطلقون عليه اسم ماغي البنفسجي، لأنه يتناول أقراصاً للحنجرة لها رائحة البنفسج. هو رجل ضخم وشعره فضي أملس، وفمه صغير وناعم يصلح لتقبيل وجنات الأطفال. حين رأيته آخر مرة كان يرتدي بذلة زرقاء مرتبة، وينتعل حذاء بنيّاً عريضاً، ويعتمر قبعة «هامبورغية» رمادية، وكان يدخن غليوناً قصيراً.

رد كينغسلي بصوت عالٍ قد يكسر جوزة برازيلية:

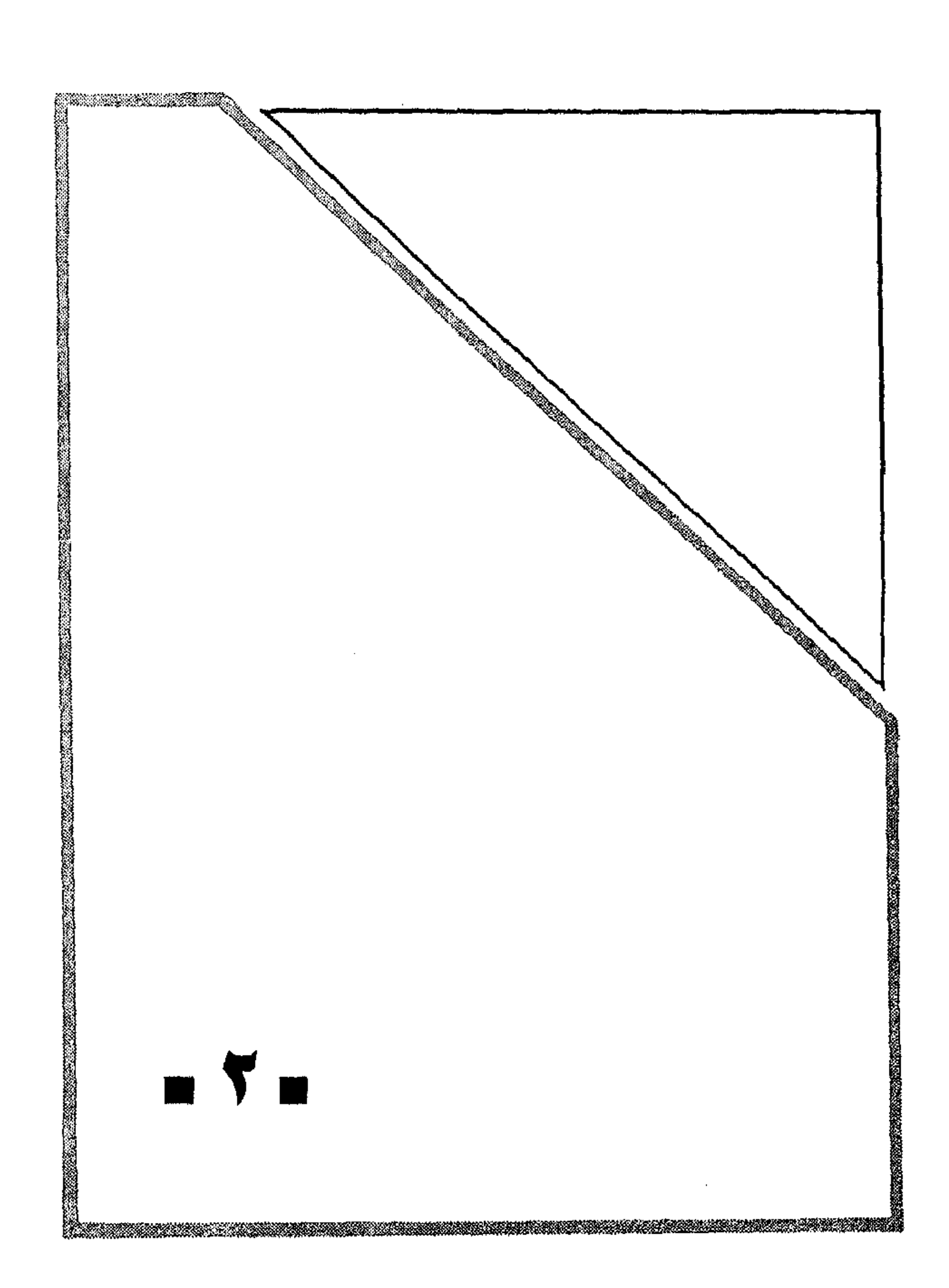
- أسلوبك لا يعجبني.

- قلت له: لا بأس، لست في صدد بيعه.

تراجع إلى الخلف كأنني قرّبت من أنفه سمكة اصطيدت منذ اسبوع، ثم التفت نحوي وقال بتعالٍ:

- سأعطيك ثلاث دقائق بالتحديد. والله وحده يعلم لماذا أفعل ذلك!؟

اجتاز بغضب السجادة مروراً بمكتب الآنسة فرومسيت حتى وصل إلى باب مكتبه. ففتحه بعنف وتركه ينغلق في وجهي. الآنسة فرومسيت أعجبها تصرفه هو أيضاً، لكنني تصورت ان عينيها كانتا تتكتمان على ضحكة ماكرة.


■ ٢ ■

غرفـة المكتب الخـاصة كانت تماماً كما يجب ان تكون غرفة مثلها. كانت طويلة ومعتمة قليلاً وهادئة وهواؤها مكيّف وستائرها المعدنية الرمادية نصف مغلقة لكي تحجب أشعة شهر تموز/يوليو السـاطعة. الأثاث الرمادي كان متناسب مع السجاد. في الزاوية خزنة كبيرة سوداء وفضية في أسفلها صفّ من الصناديق لتوضيب الملفات يتناسب معها تماماً.

على الجدار صورة ضخمة باهتة اللون لرجل كهل له أنف بارز وشاربان ممتدان على خديه وقبة قميصه عالية. تفاحة آدم التي كانت تظهـر من وراء القبـة تبدو أصلب من ذقن انسان عادي. وتحت الصورة لوحة كتب عليها: «السيد ماثيو جيلرلاين، ١٨٦٠ ـ ١٩٣٤.

انتقل ديراس كينغسلي برشاقة ليقف خلف الطاولة المخصصة له كمدير للمؤسسة والتي تساوي حوالي ثمانمائة دولار، وارتاح في مقعـده الجلدي العـالي الظهـر. تناول سيجار «باناتيلا» الطويل والرفيـع من علبـة النحاس وخشب «الماهوغاني»، وقلّم طرفه، ثم أشعله بقـدّاحـة نحـاسية مكوّرة، أخذ وقتاً طويلاً في تنفيذ هذه

العملية. إنه لا يهتم للوقت، ولا يبالي بتضييع وقتي. عندما انتهى أسند ظهره ونفخ قليلاً من الدخان وقال:

ـ أنا رجل أعمال، لا أبدد وقتي بدون طائل. تقول البطاقة انك مفتش لديك ترخيص رسمي. أرني ما يثبت ذلك.

تناولت محفظتي وأعطيته الأوراق التي تثبت ذلك. نظر إليها ثم رماها لي عبر الطاولة. وقعت الرخصة المغلّفة على الأرض. لم يحاول حتى الاعتذار.

قال: أنا لا أعرف ماغي، بل أعرف «الشريف بيترسون» طلبت منه ان يسمي لي رجلاً كفوءاً للقيام بمهمة خاصة. أعتقد انك أنت ذلك الرجل.

قلت: ماغي يعمل في فرع هوليوود تحت رعاية مكتب الشريف. تستطيع التثبت من ذلك.

ـ ليس هذا ضرورياً. أعتقد إنك الشخص المناسب، لكن يجب ألّا تكون ميّالاً للتقلب. وتذكر جيداً ان الرجل الذي أستخدمه يصبح واحداً من رجالي، وعليه ان ينفذ جميع ما أطلبه منه وان يحافظ على صمته، وإلّا فإنه يُسرح في الحال. هل هذا واضح؟ أرجو ألّا تعتبرني قاسياً.

قلت له: ولِمَ لا نترك الرد على هذا مؤجلاً في الوقت الحاضر؟

عبس وقال بحدة: ما هو الأجر الذي تطلبه؟

ـ خمسة وعشرون في اليوم بالإضافة إلى المصاريف وثمانية سنتات في الميل الواحد للسيارة.

قال: هذا مرفوض. إنه كثير جداً. خمسة عشر دولاراً في اليوم

الواحد كافية. انه أجر وفير. سأدفع لك بدل النقل، ضمن المعقول، كما هو مُتعارف عليه اليوم. لكن لا مجال للتنزّه بالسيارة.

نفخت ببطء في الهواء فتصاعدت سحابة صغيرة رمادية من دخان سيجارتي دفعتها بيدي. لم أقل شيئاً. بدا مدهوشاً إلى حد ما لأنني لم أقل شيئاً.

انحنى على الطاولة وقال وهو يشير إليَّ بسيجاره: ـ أنا لم أكلّفك بالقيام بالمهمة بعد، لكن إذا فعلت يجب ان تعلم ان العمل سري للغاية. لا مجال للتحدث عنه مع رفاقك. هل هذا مفهوم؟

ـ قل لي، ما هو العمل الذي ترغب في تنفيذه يا سيد كينغسلي؟.

ـ وماذا يهمك في ذلك؟ أنت تقوم بكل أنواع الأعمال التي تختص بالتفتيش، أليس كذلك؟.

ـ ليس كل الأعمال. الأعمال الشريفة منها فقط.

حدّق فيَّ بهدوء وقد شدّ على فكيه. وفي عينيه الرماديتين نظرة مبهمة.

قلت: أولاً أنا لا أقوم بمهمات الهدف منها الحصول على الطلاق. مع انني أتلقى عروضاً بمئة دولار في اليوم، من غرباء.

قال بصوت فيه نبرة ناعمة مفاجئة: حسناً، حسناً، حسناً، حسناً.

قلت: أما بالنسبة لقسوتك معي، فإن معظم الزبائن يستهلّون التعامل معي إما بالنواح أو بالصياح والتوبيخ لتحديد مَنْ هو صاحب الأمر!؟ لكنهم عادة يصبحون أكثر تعقّلاً ـ هذا إذا ظلّوا على قيد الحياة.

ردّد بصوت ناعم: حسناً،حسناً وتابع يقول وهو يحدق فيّ: هل تخسر عادة عدداً كبيراً منهم؟

قلت: لا يحدث ذلك إلّا إذا لم يعاملونـي كما ينبغي.

قال لي: تفضل وخذ سيجاراً.

أخذت سيجاراً ووضعته في جيبي.

قال: أريدك ان تجد زوجتي. إنها مفقودة منذ شهر.

قلت: حسناً. سأجد لك زوجتك.

ضرب طاولته بيديه معاً، وحدّق فيّ بصلابة قائلاً: أعتقـد أنك ستنجح في ذلك، ثم ابتسم وأضـاف: لم يسبق لي أن أحسست بإهانة مماثلة منذ أربع سنوات.

لم أقل شيئاً.

قال: اللعنة عـلى كل شيء. كنت فـرحاً بـرحيلها. كنت فـرحاً للغاية. مرّر يده في خصلات شعره الأسـود الكثيف وقال: مضى شهر بكامله على رحيلها من كوخ نملكه في منطقة جبلية، بالقرب من بحيرة بوما. هل تعرفها؟

قلت له انني أعرفها.

قال: كوخنا يبعد ثلاثة كيلومترات عن القرية التي تقع على ضفة البحـيرة، وتصـل إليـه بطريق خاصة. وقد شيّدناه بجوار بحيرة صغيرة خاصة هي بحيرة فون. ثلاثة أشخاص يتشاركون في هذه الملكية. أنا أمتلك تلك الأرض مع اثنين آخرين. انها كبيرة جداً لكنها تحتاج للعناية ولن يتم استصلاحها قبل فترة، بالطبع. كل منا له كوخه الخشبي، وهناك رجل يدعى بيل تشيس يعيش مع زوجته في كوخ صغير ويتولى حراسة المكان. إنه جندي فقد الأهلية ويتقاضى

معاشاً تقاعدياً. هذا كل شيء عن تلك المنطقة. قصدت زوجتي كوخنا في أواسط شهر أيار/مايو، وعادت إلى البيت لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مرتين متتاليتين، وكنت أتوقع حضورها في الثاني عشر من حزيران/يونيو لحضور حفلة لكنها لم تأت. ولم أرها منذ ذلك التاريخ.

سألته: وماذا فعلت بهذا الصدد؟

لا شيء - لا شيء. حتى انني لم أذهب إلى هناك.

وصمت قليلاً ليفسح لي المجال لكي أسأله عن السبب.

سألته: ولماذا؟

دفع بكرسيه إلى الوراء لكي يفتح درجاً مغلقاً. تناول منه ورقة مطوية وناولني إياها. إنها برقية بريدية مرسلة من «أل باسو» في الرابع عشر من شهر حزيران/ يونيو عند الساعة التاسعة وتسع عشرة دقيقة صباحاً، كانت مرسلة إلى ديراس كينغسلي، ٩٦٥ «كارسون درايف»، «بيفرلي هيلز» وتنص البرقية على الآتي:

اجتزت الحدود لأحصل على طلاق في المكسيك، (ستوب) سأتزوج «كريس» (ستوب) حظاً سعيداً ووداعاً كريستال.

وضعت البرقية على الطاولة فيما كان يناولني صورة كبيرة وواضحة على ورق مصقول لرجل وامرأة يجلسان على الرمل تحت مظلّة شاطىء. الرجل يرتدي بنطلوناً رياضياً قصيراً، والسيدة ترتدي بذلة سباحة تشبه جلد القِرش وتكشف بجرأة عن جسمها. كانت شقراء نحيلة، شابة وحسنة المظهر، ومبتسمة. الرجل كان وسيماً وقوياً وجذاباً، شعره أسود وأملس وأسنانه بيضاء. طوله حوالى ستة اقدام، وهو نموذج

للرجل الذي يهدم البيوت العامرة. كان يضم ذراعيه إلى صدره، ويولي كلّ اهتمامه لوسامة وجهه، وهو يحمل في يده نظارتين سوداوين ويبتسم لآلة التصوير ابتسامة متقنة وسهلة الأداء لرجل مثله.

قال كينغسلي: هذه هي كريستال. وهذا كريس لايفري. تستطيع ان تأخذه وان يأخذها وان يذهبا معاً إلى الجحيم.

وضعت الصورة على البرقية وسألته: حسناً؛ ما الموضوع؟

قال لي: لا يوجد هاتف في الكوخ الجبلي، ولم يكن هناك أي حدث مهم يستدعي الاتصال بها. لذلك فأنا لم أفكر في أية مسألة قبل وصول البرقية. والبرقية لم تفاجئني كثيراً. علاقتي بكريستال شبه منتهية منذ سنوات. إنها تعيش حياتها، وأنا أعيش حياتي. لديها رصيد كبير من المال، حوالي عشرين ألفاً في السنة تحصل عليها من مؤسسة تملكها عائلتها تقوم باستثمار آبار نفط في تكساس. كريس امرأة عابثة وكنت أعرف ان لايفري هو أحد أصدقائها. أعترف انني اندهشت لأنها تزوجته فعلاً، فهذا الرجل احترف مطاردة النساء. لكن كل شيء بدا لي مقبولاً حتى الآن، هل تفهم ما أعني؟

ـ وماذا بعد؟

ـ لا جديد سوى ان المسؤول في فندق بريسكوت في سان برناردينو اتصل بي منذ اسبوعين وأخبرني ان سيارة مسجلة باسم كريستال كينغسلي وعلى عنواني موجودة في مرآب الفندق منذ فترة وسأل عما يمكنهم القيام به. طلبت منه ان يحتفظ بها وأرسلت له الشيك بالمبلغ المطلوب. لم يكن في ذلك أيضاً ما يثير القلق.

تصورت انها لاتزال خارج تلك المقاطعة وانها قد تكون في سيارة

لايفري هذا إذا افترضنا انهما استخدما السيارة للسفر. ولكنني التقيت بلايفـري منذ يومين أمام النادي الرياضي الذي يقع عند ناصية هذا الشارع، وقال لي انه لا يعرف أين هـي كريستال.

نظر إليَّ كينغسلي بسرعة وتناول زجاجة شراب ووضع كأسين على الطاولة، قدم لي كأساً ورفع كأسه قليلاً وتابع يقول ببطء:

ـ قال لايفري انه لم يسافر معها، ولم يلتق بها منذ شهرين، ولم يتصل بها خلال تلك الفترة.

قلت: وهل صدقته؟

أحنى رأســه قليــلاً وجرع كل ما في الكأس ثم وضعه جانباً. تجرّعت القليل بدوري؛ لم يكن شراباً من النوع الجيد.

قال كينغسلي: تسألني إذا كنت قد صدقته... ربما كنت مخطئاً لأنني فعلت ذلك ـ أنا لم أصدقه لأنه رجل يوحي بالثقة، فهو أبعد ما يكون عن ذلك. صدقته لأنه سافل وابن زنا يعتبر ان استدراج زوجات الأصدقاء انجاز لا يخلو من البراعة ويفاخر به، وأعتقد انه كان يتمنّى لو يقول لي علانية انه أقنع زوجتي بالفرار معه والتخلي عني. إنني أعـرف هذا الصنف من الرجـال، وأعرفه هو بالذات معرفة جيدة لأنه عمل عندنا لفترة وكان يتورّط في أمور شتى. كان يمدّ يده إلى أموال المؤسسة. وبالإضافة إلى كل هذا فإنني أخبرته بأمر البرقية التي وصلت من آل باسّو فما الذي يحمله برأيك على الكذب؟

قلت: ربما تكون قد تخلّت عنه وهذا يجرح كبرياءه، انها عقدة الرجل «الكازانوفا».

فكّر كينغسلي قليلاً، لكنه لم يُعجب بهذا الرأي. هزّ رأسه وقال: انني لاأزال أميل أكثر إلى تصديقه. وعليك ان تثبت لي انني مخطىء. هذا جزء من مهمتك التي استدعيتك للقيام بها. لكن لاتزال هناك مسألة مقلقة للغاية. إن عملي هنا جيد، لكنني لست سوى موظّف، وضعي لا يحتمل الفضائح. سوف يطردونني من عملي مباشرة إذا تبيّن ان لزوجتي مشاكل مع الشرطة.

ـ الشرطة؟.

ـ قال كينغسلي باشمئزاز: بالإضافة إلى نشاطاتها المتعددة، تقوم زوجتي من حين لآخر بسرقة بعض المعروضات في المخازن الكبرى. أعتقد انها تعيش وهم العَظَمة حين تسرف في الشراب، وكنا نجد أنفسنا في حالة مخجلة أمام المسؤولين عن هذه المخازن. حتى الآن نجحت في إقناعهم بعدم تقديم شكوى رسمية، لكن لعلها قامت بمحاولة مماثلة في مدينة غريبة حيث لا أحد يعرفها...

رفع يديه وتركهما تسقطان بعنف على الطاولة: حسناً، ربما أدى الأمر إلى سجنها، أليس كذلك؟

ـ هل أخذت بصماتها من قبل؟.

ـ لم يتم توقيفها بعد.

ـ لم أقصد ذلك. أحياناً تقوم المتاجر الكبرى بهذا الإجراء، ويكون شرطهم للتخلي عن رفع شكوى بالسرقة. هذا يثير خوف الهواة، ويصبح لدى هذه المخازن ملفات حول المصابين بهوس السرقة، وفي حال عثورهم على بصمات شخص معين أكثر من مرة يتصلون به.

ـ لم يحدث شيء من هذا القبيل حسب معرفتي.

ـ أعتقد اننا نستطيع ان نضع جانباً احتمال القيام بسرقة في الوقت الحالي. فلو ألقت الشرطة القبض عليها كان ستقوم بتفتيش أغراضها. وحتى ان استخدمت اسم «جاين دو» في السجلات فإن الشرطة على الأرجح ستتصل بك. وبالإضافة إلى ذلك فإن زوجتك كانت ستطلب المساعدة منك لو انها وجدت نفسها في مأزق. وأخذت أطرق بيدي على البرقية وقلت: وهذه البرقية أرسلت منذ شهر. لو ان ما تخاف منه قد حدث فعلاً في تلك الفترة لكانت القضية قد انتهت. ولو انها قامت بمحاولة واحدة فإنها ستتلقى تأنيباً ويُصار إلى وقف تنفيذ الحكم.

صبَّ لنفسه كأساً آخر ليساعده على التغلّب على مخاوفه، وقال: كلامك يجعلني أفضل حالاً.

ـ هناك احتمالات عديدة لما يمكن ان يكون قد حدث. قد تكون بدأت رحلتها مع لايفري ثم اختلفا. أو انها في رفقة شخص آخر والبرقية مجرد مزحة. أو انها سافرت بمفردها، أو برفقة سيدة أخرى. وقد تكون شربت كثيراً وهي الآن تخضع للعلاج في مصحة خاصة. أو انها أوقعت نفسها في مشكلة ليست لدينا فكرة عنها. أو لعلها تعرضت لعملية احتيال.

قال كينغسلي: يا إلهي! لا تقل ذلك؟

ـ ولِمَ لا؟ يجب ان نضع هذا الإحتمال أيضاً. لديَّ الآن فكرة غامضة حول شخصية السيدة كينغسلي: إنها شابة جميلة وجريئة ومتهوّرة. تشرب كثيراً وتقوم نتيجة لذلك بأعمال خطيرة. وهي تعجز عن مقاومة إغراء الرجال لها. وقد تتعلّق برجل غريب يكون محتالاً، أليس هذا صحيحاً؟

ـ أحنى رأسه موافقاً: كل كلمة قلتها صحيحة.

ـ كم تحمل من المال معها؟

ـ «إنها تحب ان تحمل مبلغاً كبيراً. أموالها مودعة في البنك وعندها حسابها الخاص. تستطيع متى تشاء الحصول على المبلغ الذي تطلبه».

ـ هل عندكما أولاد؟

ـ لا.

ـ هل تدير لها أعمالها؟

ـ هزّ رأسه قائلًا: ليست لديها أعمال ـ عدا انها تدخل الشيكات في حسابها ثم تسحب المال لتنفقه. إنها لا توظّف أي مبلغ. وأموالها لا تفيدني في شيء، إذا كان هذا ما تريد الوصول إليه.

توقّف قليلاً ثم تابع يقول: لا تعتقد انني لم أحاول ذلك، فأنا لا أجد متعة في التفرّج عليها وهي تبذّر عشرين ألفاً في السنة أو ترميها دون ان تكسب منها شيئاً سوى الإسراف في الشراب والتعرف إلى رجال من نوعية كريس لايفري.

ـ ما هو وضعك بالنسبة لإدارة المصرف الذي تودع فيه أموالها؟ هل تستطيع الحصول على بيان تفصيلي بالمبالغ التي سحبتها في الشهرين الأخيرين؟

ـ لن توافق الإدارة على إعطائي هذه المعلومات. حاولت في السابق الحصول على معلومات مماثلة حين تصورت انها تتعرض لعملية ابتزاز. فلم أحصل سوى على ردّ بارد.

ـ نستطيع إرغام إدارة المصرف على إعطاء المعلومات المطلوبة،

لكن هذا يعني اننا يجب ان نذهب أولاً إلى مكتب المفقودين. وأنت لا تريد ذلك؟

ـ لو كنت أودّ ذلك لم أطلبك.

أحنيت رأسي، وتناولت الصورة والبرقية ووضعتهما في جيبي، وقلت: هناك عدة احتمالات في هذه القضية، وأنا لا أستطيع ان أتبينها الآن. سأبدأ تحرياتي بمقابلة لايفري، ثم أقصد منطقة بحيرة فون الصغيرة، سأحتاج إلى عنوان لايفري وإلى رسالة منك للرجل المسؤول عن حراسة الكوخ الجبلي الذي تملكه.

تناول ورقة من مكتبه وكتب عليها عدة عبارات ثم أعطاني إياها. قرأت فيها ما يلي: عزيزي بيل: هذه رسالة للتعريف بالسيد فيليب مارلو الذي يودّ إلقاء نظرة على المكان. أرجو ان تفتح له الكوخ وتساعده في كل طلباته. مع تحيات ديراس كينغسلي.

طويت الورقة ووضعتها في المغلف الذي كان قد كتب عليه العنوان، وسألته: ماذا عن الكوخين الآخرين؟

ـ الكوخان مقفلان بالتأكيد. لأن صاحب الكوخ الأول موظف في الحكومة وهو يقيم حالياً مع عائلته في واشنطن، وصاحب الثاني يعمل في فورت ليفنورث وزوجته معه أيضاً. قلت: أريد عنوان لايفري.

فكّر قليلاً ثم قال: إنه في مدينة باي.

أعرف كيف أصل إلى البيت لكنني نسيت العنوان. أعتقد انه موجود عند الآنسة فرومسيت. لا داعي لأن تقول لها سبب طلبك له. ربما تسألك. وأنت قلت انك تريد مئة دولار.

ـ لا بأس، لقد قلت ذلك عندما شعرت بأنك تحاول سحقي.

ابتسم، وتريثت قليلاً بجانب المكتب وأنا أنظر إليه. بعد قليل قلت له: أنت بالطبع لا تخفي عني شيئاً، أليس كذلك؟

نظر إلى إبهامه وقال: لا، لا أخفي شيئاً عنك. إنني قلق وأريدك ان تعرف مكانها. أنا قلق للغاية. إذا توصلت إلى شيء اتصل بي مباشرة، في النهار أو في الليل.

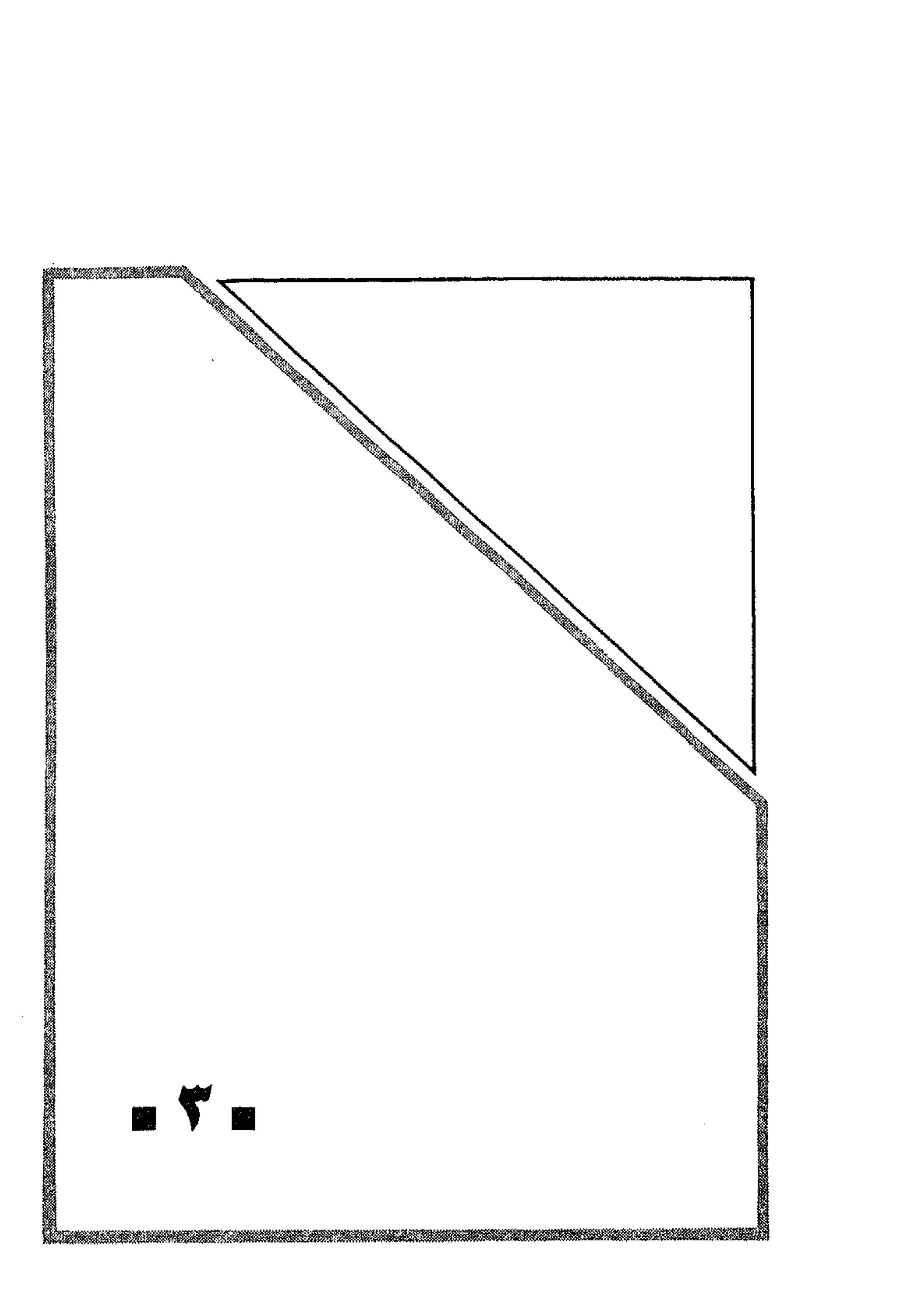
قلت له انني سأفعل ذلك، وتصافحنا واجتزت الغرفة الطويلة الباردة وخرجت إلى قاعة الانتظار حيث مكتب الآنسة فرومسيت، التي بدت جذابة وهي تجلس خلف مكتبها.

قلت لها وأنا أتأمل وجهها: السيد كينغسلي يعتقد انك تستطيعين اعطائي عنوان كريس لايفري.

تناولت ببطء شديد دفتر عناوين ذا غلاف جلدي بني اللون، وأخذت تتصفحه. كان صوتها مشدوداً وبارداً وهي تقرأ لي العنوان:

ـ العنوان الذي عندنا هو في ٦٢٣ شارع ألتير في مدينة باي. والهاتف ١٢٥٢٣. السيد لايفري ترك الشركة منذ أكثر من سنة، وربما يكون غيّر مكانه.

شكرتها وتقدمت نحو الباب. التفت قليلاً نحوها، كانت تجلس بهدوء متشابكة اليدين تحدّق في الفضاء. خدّاها متورّدان وعيناها تنظران إلى البعيد بمرارة. شعرت ان اسم السيد لايفري لم يكن لطيفاً على مسمعها.


٣

يقــع شارع ألتير على طرف تجويف عند نهاية وادٍ ضيق. إلى الشمال كان الخليج القريب من ماليبو بمياهه الزرقاء الهادئة وإلى الجنوب تقع مدينة باي الساحلية التي كانت تنتشر على مسطّح من الأرض فوق الطريق العام.

كان شارعاً قصيراً، لا يضمّ أكثر من ثلاث أو أربع مجموعات من البيوت، وينتهي في سور حديدي عالٍ يحيط بعقار كبير. خلف قضبان السور رأيت أشجاراً وشجيرات وطرف مرجة خضراء وطريقاً ملتوية، لكن البيت كان بعيداً عن مرمى النظر. في القسم الداخلي من شارع ألتــير كانت البيــوت جيدة وكبيرة نسبياً، لكن الأكواخ القليلة المنتشرة على حافة الوادي لم تكن ملفتة في شيء. لم تكن المجموعة التي تنتهي عند السور تضم أكثر من منزلين متواجهين على جانبي الشــارع، ويكــاد يكــون أحدهما مقابل الآخر تماماً. الأصغر بينهما يحمل رقم ٦٢٣.

مررت بالسيارة بجواره ثم أدرتها في مساحة نصف دائرة عند طرف الشارع وأوقفتها أمام بيت لايفري. كان البيت مشيّداً على أرض منحدرة ومغطّى بالنبات المعترش، وكان الباب الرئيسي أكثر

انخفاضاً من مستوى الشارع. الطابق الأول فيه غرفة الجلوس وغـرف النوم في الطابق السفلي، وهناك مرآب يشبه الجيب. عند زاوية طاولة البليارد. كانت أوراق نبات «البوغنفيلية» القرمزية التي تغطي الجدار الأمامي تصدر حفيفاً ناعماً والحجارة المسطّحة في الممر تحيط بها الأعشاب.

البـاب ضيـق وقضبانه تنتهي في الأعلى بعقد رمحيّ مستدق الطرف. بجانب الحاجز مطرقة من الحديد، فطرقتها.

لا أحد.

استخدمت الجرس بجانب الباب وسمعته يرنّ في الداخل على مسافة ليست بعيدة وانتظرت، لكن لا أحد.

عدت إلى المطرقة ثانية. لا جواب.

استدرت إلى حيث يوجد المرآب ورفعت الباب قليلاً فرأيت سيارة متوقفة داخله لإطاراتها غطاء أبيض في الوسط ورجعت إلى الباب الرئيسي.

خرجت من المرآب المقابل سيارة كاديلاك كوبيه سوداء ولّماعة، أرجعها سائقها قليلاً ثم أدارها ومرّ بالقرب من بيت لايفري. خفف السرعـة، فرأيتـه رجـلاً نحيلاً يضع نظارتين سوداوين. نظر إليَّ بحـدة، كمـا لو انـه يستغـرب وجودي هنا. رددت عليه بنظرتي الفولاذية فتابع سيره. استخدمت المطرقة عدة مرات. في هذه المرة حصلت على ردّ. فتحت النافذة الصغيرة في أعلى الباب ورأيت رجلاً وسيماً عيناه تلتمعان خلف قضبان البوابة.

قال لي: أنت تحدث ضجة كبيرة.

ـ السيد لايفري؟

قال انه هو السيد لايفري شخصياً وسأل عما أريده.

مددت إليه بطاقة بين القضبان. تناولها بيده السمراء الكبيرة والتفت إليَّ بعد قليل، وقال: آسف جداً. لست بحاجة إلى أي مفتش اليوم. أرجوك.

- إنني أعمل عند ديراس كينغسلي.

- فلتذهبا إلى الجحيم معاً وأغلق النافذة الصغيرة بقوة.

ضغطت باصبعي على الجرس بجانب الباب وتناولت سيجارة باليد الثانية وفيما كنت أشعل عود الثقاب على لوح خشبي قريب مني فتح الباب فجأة وخرج منه رجل طويل يرتدي بنطلوناً قصيراً للسباحة وينتعل صندلاً للشاطىء ويضع برنس حمام أبيض اللون.

رفعت اصبعي عن الجرس وابتسمت له. وسألته: ما بك؟ هل أنت خائف؟

- اضغط على هذا الجرس ثانية لترى انني سأرمي بك إلى الجهة الثانية من الشارع.

قلت له: لا تتصرف كالأطفال. أنت تعرف جيداً انني سأتحدث معك، وستوافق على مبادلتي الحديث...

أخرجت البرقية ذات اللونين الأزرق والأبيض من جيبي ورفعتها له أمام عينيه العسليتين البراقتين. قرأها بمزاج نكد، وشد على شفتيه وقال متذمّراً: أرجوك، تفضل بالدخول.

فتح لي الباب فدخلت إلى غرفة هادئة تغطي أرضها سجادة صينية ذات لون مشمشي تبدو غالية الثمن. وفي أرجائها مقاعد وثيرة وعدد من المصابيح البيضاء، وفي الزاوية رأس كبير لذكر أيل،

وأريكة كبيرة وعريضة مغطاة بقماش بني باهت من الموهير المنقّط بالبني القاتم، ومدفأة لها حاجز نحاسي، ورفّ من الخشب الأبيض.

كانت النار مشتعلة خلف الحاجز وتكاد تغطيها نبتة منزنية(*) مزهرة، كان زهرها قد اكتسب لوناً أصفر في بعض الأماكن لكنه لا يزال جذاباً. وعلى صينية زجاجة شراب وكؤوس ووعاء ثلج من النحاس وضعت على طاولة واطئة مستديرة من خشب الجوز لها سطح زجاجي. الغرفة واسعة الأرجاء وتمتد إلى الجزء الخلفي من البيت وتنتهي في قنطرة تبدو من خلالها ثلاث نوافذ ضيقة والقسم الأعلى من الدرابزين الأبيض للدرج الذي ينزل إلى الأسفل.

أغلق لايفري الباب وجلس على الأريكة. تناول سيجارة من علبة سجائر فضية منقوشة وأشعلها وهو ينظر إليَّ بانفعال. جلست قبالته وأخذت أحدّق فيه. إنه وسيم بالفعل كما بدا في الصورة. له جذع قوي وفخذان رائعان. لون عينيه كستنائي والمساحة البيضاء فيهما تميل إلى اللون الرمادي. شعره طويل نسبياً ومجعّد ويغطي أسفل صدغيه. لا يدل مظهره على انه يسرف في ملذّاته. إنه رجل جذاب ومن الواضح ان النساء يعتبرنه يستحق الاهتمام.

قلت: لِمَ لا تقول لنا أين هي؟ سوف نعرف ذلك في وقت قريب على أي حال، وإذا أخبرتني الآن لا أحد سيزعجك ثانية.

- إنني احتاج لأكثر من مفتش خاص كي أشعر بالانزعاج.

- لا، أنت لا تحتاج لأكثر منه. المفتش الخاص يستطيع ان

(*) المنزنية: نبتة شمال أميركية.

يزعج كل الناس. إنه عنيد ومعتاد على الصد. وهو يتقاضى أجراً على الوقت الذي ينفقه في أداء مهمته وقد يكرّسه لمضايقتك أو يستخدم أسلوباً آخر لذلك.

قال وهو ينحني قليلاً إلى الأمام ويشير إليَّ بسيجارته: اسمعني، لقد قرأت نص هذه البرقية، لكنه هراء. أنا لم أذهب إلى آل باسّو مع كريستال كينغسلي. لم ألتق بها منذ وقت طويل... من مدة أطول من التاريخ المدوّن على البرقية. لم يكن لي أي اتصال بها مؤخراً. لقد قلت ذلك لكينغسلي.

ـ إنه ليس مضطراً لأن يصدقك.

قال وقد تفاجأ من الرد: ولماذا أكذب عليه؟

ـ ولِمَ لا تكذب؟

ردّ بانفعال صادق: اسمع، قد يبدو لك الأمر كذلك لكنك لا تعرفها. كينغسلي ليست له أية علاقة بها. وانني أتساءل ما الذي يمنعه ان يقوم بالحل المناسب إذا كان يكره تصّرفاتها. هؤلاء الأزواج المتملكون يثيرون اشمئزازي.

ـ طالما انك لم ترافقها إلى آل باسّو، هل تستطيع ان تقول لي لماذا أرسِلت لزوجها هذه البرقية؟.

ـ ليست لديَّ أية فكرة حول هذه المسألة.

ـ تستطيع ان تجد إجابة أفضل من هذه». وأشرت إلى نبات «المنزنيتة» قرب الموقد وقلت: هل جمعت هذا النبات من منطقة بحيرة فون؟

قال بازدراء: التلال هنا مليئة بالمنزنيتة.

ـ لكنه لا يزهر على هذا النحو هنا.

ضحك وقال: كنت هناك في الاسبوع الثالث من أيار/مايو، إذا كان هذا ما تودّ معرفته. وأنت بدون شك كنت ستعرفه بأسلوبك الخاص. كانت تلك آخر مرة رأيتها فيها.

ـ ألم تكن تنوي الزواج منها؟

نفخ قليلاً من الدخان وقال: لقد فكّرت في ذلك، هذا صحيح. لديها مال وفير. والمال مفيد دائماً. لكنني لا أطيق هذا الأسلوب للحصول على المال.

أحنيت رأسي ولم أقل شيئاً. أخذ يتأمل أزهار «المنزنيتة» أمام الموقد ثم أسند ظهره ليتابع تدخين سيجارته فبرز خطّ صلب في حنجرته. وبعد قليل حين وجدني لا أقول شيئاً بدت عليه علامات الضيق. ألقى نظرة على البطاقة التي أعطيته إياها وقال:

ـ أنت تؤجر نفسك إذاً لتنبش الأوساخ؟ وهل تجني جيداً من ذلك؟

ـ ليس بالقدر الكافي للتباهي بذلك. دولار من هنا. ودولار من هناك.

ـ وجميعها قذرة.

ـ إسمع يا سيد لايفري لا داعي لأن نبدأ عراكاً. كينغسلي يعتقد انك تعرف أين هي زوجته، لكنك لا تريد اخباره. إما بسبب حقارتك وإما لأنك تود مراعاة خاطره.

ردّ الشاب الأسمر الوسيم مستهزئاً: وأي سبب يفضل؟

ـ انه فقط يريد ان يعرف الحقيقة. وليس مهتماً بما تفعله أنت

أو هي، أو إلى أين تذهبان، أو ما اذا كانت تريد الطلاق منه أم لا. إنه يريد فقط ان يتأكد انها بخير وليست متورطة في أية مشكلة.

بدا الاهتمام على ملامح لايفري فقال: مشكلة؟ من أي نوع؟

قال ذلك متمهلاً كأنه يتذوق طعم كلامه.

ـ قد تكون لا تعرف نوع المشاكل التي يفكر هو فيها.

ردّ بسخرية قائلاً: أخبرني، انني أحب كثيراً ان أعرف عن نوع من المشاكل لا أعرفه.

قلت له: لا بأس إذاً، ليس لديك وقت للأمور الجدية لكن لديك الوقت دائماً للملاحظات البارعة. إذا كنت تعتقد اننا نحاول الايقاع بك لأنك اجتزت معها حدود الولاية فأنت مخطىء.

ـ إفعل ما يحلو لك ايها الذكي. لكن عليك أولاً ان تثبت أنني دفعت أجرة الطريق، وإلّا فإن إدعاءك يصبح بدون معنى.

قلت بعناد: هذه البرقية لها معنى بكل تأكيد. وبدا لي انني قلت هذه الجملة من قبل، مرات عديدة.

ـ قد تكون مجرّد مزحة. إنها تحب كثيراً هذه الأمور البسيطة. بعضها يكون عادياً، والبعض الآخر مؤذياً.

ـ لا أستطيع ان أجد أي مبرر لهذه المزحة.

نفض رماد السيجارة بدون انتباه على سطح الطاولة الزجاجي. نظر إليّ بسرعة يتفحّصني من أعلى إلى أسفل ثم التفت بعيداً.

قال ببطء: لقد تخلّيت عنها. قد تكون تلك طريقة للانتقام من نفسي. كان من المفروض ان نمضي سوياً عطلة نهاية الأسبوع في

الجبل، لكنني لم ألتحق بها. كنت ـ سئمت منها.

قلت: آه! وأخذت أحدّق فيه قائلاً: لا يعجبني ردّك كثيراً. كنت أفضل لو انك سافرت معها إلى آل باسّو واختلفت معها هناك، ثم افترقتما. هل تستطيع ان تروي شيئاً من ذلك؟

بدا احمرار الغضب واضحاً على بشرته التي لوّحتها الشمس.

قال: اللعنـة! قلت لك انني لم أذهب إلى أي مكان معها. أي مكان. ألا تتذكر ذلك؟

ـ سأتذكره حين أصدقه.

انحنى قليلاً ليطفىء سيجارته، وقف بهدوء، لم يكن على عجلة من أمره، وانتزع زنّار روب الحمام المشدود ومشى قليلاً إلى طرف الكنبة.

قال بصوت واضح وبنبرة قوية: حسناً. أخرج من هنا. إذهب بعيـداً. لقـد سئمت من محـاولاتـك السخيفة. أنت تضيّع وقتك وتضيّع... هذا إذا كان يساوي شيئاً في الأصل.

وقفت وابتسمت قائـلاً: لا يساوي كثيراً، لكنني أتقاضى أجراً عليه. أليس من المحتمل مثلاً ان تكون قد تعرضت وإياها إلى حادثة مزعجة في مخزن كبير لنفترض ان ذلك حدث عند منصة عرض الجوارب أو المجوهرات.

أخذ ينظر إليَّ بحذر وهو يعقد حاجبيه، وقال:

لم أفهم ما تعني، لكن من الواضح انه كان يفكر في مسألة ما.

قلت: هذا كل ما أردت معـرفتـه. شكـراً لأنـك استمعت إليَّ.

وبالمناسبة ما هو عملك الآن.. بعد ان تركت كينغسلي؟

ـ وما دخلك أنت في ذلك؟

ـ لا شيء. لكنني بالطبع أستطيع معرفة ذلك. ومشيت متمهّلاً نحو الباب.

قال ببرود: في الوقت الحالي لا عمل لي. إنني أنتظر ان يصدر أمر إلحاقي بسلاح البحرية الذي قد يصلني بين يوم وآخر.

قلت: يجب ان تجيد، هذا العمل.

ـ أجل. إلى اللقاء أيها المتطفل. ولا تحاول الرجوع إلى هنا. لن أكون في البيت.

وصلت إلى البـاب وأمسكت به لأفتحـه. كان عالقاً بالمصطبة بسبب الـرطوبـة. عندمـا تمكنت من فتـح البـاب التفتّ نحـوه ونظرت إليه. كان يقف متضايقاً يكتم غيظه.

قلت: ربما تجدني مضطراً للعودة. لكن ذلك لن يكون فقط من أجل تبادل المزاح. سيكون ذلك لأنني توصّلت إلى أمر يحتاج لأن أتحدث معك بشأنه.

قال بنفور: أنت لاتزال تعتقد انني أكذب إذاً.

ـ أعتقد ان هناك شيئاً تخفيه. لديَّ خبرة واسعة في النظر إلى الوجوه. ومن أجل ذلك أنت على الأرجح ستطردني من هنا مرة ثانية.

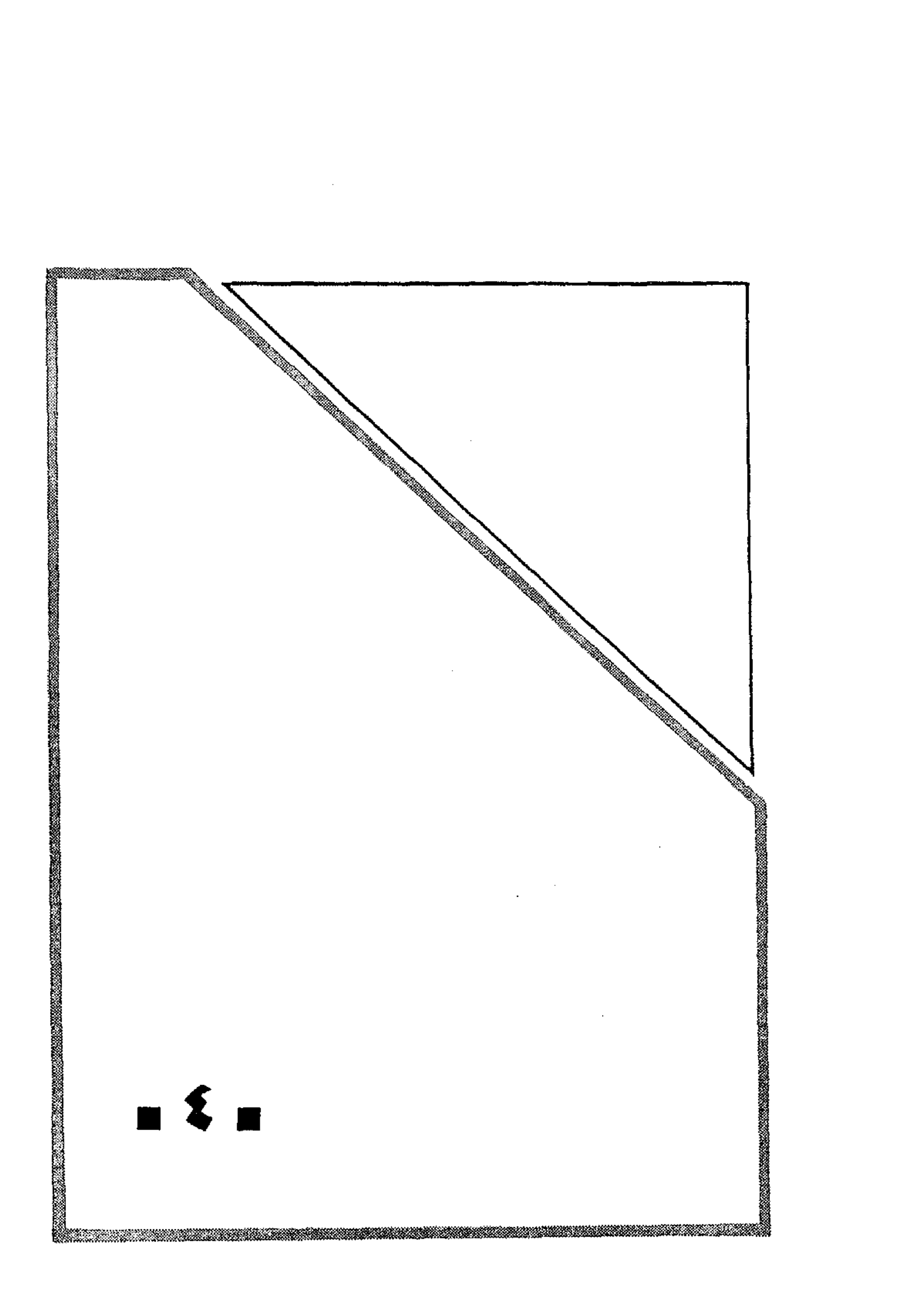
ـ هذا يسعدني بالطبع. في المرة المقبلة اصطحب معك شخصاً ليرجعك إلى البيت لأنك قد تقع على رأسك وتفقد وعيك.

ثم وبدون سبب واضح رأيته يبصق على السجادة بين قدميه.

فوجئت بتصرفه. أصابتني دهشة كأنني أراقب طائراً من الكواسر ينحرف عن مسار طيرانه تاركاً خلفه جدياً سميناً في أحد الدروب. أو كأنني أستمع إلى سيدة تبدو على جانب من الثقافة وهي تتفوّه بعبارات بذيئة.

قلت: إلى اللقاء أيها الشاب الجميل. وتركته واقفاً مكانه.

أغلقت الباب، وشددته لكي أتمكن من ذلك، واجتزت الممر إلى الشارع. وقفت على الرصيف وألقيت نظرة على البيت في الجهة المقابلة.


■ ٤ ■

كان بيتاً واسعاً وغير مرتفع. جدرانه مغطّاة بالجصّ الوردي المزخرف الذي شحُب لونه ليعطي ظلالاً فاتحة وهادئة تنتهي عند إطارات النوافذ الخضراء الباهتة. سقفه يغطيه القرميد الأخضر وحجارته مستديرة وصلبة. يحيط بالباب الأمامي إطار من الفسيفساء يضم المئات من قطع الحجارة الصغيرة المتعددة الألوان. وأمام البيت حديقة أزهار صغيرة تقع خلف حائط منخفض مغطّى بالجصّ ويعلوه سور حديدي بدأ بعيداً عن رطوبة الشاطىء. خارج هذا الجدار إلى الجهة الشمالية كان هناك مرآب يتسع لثلاث سيارات، وله باب يفتح إلى داخل باحة البيت وهناك ممر خاص من هذا الباب يصل إلى البيت.

على البوابة لوحة برونزية كُتب عليها: ألبرت س. ألمور ـ طبيب.

فيما كنت واقفاً هناك أحدق في الجهة المقابلة من الشارع كانت الكاديلاك السوداء التي رأيتها من قبل تلتفّ خلف الناصية وتتقدم باتجاه المنزل. تباطأت وبدأت تبتعد قليلاً لكي تستطيع ان تستدير وتدخل إلى المرآب، كانت سيارتي تقف في الطريق، فتابعت حتى نهاية الشارع ثم استدارت في الفسحة أمام الباب الحديدي

المزخرف. عادت ببطء ودخلت لتستقرّ في القسم الشاغر داخل المرآب.

الرجل النحيل الذي يضع النظارتين القاتمتين مشى إلى البيت وهو يحمل حقيبة طبيب ذات مسكة مزدوجة قطع نصف المسافة ثم استدار لينظر إليّ. توجّهت نحو سيارتي. استخدم مفتاحه ليفتح الباب ثم التفت إليَّ مرة ثانية.

صعدت إلى «الكرايزلر» وجلست هناك أدخّن وأحاول أن أقرر ما إذا كان يجدر بي ان استخدم شخصاً أكلّفه تعقّب لايفري. قررت انه لا داعي لذلك حتى الآن.

تحركت الستائر خلف نافذة قريبة من الباب الجانبي الذي دخل منه الدكتور ألمور. يد نحيلة كانت تمسك بها جانباً ورأيت الضوء ينعكس على نظارتين. ظلت الستائر هكذا فترة ثم أُسدِلت ثانية.

نظرت عبر الشارع إلى بيت لايفري، من تلك الزاوية أستطيع ان أرى ان الرواق الجانبي يؤدي إلى سلم خشبي مطلي يوصل إلى ممر اسمنتي منحدر، حيث يوجد سلم اسمنتي يؤدي إلى الباحة المرصوفة في الأسفل.

إلتفت ثانية نحو بيت الدكتور ألمور وأنا أفكر ما إذا كان يعرف لايفري وإلى أي مدى؟ انه على الأرجح يعرفه، لأنه لا يوجد سوى بيتيهما في تلك الناحية. ولكن لأنه طبيب لن يخبرني الكثير عنه. وانتبهت وأنا أنظر إلى البيت أن الستائر التي رُفعت قليلاً كانت قد أُزيحت تماماً إلى جانبيْ النافذة.

لم يكن القسم الأوسط من النافذة الذي كان محجوباً بالستارة

مغطّى بشريط منخلّي. وقف خلفه الدكتور ألمور يحدّق صوبي وقد علا وجهه النحيل عبوس صارم. نفضت رماد السيجارة فاستدار على نحو مفاجىء وجلس إلى طاولته.. حقيبته ذات المسكة المزدوجة كانت على الطاولة أمامه. جلس في مقعده وبدا متوتراً وأخذ يدقّ على الطاولة إلى جانب الحقيبة. مدّ يده إلى الهاتف، لمسه ثم أبعد يده عنه. أشعل سيجارة وهزّ عود الثقاب بعنف ثم مشى إلى النافذة وحدّق باتجاهي مرة أخرى. كان تصرفه ملفتاً. فالأطباء عموماً هم أقل الناس فضولية. لأنهم أثناء فترة التمرين يطلعون على أسرار تكفيهم مدى الحياة. الدكتور ألمور بدا مهتماً بي. إنه أكثر من مجرد اهتمام، انه متضايق من وجودي.

مددت يدي لأدير المفتاح فرأيت الباب الرئيسي لبيت لايفري ينفتح. تركت المفتاح وأسندت ظهري. خرج لايفري مسرعاً ألقى نظرة على الشارع واستدار ليدخل إلى المرآب. كان يرتدي الملابس نفسها ويحمل منشفة وبساطاً صغيراً للشاطىء. سمعت صوت باب المرآب يُرفع، ثم صوت باب السيارة وهو ينفتح وينغلق، ثم صوت الموتور وقد بدأ يشتغل. صعدت السيارة من الممر المنحدر إلى الشارع، والدخان الأبيض يتصاعد من الخلف. كانت سيارة زرقاء جميلة وصغيرة. كان غطاؤها مطوياً بدا من فوقه رأس لايفري بشعره الداكن، وهو يضع على عينيه نظارتين أنيقتين لهما إطار أبيض عريض. اجتازت السيارة الشارع واستدارت خلف الناصية.

لم يكن في ذلك ما يلفت انتباهي. السيد كريستوفر لايفري يقصد شاطىء المحيط الهادىء لكي يتمدد تحت الشمس ويترك

المجال لإثارة اهتمام الفتيات فلا يحرمهن من مشاهدته.

كنت أكثر اهتماماً بالدكتور ألمور. لقد أمسك بسماعة الهاتف الآن: تكلم ثم صمت وهو يضع السماعة على أذنه، يدخن وينتظر. انحنى إلى الأمام كما يفعل الإنسان عادة عند عودة الصوت، استمع، وأعاد السماعة إلى مكانها، دوّن ملاحظة على ورقة كانت أمامه. ثم رأيته يفتح صفحات من وسط كتاب سميك له جوانب صفراء على مكتبه. وفيما كان يفعل ذلك نظر بسرعة إلى الخارج، إلى سيارة «الكرايزلر» مباشرة.

وجد ما كان يبحث عنه في الكتاب، انحنى قليلاً فوقه وتصاعدت من فمه حلقات متوالية من دخان السيجارة تبددت في الهواء فوق صفحات الكتاب. فدوّن ملاحظة أخرى وضع الكتاب جانباً وأمسك بسماعة التليفون مرة ثانية. طلب رقماً، انتظر، بدأ يتكلم بسرعة، أخذ يحني رأسه ويحرك سيجارته في الهواء.

أنهى المكالمة وأعاد السماعة. أسند ظهره وجلس يفكّر محدّقاً في طاولته، لكنه لم ينس ان ينظر من النافذة كل نصف دقيقة تقريباً. كان ينتظر شيئاً، وأنا رحت أنتظر معه، دون ان أعرف لماذا؟! الأطباء يستخدمون الهاتف كثيراً، يتحدثون مع أشخاص عديدين. الأطباء ينظرون من النوافذ ويعبسون ويبدو عليهم الانفعال، الأطباء يفكرون بصمت وهذا يوتّر أعصابهم. الأطباء أشخاص عاديون يولدون من أجل الحزن ويخوضون تلك المعركة الطويلة الضارية كأي واحد منّا.

لكن طريقة تصرف هذا الطبيب بالذات لفتت انتباهي. نظرت إلى

ساعتي، حان الوقت لأتناول بعض الطعام، أشعلت سيجارة أخرى ولم أحرّك السيارة.

بعد ذلك بخمس دقائق استدارت سيارة خضراء عند الناصية وتقدمت باتجاهي. وتوقفت أمام بيت الدكتور ألمور وأخذ الهوائيّ الطويل يرتعش فوقها. ترجّل منها رجل ضخم ذو شعر أشقر مغبّر وتـوجّه نحو باب منزل الدكتور ألمور. قرع الجرس وانحنى قليلاً ليشعل عود الثقاب على درجة السلم. فيما كان يفعل ذلك أدار رأسه وحدّق عبر الشارع إلى حيث كنت أجلس.

انفتح الباب ودخل إلى البيت. أسدلت الستائر في غرفة مكتب الدكتـور ألمور وحجبت عني الرؤية. جلست في مقعدي أحدّق في خطوط الستـائر التي صارت قاتمة من أشعة الشمس. مزيد من الوقت مضى.

انفتح الباب ثانية. والرجل الضخم نزل السلم ومرّ عبر البوابة. ألقى بعقب سيجارته على بعد ومرّر يده على شعره. هزّ كتفيه ومدّ يده إلى ذقنه، واجتاز الشارع. كان لخطواته في السكون السائد وقعاً متروٍ ومتميز. تحركت الستائر ثانية على نافذة الدكتور ألمور الذي وقف يراقب.

يد ضخمة مغطّاة بالنمش حطّت على حافة نافذة السيارة بالقرب من ذراعي. ومن فوقها برز وجه ضخم فيه خطوط عميقة. كانت له عينان زرقاوان ونظرات صلبة. نظر إليَّ بحدة وسألني بصوت عميق أجشّ:

ـ هل تنتظر أحداً؟

ـ لا أعرف، أتعتقد أنني أنتظر أحداً؟

ـ أنا أطرح الأسئلة.

ـ حسناً، وأنا عليَّ اللعنة. هذا هو جواب التمثيلية الايمائية إذاً؟

ـ أية تمثيلية إيمائية؟ وصوّب إليَّ نظرة حادة بعينيه الزرقاوين. أشرت إلى الجهة المقابلة من الشارع بسيجارتي وقلت: الدكتور المتوتر والتلفون. استدعى الشرطة بعد حصوله على اسمي من مركز تسجيل السيارات، على الأرجح، ثم بحث عنه في الدليل، ما الذي يجري هنا؟

ـ دعني أرى رخصة القيادة.

حدّقت فيه بدوري وقلت: ألا تستخدمون هنا الجهاز الخاص بسيارات الشرطة، أم ان معاملة الناس بقسوة تكفي للتعريف بكم؟

ـ إذا استدعى الأمر اللجوء إلى القسوة، فستعرف ذلك يا عزيزي.

انحنيت وأدرت مفتاح السيارة وضغطت على جهاز الانطلاق. إشتغل المحرك وهدأت حركته.

قال بعنف: أوقف هذا المحرك. ووضع قدمه على حافة السيارة.

أوقفت المحرك وأسندت ظهري وأنا أنظر إليه. قال: لعنة الله عليك، أتريد ان أجرّك إلى الخارج وألقي بك على الرصيف؟

تناولت محفظتي وأعطيته إياها. ألقى نظرة على القسم المغلّف الذي أضع فيه رخصة القيادة ثم نظر من الجهة الثانية وقرأ

رخصتي الثانية. أغلق المحفظة بازدراء وأعطاني إياها. أخذتها منه وأعدتها إلى مكانها. مد يده إلى جيبه ورفع أمامي إشارة البوليس الزرقاء والذهبية.

قال بصوت خشن وقاسٍ: دغارمو، مفتش ملازم.

ـ تشرفت بمعرفتك أيها الملازم.

ـ كف عن ذلك. أخبرني ماذا تفعل هنا ولماذا تراقب منزل ألمور؟

ـ أنا لا أراقب منزل ألمور، أيها الملازم. لا أعرف الدكتور ألمور وليس لديّ أي مبرر لمراقبة بيته.

أدار وجهه ليبصق. ويبدو انني لا أقابل سوى الرجال الذين يبصقون هذا اليوم.

ـ ما هو غرضك إذاً؟ نحن لا نحب الفضوليين هنا. لا نعرف أحداً منهم في هذه البلدة.

ـ حقاً؟

ـ أجل. هيّا، قل لي. إلّا إذا كنت تريد ان أصطحبك إلى المقر وأجبرك على الاعتراف بذلك.

لم أجبه.

سألني فجأة: هل أنت مكلّف من أهل زوجته؟

هززت رأسي بالنفي.

ـ آخر واحد حاول مضايقته أجبرناه على مغادرة البلدة يا عزيزي.

ـ أعتقد ان محاولته كانت جيدة لو أنني أستطيع ان أحزر السبب. ماذا كان يحاول ان يفعل؟

قال ببرود: كان يحاول الايقاع به.

ـ من المؤسف انني لا أعرف كيف حاول ذلك، مع انه يبدو لي رجلاً يسهل الايقاع به.

ـ هذا الحديث لن يوصلك إلى شيء.

ـ حسناً، اسمعني جيداً، أنا لا أعرف الدكتور ألمور ولم أسمع عنه من قبل، ولست مهتماً به. كنت أزور صديقاً لي وتوقفت قليلاً لأتأمل هذا المشهد الجميل. وحتى لو كنت أفعل شيئاً آخر فإن الأمر لا يعنيك. إذا كان جوابي لا يعجبك، فالأفضل ان تعود إلى المركز وتخبر القائد بالأمر.

حرّك رجله ببطء ونظر إليَّ وهو يشك فيما قلته وسألني بهدوء: هل هذا صحيح فعلاً؟

ـ إنه صحيح فعلاً.

ـ اللعنة، هذا الرجل يبدو معتوهاً قال ذلك فجأة والتفت نحو المنزل. يجب ان يستشير طبيباً.

وضحك هازئاً ثم أنزل رجله عن السيارة ومرّر يده على شعره.

قال: هيّا... إذهب من هنا. وابق بعيداً عن هذه المنطقة المحمية وبذلك تصون نفسك.

ضغطت على جهاز تشغيل المحرك ثانية. وحين بدأ صوته يخفت قلت: كيف حال «آل نورغارد» هذه الأيام؟

حدّق فيَّ وقال: هل تعرف «آل»؟

ـ نعم، سبق لي ان عملت معه في قضية هنا منذ حوالى سنتين. حين كان «واكس» هو المسؤول عن مركز الشرطة.

ـ «آل» اليوم مع الشرطة العسكرية. ليتني كنت مثله. قال ذلك بمرارة وأخذ يبتعد ثم التفت نحوي وقال بصوت مرتفع هيا، إذهب من هنا قبل ان أغيّر رأيي.

اجتاز الشارع ببطء ودخل إلى منزل ألمور مرة ثانية.

ضغطت على دعسة البنزين وانطلقت بالسيارة. وفي طريق العودة إلى المدينة أخذت أتتبع أفكاري. كانت تتحرك بتشنّج فتبدو واضحة ثم تصبح غامضة مثل يدي الدكتور ألمور النحيلتين اللتين كانتا تمسكان بأطراف الستائر.

حين وصلت إلى لوس انجلوس تناولت طعام الغداء وصعدت إلى غرفة مكتبي من بناية «كاهوينغا» لأتفقد الرسائل التي وصلتني. اتصلت بكينغسلي من هناك.

قلت له: لقد قابلت لايفري وكان بذيئاً بالقدر الذي يظهر فيه صدقه. حاولت ان استحثّه قليلاً، لكنني لم أتوصل إلى أية نتيجة. إنني لا أزال أميل إلى الاعتقاد بأنهما تشاجرا وافترقا وانه لا يزال يأمل في تصليح أموره معها.

قال كينغسلي: انه يعرف مكانها إذاً.

ـ ربما، لكن ذلك ليس ضرورياً. بالمناسبة واجهت أمراً غريباً وأنا في الشارع الذي يقع فيه منزل لايفري، ولا يقع في تلك الناحية

سوى منـزل آخر مواجه له هو منزل الدكتور ألمور. وسردت عليه بإيجاز مصدر الغرابة في الأمر».

صمت قليلاً ثم قال: هل قلت اسمه الدكتور ألبرت ألمور؟

ـ أجل.

ـ كان طبيب كريستال لفترة. زارنا في البيت عدة مرات حين كانت ـ حسناً، حين كانت مدمنة على الشراب. كنت دائماً أقول انه رشيق إلى حد ما في وخز الإبرة. أما عن زوجته ـ انتظر قليلاً، هناك مشكلة حدثت لزوجته. آه، أجل، لقد انتحرت.

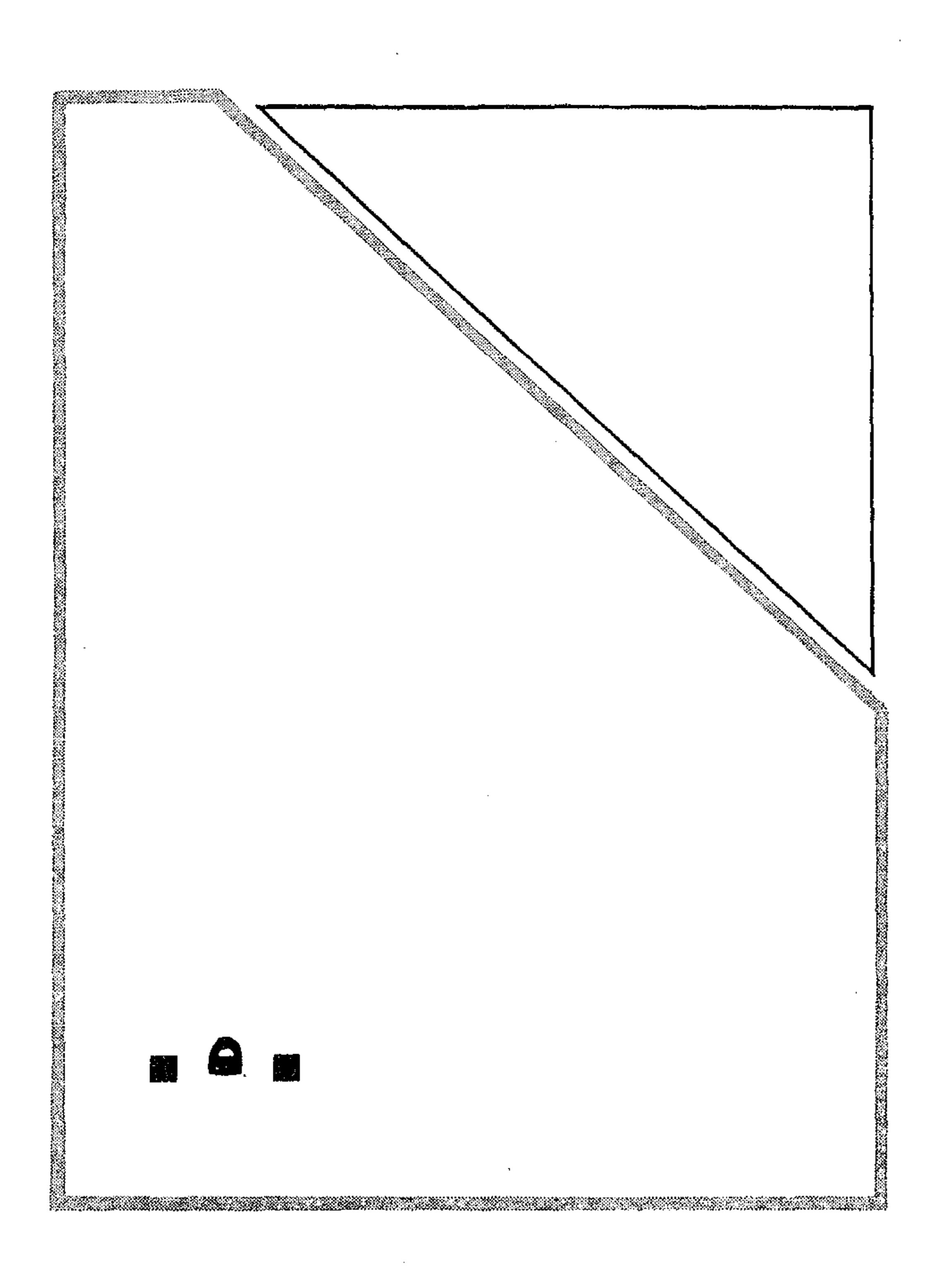
قلت: متى؟

ـ لا أذكر. منذ مدة طويلة. لم أكن أعرفها معرفة عائلية. ماذا تنوي ان تفعل الآن؟

قلت له انني سأقصد منطقة بحيرة بوما مع ان الـوقت صار متأخراً للبدء برحلة كهذه.

قال لي انه سيكون لديَّ المتسع من الوقت وان ضوء النهار في الجبال يستمر ساعة أكثر.

قلت له هذا جيد وانتهت المكالمة.



أشعة شمس بعد الظهر الحارقة كانت ترزح بلهيبها فوق سان برنارديتو. كان الهواء ساخناً حتى انه قرّح لساني. اجتزت شوارع البلدة لاهثاً، وتوقّفت لأشتري زجاجة من الشراب مخافة ان أفقد الوعي قبل الوصول إلى الجبل، ثم بدأت بالصعود إلى كرستلاين. بعد خمسة عشر ميلاً وصلت إلى ارتفاع خمسة آلاف قدم، لكن الجو كان لا يزال حاراً. وبعد مسافة ثلاثين ميلاً وصلت إلى منطقة تغطيها أشجار الصنوبر العالية تدعى «ببلينغ سبرينغز». كان هناك متجر مشيّد من الألواح الخشبية ومحطة بنزين، وكان ذلك كافياً كي أشعر ان المكان يشبه الجنة. ومن هنا بدأ المناخ يميل نحو البرودة.

كان يحرس جسر بحيرة بوما ثلاثة حراس عند طرفيه وفي وسطه. الحارس الأول الذي وصلت إليه طلب مني أن أغلق جميع نوافذ السيارة قبل عبور الجسر. على بعد حوالي مئة ياردة من الجسر يطفو فوق سطح الماء حبل فيه قطع فلّين يمنع القوارب من الاقتراب من الجسر. وباستثناء تلك التفاصيل لم تترك الحرب أثراً كبيراً على بحيرة بوما.

زوارق التجديف تنتشر فوق صفحة المياه الزرقاء بالاضافة إلى

الزوارق المزوّدة بمحركات يعلو هديرها، والزوارق السريعة كانت تتباهى بسرعتها كالأولاد الصغار وتخلّف وراءها دوائر من الزبد ثم تعود والفتيات يصرخن فيها ويضعن أيديهن في الماء. وبسبب تلك الزوارق السريعة كانت المياه ترتجّ، والأشخاص الذين دفعوا دولارين من أجل الحصول على رخصة لصيد السمك كانوا يجاهدون ليعوّضوا جزءاً بسيطاً من هذا المبلغ بصيد شاقّ.

تمر الطريق بجانب منطقة تبرز فيها الصخور الصوّانية وما تلبث ان تنحدر في مراع تغطيها الأعشاب وتبدو فيها أزهار السوسن البري ونبات الترمس بأزهارها البيضاء والأرجوانية والأزهار التي تشبه الأبواق، وهناك نعنع الماء، وكل هذه تضفي على المكان ألواناً ساحرة. وأشجار الصنوبر الصفراء تعلو في السماء الزرقاء الصافية. عادت الطريق لتهبط حتى مستوى البحيرة وبدأت تظهر فتيات بثياب فضفاضة مزركشة تغطي رؤوسهن شباك الشعر ويحملن المناديل الريفية، وينتعلن الصنادل العريضة ويعبرن بأوراكهن البيضاء المكتنزة. الذين يركبون الدراجات كانوا ينتقلون بحذر على الطريق العام ومن حين لآخر كان يمر أحدهم بقربي على دراجة نارية.

على بعد ميل من القرية تنضم إلى الطريق العام طريق فرعية تصعد ملتوية إلى الجبال. وقرأت على لوح خشبي نُصب على جانب الطريق: بحيرة فون ٤ / ١٣ ميل. انعطفت في الطريق الفرعية. ظهرت البيوت الريفية منتشرة على الهضاب في أول ميل قطعته ثم اختفت. وصلت إلى طريق ضيقة جداً وكانت هناك إشارة كتب عليها: «بحيرة فون الصغيرة. طريق خاصة. ممنوع الدخول».

سلكت «بالكرايزلر» تلك الطريق وأخذت أتقدم ببطء وحذر والتفّ حول صخور الصوّان الضخمة والعارية ومن أمام شلال صغير وعبر ممرات محيّرة بين أشجار البلوط الداكنة وأشجار الخشب الشديد الصلابة و«المنزنيتة» والسكون. طائر أبو زريق غرّد فوق غصن، وسنجاب صاح في وجهي وأخذ يضرب بقدمه غاضباً على كوز الصنوبر الذي كان يحمله. ونقّار خشب يعلو رأسه ريش قرمزي توقف عن نقر الغصن حتى ينظر إليَّ بعين تشبه الخرزة ثم انتقل إلى الجهة الأخرى من جذع الشجرة كي ينظر إليَّ بعينه الثانية. وصلت إلى بوابة من خمسة قضبان حديدية لكنها لا تحمل أية إشارة.

خلف البوابة تستمر الطريق بين الأشجار حوالي مائتي ياردة، ثم تظهر فجأة إلى الأسفل بحيرة صغيرة بيضوية الشكل تمتد بين الأشجار والصخور والأعشاب البرية مثل نقطة ندى سقطت في ثنية ورقة. عند طرفها سدّ من الاسمنت له حاجز من الحبال، وعند طرف البحيرة طاحونة قديمة، وبالقرب منها يوجد كوخ مشيد من جذوع الصنوبر التي لم ينزع لحاؤها.

يمكن الوصول إلى الجهة المقابلة من البحيرة بواسطة طريق تلتف حول البحيرة، أو باجتياز السد، وهناك ارتفع كوخ من الخشب الأحمر على هضبة تطل على البحيرة، وأبعد منه يوجد كوخان بينهما مسافة كبيرة أيضاً. كانت الأكواخ الثلاثة مقفلة وهادئة، والستائر فيها جميعاً كانت مسدلة. تغطي نوافذ الكوخ الكبير ستائر معدنية باللونين الأصفر والبرتقالي وهناك اثنتا عشرة نافذة تطل على البحيرة.

إلى الجهة الأبعد من السد، كان هناك رصيف صغير وخيمة بجانبه. وعلى لوحة خشبية كتب بحروف بيضاء كبيرة: «مخيم كَلْكير». لم أجد معنى لوجود مخيم في هذه الناحية. ترجّلت من السيارة وبدأت أهبط حتى وصلت إلى الكوخ الأول. سمعت ضربات فأس خلفه.

طرقت الباب، توقفت الضربات. جلست على حافة صخرة وأشعلت سيجارة. سمعت وقع خطوات من وراء الكوخ، خطوات غير متوازية. بعد قليل رأيت رجلاً بوجه قاسي الملامح وبشرة داكنة يحمل فأساً مربوطاً بالحبال.

كان يميل إلى السمنة والقصر ويعرج أثناء المشي، مع كل خطوة ترفس قدمه اليمنى رفسة صغيرة ويحرك قدمه في حركة ترسم جزءاً من دائرة. أهمل حلق ذقنه وعيناه الزرقاوان ثاقبتا النظر، وله شعر أجعد تلتف خصلاته عند أذنيه ويحتاج إلى التشذيب. كان يرتدي بنطلوناً أزرق وقميصاً أزرق كذلك برزت منه عضلات رقبته السمراء. تدلّت سيجارة من طرف فمه وقال بصوت خشن:

ـ ماذا تريد؟

ـ أنت السيد بيل تشيس؟

ـ أجل!

وقفت وأخرجت رسالة كينغسلي وسلمته إياها. نظر شذراً إلى الرسالة ثم دخل إلى الكوخ وخرج وقد وضع نظارتيه. قرأ الرسالة بتمعّن ثم أعاد قراءتها. وضعها في جيب قميصه وأدخل زر الجيب في العروة ومدّ يده ليصافحني.

ـ سعيد بلقائك يا سيد مارلو.

تصافحنا وكانت يده مثل مبرد الخشب.

ـ تريد ان ترى كوخ كينغسلي، أليس كذلك؟ يسعدني أن أقودك إليه. أخبرني، هل ينوي بيعه؟

كان يتأملني بإمعان وهو يمد إصبعه مشيراً إلى الجهة الثانية من البحيرة.

قلت: قد يفعل ذلك. كل شيء معروض للبيع في كاليفورنيا.

ـ أليس كذلك؟ هذا هو كوخه ... المشيّد بالخشب الأحمر. فيه خطوط من جذوع الصنوبر المليئة بالعقد. سقفه مركّب، جوانبه من الحجارة وفيه عدة أروقة، حمام كامل، وستائر معدنية على كل النوافذ، وموقد كبير ومدفأة في غرفة النوم الكبيرة.. أؤكد لك ان الإنسان يحتاج إليها في الربيع والخريف هنا... تمديدات غاز والخشب متوفر، كل التجهيزات من الدرجة الأولى. كلفته حوالي ثمانية آلاف، وهذا مبلغ سخي بالنسبة لكوخ جبلي. وهو مزوّد أيضاً بخزان ماء في أعلى التلّة.

سألته مجاملة: وماذا عن الضوء الكهربائي والتلفون؟

ـ الضوء موجود، لكن لا يوجد تلفون. لا تستطيع الحصول على تلفون اليوم. وإذا حصلت على الرقم فستكلفك كثيراً تمديدات الخطوط إلى هنا.

نظر إليّ بعينيه الزرقاوين، وكذلك فعلت أنا. بالرغم من بنيته القوية أعتقد انه سكّير، لأن جلده سميك ولّماع وأوعيته الدموية بارزة وفي عينيه التماعة واضحة.

قلت: هل يعيش أحد هنا الآن؟

ـ لا، كانت السيدة كينغسلي هنا منذ بضعة أسابيع. نزلت إلى المدينة. ستعود بين يوم وآخر، على ما أعتقد. ألم يقل ذلك؟

سألته مندهشاً: لماذا؟ هل هي ضمن بيعة الكوخ؟

عبس ثم أرجع رأسه إلى الخلف وانفجر ضاحكاً.

كان هدير ضحكته مثل صوت محرك التراكتور، قضى على صمت الغابة ومزّقه إرباً.

قال لاهثاً: يا إلهي، هذه ملاحظة في محلها! هل هي ضمن بيعة... ثم رفع صوته عالياً بالضحك، وبعد ذلك انطبق فمه كالفخ.

قال وهو ينظر إليَّ بتمعن: فعلاً، إنه كوخ رائع.

سألته: هل الأسّرة مريحة؟

انحنى إلى الأمام وابتسم قائلاً: يبدو انك تودّ ان ترى وجهك عرضة للكدمات.

تأملته وأنا فاغر الفم وقلت: هذا سؤال عادي لا أقصد به الإساءة.

ردّ بصوت مزمجر: ومن أين لي ان أعرف ما إذا كانت الأسّرة مريحة؟ وانحنى صوبي قليلاً كي أصبح على مرمى يده اليمنى إذا لم تعجبه إجابتي.

قلت له: لا أجد سبباً يمنعك من معرفة ذلك. لكنني لن أصرّ على هذه النقطة. سأعرف الإجابة بنفسي.

قال بمرارة: أتظن انني لا أستطيع التعرف على مفتش حين ألتقي به؟ كانت لي معهم جولات في كل ولاية من الاتحاد. أنت غبي

يا صاحبي. وكينغسلي غبيّ أيضاً. إنه يكلف مفتشاً ليعرف ما إذا كنت أنام في سريره، أليس كذلك؟ اسمع، أيها الغبي، قد تكون رجلي مصابة لكن النساء اللواتي أرغب فيهن...

رفعت يدي قليلاً وقد تملكني الخوف ان ينتزعها ويرمي بها في البحيرة.

قلت له محاولاً تهدئته: أنت تسيء فهم الأمر. قدومي إلى هنا لا علاقة له بحياتك العاطفية. إنني لا أعرف السيدة كينغسلي ولم يسبق لي ان رأيت السيد كينغسلي سوى هذا الصباح. ما الذي أصابك؟

خفض عينيه ومسح فمه بظاهر يده بقسوة، كما لو انه يرغب في إيذاء نفسه، ثم رفع يده أمام عينيه وشد على أصابعه في قبضة قوية، ثم عاد وفتحها، وأخذ يحدّق في يده. كانت أصابعه ترتجف قليلاً.

قال ببطء: المعذرة يا سيد مارلو. لقد أسرفت البارحة في الشراب. منذ شهر وأنا أعيش وحدي هنا حتى صرت أتحدث مع نفسي. عندي مشكلة خاصة أيضاً.

ـ وهل يساعدك الشراب؟ ركّز نظره عليَّ مجدداً وقال: وهل أنت تعاني من هذه العادة؟

تناولت زجاجة شراب من جيبي ورفعتها أمامه.

قال: إنني لا أستحق هذا الكرم منك. اللعنة. أنا لا أستحق ذلك. انتظر كي أحضر كأسين أم انك تفضّل ان ندخل إلى الكوخ؟

ـ أفضّل ان نشرب هنا. إنني أستمتع بروعة المشهد.

رفع رجله المصابة ثم مشى إلى الكوخ وعاد وهو يحمل كأسين صغيرين، جلس على الصخرة بجانبي وكانت تفوح منه رائحة العرق الجافّ.

فتحت الزجاجة وملأت له كأسه وصببت لنفسي كمية أقل. رفع كأسه ثم ترشف منها وهو يبتسم وبدأت الفرحة تكسو وجهه.

قال: هذا شراب جيد. لا أعرف لماذا تصرفت على هذا النحو. أعتقد ان الانسان يصاب بالضيق إذا كان وحيداً، بلا رفاق أو أصدقاء حقيقيين، وبلا زوجته. وصمت قليلاً ثم أضاف وهو ينظر إليَّ بطرف عينه: على الأخص بدون زوجته.

لم أرفع عينيَّ عن مياه البحيرة الزرقاء. تحت حافة صخرة عالية التمعت سمكة في ضوء الشمس ومضت تاركة دوائر من الأمواج الصغيرة. نسيم خفيف يحرك الأغصان العالية في أشجار الصنوبر ويصدر حفيفاً كأنه الموج الهادئ.

قال ببطء: لقد تركتني. تركتني منذ شهر. يوم الجمعة في الثاني عشر من شهر حزيران/يونيو. هذا يوم لن أنساه.

تصلّبت لكنني لم أتركه يلاحظ ذلك فملأت له كأسه الفارغ. يوم الجمعة في الثاني عشر من حزيران/يونيو كان اليوم الذي ينبغي ان تعود فيه السيدة كينغسلي إلى المدينة لحضور حفلة هناك.

قال: لكنك لا تود بالطبع ان تسمع هذه القصة. وفي عينيه الزرقاوين الباهتتين بدت رغبة عميقة للتحدث في هذا الموضوع وكانت شديدة الوضوح.

قلت له: ليس هذا من شأني. لكن إذا كانت لديك رغبة في...

أحنى رأسه وقال: وقد يلتقي إثنان صدفة على مقعد في حديقة عامة ويبدآن في التحدث في أمور الدنيا. هل سبق لك ولاحظت ذلك؟ مع ان الواحد منهما قد يرفض التحدث في هذا الموضوع مع أعز صديق لديه.

قلت: أعرف ذلك.

شرب قليلاً وأخذ ينظر إلى البحيرة، وقال بهدوء: كانت امرأة رائعة. لسانها مؤذ في بعض الأحيان، لكنها كانت رائعة. بدأ الحب بيني وبين موريال من النظرة الأولى. التقيت بها في حانة في ريفر سايد منذ سنة وثلاثة أشهر. لم تكن تلك الحانة مكاناً يتوقع فيه المرء ان يلتقي بامرأة مثل موريال، لكن هذا ما حدث. أحببتها وتزوجتها. كنت أعرف ان وضعي سيء، لكنني فضلت عدم مصارحتها بذلك.

تحركت قليلاً لأذكّره بوجودي، لكنني لم أقل شيئاً خوفاً من كسر حالة الكشف التي انتابته. جلست والكأس في يدي لم أتذوقه بعد. إنني أحب ان أشرب، لكن ليس حين يكون الناس في صدد استخدامي كمفكرة لتسجيل أقوالهم.

تابع يقول بنبرة حزينة: وأنت تعرف ماذا يحدث بعد الزواج... بوجه عام. بعد فترة يشعر رجل مثلي، رجل عادي وبسيط مثلي، انه بحاجة إلى رجل ثانية، ربما يكون هذا إحساس حقير، لكنه حقيقي.

نظر إليَّ فقلت له انني سمعت ما قاله.

تجرّع كأسه الثانية، فقدمت له الزجاجة. ارتفع طائر أبو زريق

إلى أعـلى شـجرة صنوبر وهو يقفز من غصن إلى غصن دون ان يحرك جناحيه أو يتوقف قليلاً ليحافظ على توازنه.

قال بيل تشيس: انظر، جميع رفاقي هنا على حافة الجنون، وأنا صرت مثلهم. كنت أعيش مرتـاحاً لا أدفع إيجاراً، وأتقاضى راتباً تقـاعـدياً جيداً كل شهر. ونصف قيمة مكافأتي في حساب توفير مجمّـد، وأنا متزوج من شقراء ناعمة تلفت الأنظار، وطوال هذه الفترة كنت مخبولاً ولم أكن أعرف ذلك، لأنني انصعت لواحدة مثل هذه! قال ذلك وهـو يشير بعصبية إلى كوخ الخشب الأحمر في الجهة المقابلة من البحيرة. يكاد النهار ينقضي والكوخ كان بلون الدم.

قال: هناك خلف تلك النوافذ، كانت تعرض فتنتها ولم تكن تعني لي شيئاً، لكن الإنسان يضعف في بعض الأحيان.

تنـاول الكأس الثالثة ووضـع الزجاجة على صخرة. بحث عن سيجارة في جيب قميصه وأشعل عود الثقاب على ظفر إصبع رجله ونفـخ بسرعـة. تنفست وفتحت فمي، وكنت صامتـاً مثـل سارق يختبىء خلف ستارة.

قال أخيراً: اللعنة! ستقول انني استطيع ان أعبر السدّ وأجد بالقرب من بيتي امرأة مختلفة عن زوجتي. لكنني لم أكن أنظر إلى تلك السيدة من هذه الزاوية. إنها شقراء مثل موريال، وتشبهها في شكلها ولها قامتها ووزنها ولون عينيها. لكن أؤكد لك يا صديقي انهمـا مختلفتان. إنهـا جميلة بـالطبع، لكنهـا ليست أجمل من موريال في نظر أحد، وخاصة بالنسبة لي.

كنت ذات صباح هناك أحرق النفايات، وكعادتي لم أكن أنتبه لشيء سوى لعملي، حين خرجت من باب الكوخ الخلفي وهي ترتدي بيجاما من قماش شفّاف تستطيع ان ترى من خلاله حلمتي ثدييها. قالت لي بصوتها الكسول: «تعال واشرب كأساً يا بيل. لا ترهق نفسك في صباح يوم جميل كهذا». وأنا أحب الشراب كثيراً. لذلك وقفت عند باب المطبخ وتناولت الكأس الأولى. ثم تناولت غيرها وغيرها حتى وجدت نفسي داخل البيت وكلما ازددت اقتراباً منها كانت عيناها توجهان لي الدعوة إلى غرفة النوم.

صمت قليلاً وغمرني بنظرة قاسية وأضاف يقول: أنت سألتني ما إذا كانت الأسّرة مريحة هناك، وأنا غضبت بسبب ذلك. لم تكن تعني شيئاً، لكن الذكرى لاتزال حيّة في أعماقي. أجل ـ السرير الذي استلقيت عليه كان مريحاً.

توقف عن الكلام، ولم أقل شيئاً تاركاً صدى كلماته في الهواء حيث ساد السكون بيننا. انحنى ليرفع الزجاجة عن الصخرة وينظر إليها. كان حائراً، لكن الشراب انتصر عليه كما يحدث دائماً. تناول جرعة كبيرة من الزجاجة مباشرة ثم أقفلها بإحكام، وكأن ذلك يعني شيئاً. تناول حجراً وألقى به في المياه.

قال ببطء وبصوت صار غليظاً من كثرة الشراب: اجتزت السدّ وعدت إلى البيت. وكنت لطيفاً مع زوجتي كأنني أحاول إخفاء شيء معين. نحن الرجال نخطىء في تصّرفاتنا هذه، أليس كذلك؟ قلت لها انني لا أخفي شيئاً. لا شيء إطلاقاً. استمعت إليها وقد بدأت تتكلم دون ان ترفع صوتها. حدثتني عن أشياء كثيرة عني لم أكن أتصور انها تعرفها. وأنا الذي تصورت انني أستطيع اخفاءها.

قلت له بعد ان سكت: تركتك إذاً؟

- في تلك الليلة. لم أكن في البيت؛ شعرت بأنني حقير معها فصعدت في سيارتي الفورد وقصدت الجهة الشمالية من البحيرة والتقيت باثنين تافهين مثلي وشربت حتى الثمالة. لكن الشراب لم يفدني كثيراً. عدت إلى البيت حوالي الساعة الرابعة فجراً، ولم أجد موريال، كانت قد جمعت ثيابها ورحلت ولم تترك سوى رسالة قصيرة على المكتب وعلبة كريم على الوسادة.

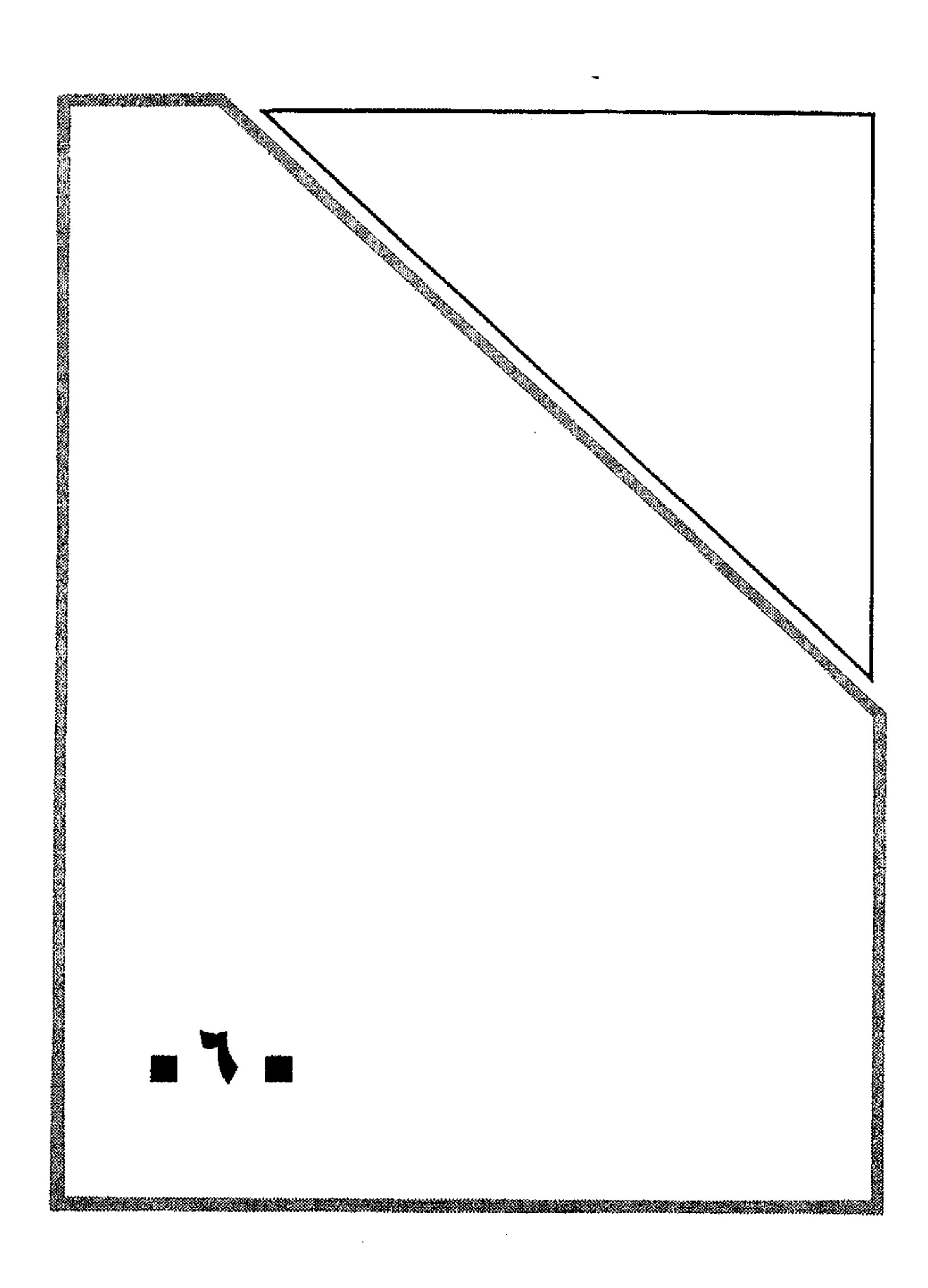
تناول ورقة مطوية من محفظة جيبه الباهتة وأعطاني إياها. كانت ورقة مخطّطة كتب عليها بقلم الرصاص: أنا آسفة يا بيل، لكنني أفضل الموت على العيش معك بعد اليوم، موريال.

أعدت إليه الورقة وسألته وأنا ألتفت إلى كوخ كينغسلي: وماذا عن هناك؟

تناول بيل تشيس حجراً وحاول ان يجعله يقفز على سطح الماء، لكنه لم يتمكن من ذلك.

قال: لا شيء، هي أيضاً جمعت أغراضها ونزلت إلى المدينة في الليلة نفسها. لم أرها منذ ذلك الحين. ولا أريد رؤيتها. لم تصلني أية رسالة من موريال خلال الشهر الماضي، ولا كلمة واحدة. ليست لديَّ أية فكرة حول مكان إقامتها. ربما تكون في صحبة رجل آخر. أتمنى ان يعاملها أفضل مني.

وقف وأخرج مجموعة مفاتيح من جيبه وقال وهو يهزّها: إذا كنت تريد رؤية كوخ كينغسلي هيا بنا شكراً لك لأنك استمعت إلى قصتي. وشكراً على الشراب ورفع الزجاجة وأعطاني ما تبقّى فيها.


٦

هبطنا المنحدر إلى ضفة البحيرة ووصلنا إلى السدّ الضيّق. كان بيـل تشيس يدفع قدمه المصابة أمامه وهو يمسك بطرف الحبل الذي كانت تشده أعمدة حديدية، وكانت المياه تعلو قليلاً فوق جزء من السد.

قال لي دون ان يلتفت : غداً سأترك كمية مياه تتسرب بواسطة الدولاب. هذا السد لا يصلح لشيء. لقد شيّدته منذ ثلاث سنوات شركة سينمائية، صوّروا فيلماً هنا. والرصيف الصغير عند الطرف الآخر هم الذين شيّدوه أيضاً. لقد قاموا بتهديم معظم المنشآت التي أقـاموها، لكن كينغسـلي طلب منهم ان يتركوا السد ودولاب الطاحونة. إنهما يضفيان على المكان لمسة جميلة.

صعدت خلفه على سلم خشبي للوصول إلى كوخ كينغسلي. فتح الباب ودخلنا إلى البيت الهادىء.

كانت الغـرفـة المغلقة حارة إلى حد ما؛ والضوء الذي اخترق الستائر رسم خطوطاً نحيلة على الأرض. غرفة الجلوس كانت طويلة ومريحة ويغطي أرضها سجاد هندي. فيها مقاعد ريفية لها مفاصل معدنية بارزة؛ الستائر من القماش القطني المطبّع، والأرض مكسوة

بالألواح الخشبية، وفي الغرفة مجموعة من المصابيح، وفي الزاوية شُيد بار صغير تلتف حوله مقاعد مستديرة. كانت الغرفة نظيفة ومرتبة ولا تبدو كأنها تركت على عجل.

دخلنا إلى غرف النوم. إثنتان من بينها كانت تضم الواحدة منهما سريرين، وفي الغرفة الثالثة سرير كبير لشخصين عليه غطاء بلون أصفر شاحب يزيّنه رسم مطرّز بخيطان الصوف لونه أرجواني داكن. إنها غرفة النوم الرئيسية، هذا ما قاله بيل تشيس. على طاولة الزينة ذات الخشب اللّماع صُفت أدوات التجميل والاكسسوار مرتبة في علب لماعة بلون أخضر مزرق أو في علب من الفولاذ الذي لا يصدأ، بالاضافة إلى مجموعة متناسقة من المساحيق ووعاءين زجاجيين يحتويان على الكريم كان عليهما نقش ذهبي من شركة جيلرلاين. حائط بأكمله ضم خزائن بأبواب جرارة. فتحت واحداً منها وألقيت نظرة على الداخل. كانت الخزانة مليئة بثياب نسائية تصلح للمنتجعات. كان بيل تشيس يراقبني بمرارة فيما كنت ألمسها لأتفحصها. أغلقت الباب وفتحت درجاً كبيراً تحته. كان يحتوي على أكثر من نصف دزينة من الأحذية التي لاتزال جديدة. أغلقت الدرج والتفت نحو بيل تشيس الذي كان مسمراً أمامي، ملامح الغضب على وجهه ويداه مشدودتان على جنبيه.

سألني بصوت عالٍ وشرس: لماذا تنظر إلى ثياب السيدة؟

قلت له: لديَّ أسباب لذلك. فعلى سبيل المثال لم تعد السيدة كينغسلي إلى بيتها في اليوم الذي غادرت فيه هذا المكان. زوجها لم يرها منذ فترة ولا يعرف مكان إقامتها.

ارتاح قليلاً وأرخى أصابع يديه وقال بنبرة حادة: أنت مفتش حقاً. أول تخمين يصيب دائماً. كدت أقنع نفسي انك لست مفتشاً. لقد قلت لك الكثير، كنت غبياً جداً. كم أنا أحمق!

قلت وأنا أستدير حوله للذهاب إلى المطبخ: إنني أحترم الحديث الخاص كما يحترمه أي شخص آخر.

في المطبخ رفوف للتوضيب خضراء وبيضاء، ومغسلة من خشب الصنوبر الأصفر مطلية بالورنيش، وسخّان ماء أوتوماتيكي في الرواق؛ ومن الجهة الثانية غرفة طعام مفتوحة على المطبخ ولها نوافذ كثيرة، وبدت على رفوفها أوانٍ عديدة. الرفوف ذات ألوان زاهية وعليها أطباق ملونة وكؤوس ومجموعة من أواني «البيوتر»(*).

كل شيء كان مرتب. لم يكن هناك كوب وسخ أو صحن في المغسلة، ولا كأس ملطخ أو زجاجة شراب فارغة في زاوية من الزوايا. لم يكن هناك نمل أو ذباب، وإذا كانت السيدة ديراس كينغسلي تعيش حياة لهو وخلاعة فإنها تجيد إخفاءها.

عدت إلى غرفة الجلوس ثم خرجت إلى الرواق ثانية وانتظرت بيل تشيس كي يقفل الباب. عندما فرغ من ذلك والتفت نحوي دون ان يتخلّى عن عبوسه، قلت له: أنا لم أطلب منك ان تفضي إليَّ بما في قلبك وتفصح عن مشاعرك أمامي، لكنني لم أحاول منعك عن ذلك. لا داعي لأن يعرف كينغسلي بتودّد زوجته لك، إلَّا إذا كان هذا الموضوع يخفي أموراً لا أقدر الآن ان أتبينها.

قال: لعنة الله عليك وظلّ عبوسه كما هو.

(*) البيوتر: خليط معدني مقومه الأساسي القصدير.

ـ حسناً، اللعنة عليَّ. هل هناك احتمال أن تكون زوجتك وزوجة كينغسلي غادرتا المنطقة سوياً؟

ـ لا أفهم ما تعنيه.

ـ بعد مغادرتك البيت لتحاول نسيان مشاكلك، قد تكون السيدة كينغسلي وزوجتك تشاجرتا، ثم تصالحتا وأخذت كل واحدة تبكي وتبوح بما يضايقها للأخرى. وربما تكون السيدة كينغسلي اصطحبت في سيارتها زوجتك، لأن زوجتك تحتاج إلى وسيلة تغادر بها هذا المكان المعزول، أليس كذلك؟

إنه تحليل أحمق لكنه تابعه بجدية.

ـ لا، موريال لا تبكي ولا تبوح بمشاكلها لأحد. انها لا تبكي أبداً. وإذا انتابتها رغبة في البكاء على كتف أحد فإنها لن تختار ذات القدمين الصغيرتين. أما بالنسبة لوسيلة السفر فإنها تملك سيارة فورد خاصة بها لأنها لا تستطيع ان تقود سيارتي بسهولة لأن أجهزتها أعدت خصيصاً لتلائم رجلي المصابة.

ـ كانت مجرد فكرة عابرة.

ـ إذا صادفتك أفكار أخرى مماثلة، دعها تذهب في طريقها.

ـ أنت رجل تكشف عن معاناتك أمام أشخاص غرباء، ولكنك في الوقت نفسه حسّاس للغاية.

تقدم نحوي وقال: هل ستستخدم ذلك ضدي؟

قلت: اسمع يا صاحبي، إنني أحاول جاهداً ان أقنع نفسي بأنك رجل طيب. ساعدني أرجوك، ألا تستطيع.

تنفّس بصعوبة وأخذ يلوّح بيديه تعبيراً عن يأسه وقال متنهداً:

يبدو انني بالفعل مصدر غبطة للآخرين! هل تريد ان نسلك الطريق التي تلتف حول البحيرة للعودة؟

ـ بكل تأكيد، إذا كانت رجلك تحتمل هذه المسافة.

ـ مشيتها مرات عديدة من قبل.

بدأنا السير جنباً إلى جنب كصديقين حميمين. كانت الطريق، التي لا تكاد تتسع لسيارة، أعلى من مياه البحيرة وتمر بمحاذاة صخور كبيرة، وعند منتصف المسافة في الطرف الآخر للبحيرة ظهر كوخ آخر مبني على الصخور. أما الكوخ الثالث فكان بعيداً عن طرف البحيرة، على مساحة مستوية من الأرض. كلاهما مقفل ومهجور منذ فترة.

قال بيل تشيس بعد بضع دقائق: هل صحيح ان ذات القدمين الصغيرتين هربت فجأة كما قلت؟

ـ هكذا تظهر الأمور.

ـ هل أنت شرطي أم مجرد مفتش خصوصي؟

ـ مجرد مفتش خصوصي.

ـ وهل هربت مع رجل؟

ـ أرجح ذلك .

ـ من المؤكد انها فعلت ذلك. هذا الاحتمال مضمون. حتى كينغسلي فإنه يعرف ذلك. كان لديها أصدقاء كثيرون .

ـ وتلتقي بهم هنا؟

لم يجبني.

ـ هل كان أحدهم يُدعى لايفري؟

ـ لا أعرف.

ـ أمر هذا الصديق لم يعد سراً. لقد أرسلت إلى زوجها برقية من آل باسّو تقول فيها أنها مسافرة مع لايفري إلى المكسيك. وتناولت البرقية من جيبي وأعطيتها له. وضع نظارتيه وتوقف ليقرأها. أعاد إليَّ الورقة وخلع نظارتيه وهو يتأمل المياه الزرقاء.

قلت: أمر هذه البرقية يجب ان يظل سرياً، تستطيع ان تحسبها مقابل ما أفضيت به من مشاكلك الشخصية.

قال ببطء: لايفري كان هنا منذ فترة.

ـ اعترف انه رآها منذ حوالى شهرين هنا. وادعى انه لم يشاهدها منذ ذلك الحين، لا نعرف ما إذا كان صادقاً في ذلك أم لا. ليس هناك ما يدعو إلى تصديقه، أو عدم تصديقه.

ـ هل هي معه الآن؟

ـ إنه ينفي ذلك.

قال بهدوء: لا أعتقد انها تزعج نفسها بتفاصيل صغيرة كالزواج. قد تختار ان تقضي شهر نقاهة في فلوريدا مثلاً، هذا ما تفكر فيه.

ـ ألا تستطيع إعطائي معلومات أكيدة؟ هل رأيتها وهي ذاهبة أم انك سمعت شيئاً يدل على ذلك؟

ـ لا، وحتى لو كنت أعرف شيئاً، لا أظن انني سأبوح به. أنا دنيء لكن ليس إلى هذا الحد.

ـ حسناً، شكراً لك على محاولتك مساعدتي.

ـ لا داعي لأن تشكرني. اللعنة عليك وعلى جميع المفتشين أمثالك .

ـ ها نحن نعود ثانية إلى هذا الحديث .

وصلنا إلى نهاية البحيرة. تركته واقفاً ومشيت قليلاً على الرصيف الصغير. أسندت ذراعي على الحاجز الخشبي عند طرفه ورأيت ان الخيمة التي شاهدتها عن بعد كانت في الواقع مكوّنة من حائطين مدعّمين يلتقيان في زاوية باتجاه السدّ، وكان السطح ملتصقاً بهما كالإفريز المائل. أقبل بيل تشيس من خلفي ووقف بجانبي.

قال: لا تظن أنني لا أشكرك على الشراب.

ـ حسناً. هل هناك سمك في البحيرة .

ـ بعض أسماك السلمون المرقّطة والبارعة. لا يوجد الكثير منها. أنا لا أصطاد غالباً. لا أهتم بالسمك. أعتذر لأنني عدت إلى الخشونة ثانية.

ابتسمت له وأخذت أحدق في عمق المياه الساكنة. كانت خضراء اللون في الأسفل. ارتجت المياه في العمق وتحركّت بسرعة سمكة خضراء.

قال بيل تشيس: هذا هو الجد. أنظر إلى هذا الحيوان الهرم! يجب ان يخجل من نفسه لأنه صار سميناً إلى هذا الحد!

تحت سطح المياه لاحظت وجود أرضية من ألواح الخشب، ولم أفهم الداعي لذلك، فسألته:

ـ كان هذا مكاناً ترسو فيه القوارب قبل تشييد السد الذي رفع منسوب المياه لدرجة ان المرسى القديم صار على عمق ستة أقدام.

زورق مسطّح القعر رُبط بحبل إلى دعامة في الرصيف كان يطفو على سطح الماء بدون حركة تقريباً. كان الهواء هادئاً ولطيفاً وشمس النهـار تسطع بنورها ويحيط بالمكان سكون عميق لا تعرفه حياة المدن. أستطيع أن أقف هناك ساعات لا أفعل فيها شيئاً وأنسى ديراس كينغسلي وزوجته وأصدقاءها.

فجأة تحرك بيل تشيس بعنف بجانبي وقال: أنظر هناك! جاء صوته هادراً كأنه الرعد في الجبال.

غرس أصـابعـه القـاسيـة في ذراعي لدرجة انني كدت أفقد صوابي من شدة الألم. كان منحنياً على الحاجز ويحدق إلى الأسفل كالمجنون وقد ابيضّ وجهه من شدة الهول. نظرت معه بدوري في عمق المياه عند حافة السقالة الغارقة.

عند طرف الألواح الخشبية رأيت شيئاً يتحرك ببطء في الأعماق الداكنـة، ويـراوح مكـانـه ليعود ثانية إلى مخبئه تحت الأرضية ويختفي عن أنظارنا.

كان ذلك الشيء يشبه الذراع البشرية.

استوى بيل تشيس في وقفته وظلّ متصلباً. استدار بدون صوت ومشى متثاقلاً على الرصيف. انحنى فوق كومة من الحجارة وأخذ يرفعها جاهداً. صوت لهاثه وصل إلى مسمعي. عثر على حجر كبير فانتشله من بينها ورفعه إلى صدره والتفت ليعود به إلى الرصيف. يكاد وزنه يصل إلى مئة باوند تقريباً. برزت عضلات رقبته وبدت شرايينها كالحبال تحت جلده الأسمر المشدود. كان يضغط بقوة على أسنانه وأنفاسه تتصاعد وتصفر من بينها.

وصل إلى نهاية الرصيف واستوى في وقفته رافعاً الصخرة عالياً. ظل واقفاً لفترة قصيرة وعيناه تراقبان القاع وتحدّدان المقاييس. أطلق صرخة ألم غامضة وانتفض جسده إلى الأمام ليرتطم بالحاجز المهتزّ وسقط الحجر الضخم بعنف في الماء.

رشاش الماء غمرنا معاً. غاصت الصخرة إلى العمق وارتطمت بحافة الأرضية الخشبية الغارقة، في المكان الذي رأينا فيه ذلك الشكل يظهر ثم يختفي.

مرت لحظات كانت المياه فيها تفور باضطراب، ثم بدأت الأمواج تتسع وتتباعد، وصارت تصغر تدريجياً لتترك في النهاية آثاراً من الزّبد في الوسط، وسمعنا صوتاً كأنه صوت تكسّر الأخشاب في العمق: صوت وصلنا بعد فترة من سقوط الحجر، وفجأة برز جزء من لوح خشبي عتيق ومتعفّن، ثم استوى وطفا بعيداً.

استعادت المياه صفاءها، وتحرك في أسفلها جسم غير اللوح الخشبي. بدأ يعلو ببطء، وبهدوء تام، جسم داكن وملتفّ كان يتمايل بتثاقل في الماء أثناء صعوده. وصل إلى السطح بخفة واخترقه متمهّلاً. رأيت نسيجاً صوفياً أسود، وسترة جلدية سوداء أشد دكنة من لون الحبر وبنطلوناً فضفاضاً، وحذاء وجسماً منتفخاً بين الحذاء وطرف البنطلون. ورأيت خصلة من الشعر الأشقر طفت على سطح الماء وظلت ساكنة لفترة كأنها تحسب مدى تأثيرها علينا ثم التفّت وتشابكت.

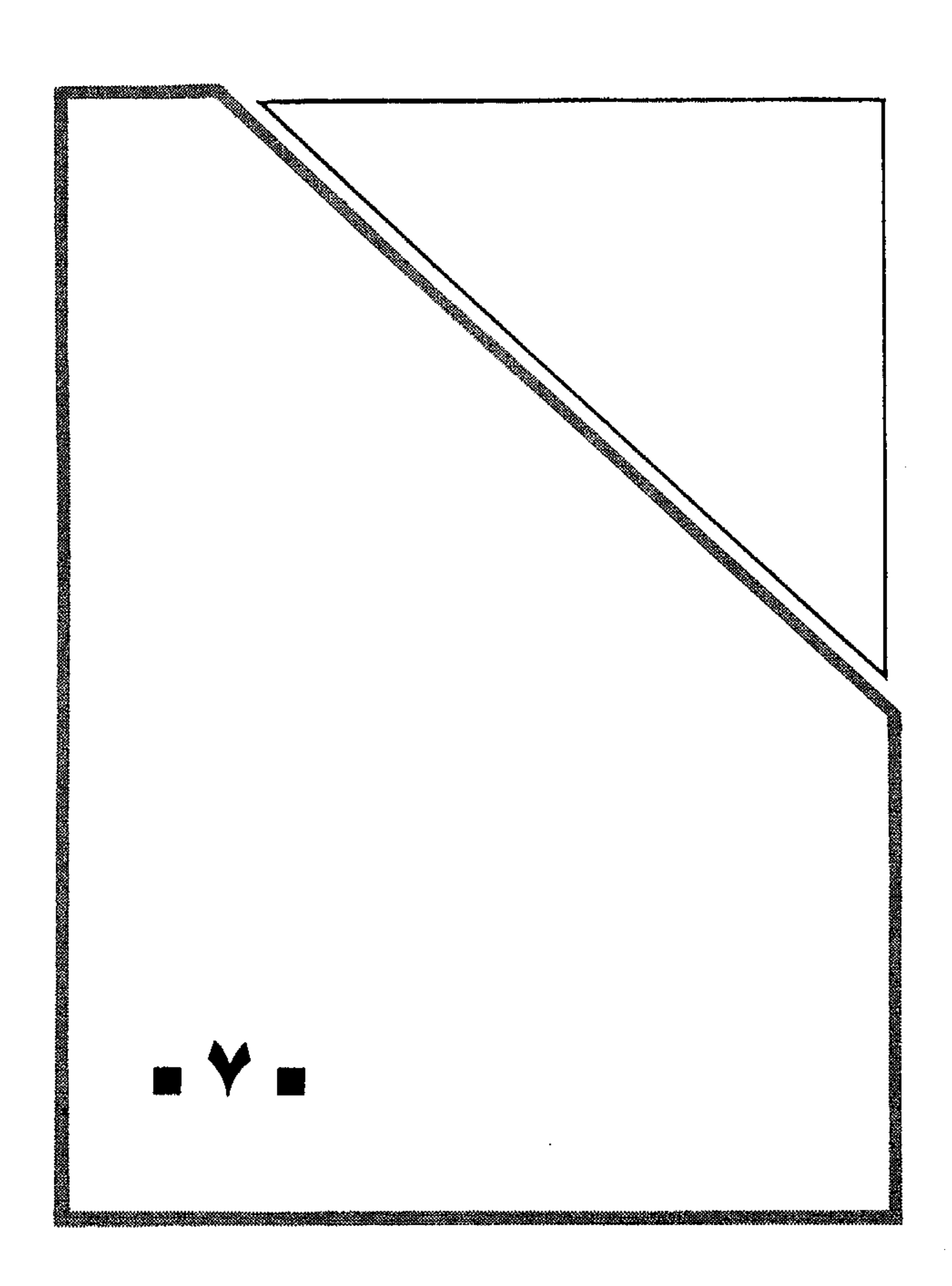
استدار الجسم مرة أخرى وبدت ذراع بيد مشوّهة امتدت قليلاً فوق الماء. ثم برز الوجه، وكان كتلة منتفخة لونها رمادي وأبيض،

بدون ملامح وبدون عينين أو فم، كتلة من العجين الرمادي، طيف مروّع له شعر انسان.

عقد ثقيل من الحجارة الخضراء كان يلتف حول الرقبة، حجارة نصف بارزة كبيرة تصل فيما بينها سلسلة لماعة.

بيل تشيس شدّ بيديه على الحاجز حتى برزت عظامه، ثم قال بصوت خفيض أجش: موريال! يا إلهي، هذه موريال!

بدا صوته وكأنه يترامى من مكان بعيد جداً، من خلف التلّة، مجتازاً حرجاً كثيفاً وساكناً من الأشجار.


■ ٧ ■

تحت نافذة الكوخ الخشبي كانت هناك منضدة ارتفعت عند طرفهـا كومة من الملفات المغبّرة. وعلى الجزء الزجاجي الأعلى من البـاب كتب بالحبر الأسود: «قـائد الشرطة ـ قائد الاطفائية ـ المسؤول عن الأمن في البلدة. غرفة التجارة». وفي الزاوية السفلى عُلِّقت بطاقة تحت شعار مؤسستين للإغاثة.

دخلت الغـرفـة. في الزاوية مدفأة كبيرة وخلف المنضدة طاولة مكتب. على الحائط خارطة كبيرة للمنطقة طغى عليها اللون الأزرق، وبجانبها لوح عليه أربع خُطّافات، عُلقت على خطّاف منها سترة رسمية باهتة، رُتقت من عدة أماكن. وعلى المنضدة بالاضافة إلى الملفـات يوجد قلم له قاعدة ونشّافة عتيقة ومحبرة. وعلى الحائط خلف المكتب حفرت أرقام تلفون على الخشب لتظل محفوظة مكانها وبدت كأن طفلاً هو الذي حفرها.

جلس رجل إلى المكتب على مقعد خشبي يرتكز إلى لوحين طويلين كأنهمـا زحّـافتـين للثلج. بجانبه وعاء كبير للبصاق. كان يرتدي بنـطلوناً من قماش كاكي صار رقيقاً من كثرة الاحتكاك، قميصه كانت بلون البنطلون وباهتة أكثر منه. قبتها تضغط على رقبة الرجل

المكتنزة والذي لم يضع رباط عنق. شعره بني ويغدو أبيض بلون الثلج عند صدغيه. كان يميل إلى وركه الأيسر لأنه يضع حزاماً جلدياً برز فيه مسدس من عيار خمسة وأربعين طوله حوالي نصف قدم. أحد أطراف النجمة المعدنية المعلقة على صدره كان ملتوياً.

أذناه كبيرتان وعيناه ودّيتان وفكّاه يمضغان ببطء كسنجاب مسالم. أعجبني شكله كثيراً. انحنيت على المنضدة ونظرت إليه، ونظر بدوره إليّ، وأحنى رأسه ليبصق كتلة من التبغ كان يمضغها.

أشعلت سيجارة والتفت أبحث عن منفضة. قال الرجل الكبير بود: جرّب الأرض يا بني.

- هل أنت الشريف باتون؟

- مسؤول الأمن ووكيل شريف. أي شيء يتصل هنا بالقانون هو من اختصاصي. حتى موعد الانتخابات. هناك مرشحان ضدي هذه المرة وقد أخسر منصبي. انني أتقاضى ثمانين دولاراً في الشهر، وعندي هذا الكوخ، وخشب للموقد وكهرباء. وهذه ليست أشياء تافهة في هذه الجبال القديمة.

قلت له: لن يستطيع أحد ان يحلّ مكانك لأنك ستربح حملة دعائية كبيرة.

سأل بلا مبالاة: حقاً؟ وبصق ثانية.

- هذا إذا كانت سلطتك تمتد حتى بحيرة فون الصغيرة.

أرض كينغسلي. بالطبع. هل توجد مشكلة هناك، يا بني؟

- هناك سيدة ميتة في قاع البحيرة.

هزته الصدمة في أعماقه. مدّ يديه ورفع واحدة منها ليحكّ أذنه.

وقف وهو يمسك بذراعي الكرسي ويدفعه قليلاً من تحته إلى الوراء. حيث وقف بدا رجلاً ضخماً وقوي البنية، وسمنته تثير نوعاً من الارتياح.

سألني متضايقاً: ومن هي هذه السيدة؟

- إنها موريال تشيس. أعتقد انك تعرفها. إنها زوجة بيل تشيس .

- أجل، أعرف بيل تشيس. وصار صوته أكثر توتّراً.

- تبدو حادثة انتحار. لقد تركت لزوجها رسالة تقول فيها انها ستتركه، ويمكن تفسير ما كتبته على انه رغبة بالانتحار.

شكل الجثة منفّر بعد مضي وقت طويل عليها في الماء؛ منذ حوالى شهر كما يُستدل من سياق الأحداث.

حكّ أذنه الثانية وقال: وأية أحداث؟

كانت عيناه تبحثان عن الرد على وجهي، ببطء وبهدوء، ولم يبد عليه أنه مستعجل للبدء بالتحقيق.

- لقد اختلفت مع زوجها منذ شهر. ذهب بيل إلى الشاطىء الشمالي للبحيرة حيث أمضى عدة ساعات. حين رجع كانت قد رحلت. لم يرها منذ ذلك الحين .

- فهمت. وأنت، من تكون، يا بني؟

- اسمي مارلو. لقد جئت من لوس انجلوس لألقي نظرة على كوخ كينغسلي، وكنت أحمل رسالة من السيد كينغسلي إلى بيل تشيس. سلكنا الطريق التي تلتف حول البحيرة وتوقّفنا قليلاً عند الرصيف الصغير الذي شيدته الشركة السينمائية. وفيما نحن

نتأمل المياه الصافية رأينا شكلاً يشبه الذراع البشرية يتحرك من تحت الأرضية الخشبية الغارقة، أي المرسى القديم.

قذف بيل بصخرة كبيرة في الماء فصعدت الجثة إلى السطح.

نظر إليَّ باتون دون ان تتغير ملامحه.

- اسمع أيها الشريف، ألا تعتقد اننا يجب ان نذهب إلى هناك؟ لقد تركت الرجل في حالة جنون من هول الصدمة وهو بمفرده الآن.

- كم تناول من الشراب؟

- تناول القليل حين كنت معه. وأنا أيضاً شربت قليلاً. كنا نشرب ونتحدّث.

وقف وفتح درجاً في مكتبه. أخرج منه عدة زجاجات ورفعها أمام الضوء.

قال وهو يشير إلى إحداها: هذه مليئة تقريباً. وقد تهدىء من روعه. المقاطعة لا تعطيني ثمن هذا الشراب، وأنا احتفظ به للحالات الطارئة. أنا لا أذوقه أبداً، ولا أفهم كيف يترك الناس أنفسهم يتعلّقون به.

وضع الزجاجة جانباً ثم أغلق الدرج وكتب على بطاقة علّقها على الباب: سأعود بعد عشرين دقيقة - على الأرجح.

- سأتركك قليلاً كي أحضر الدكتور هوليس، ثم أعود لنذهب سوياً، هل هذه سيارتك؟

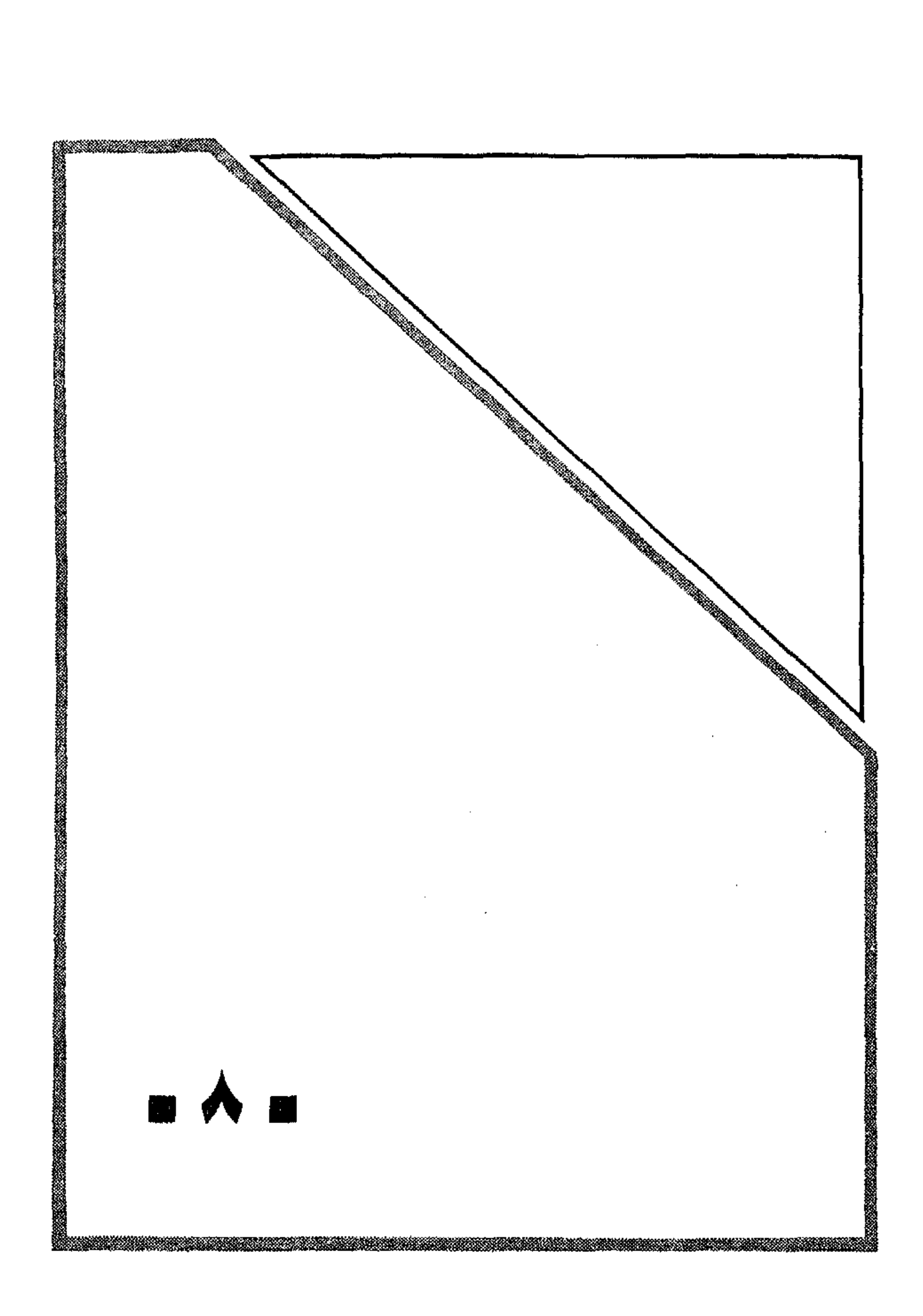
- أجل.

- ستلحق بنا إذاً!

صعد في سيارة تحمل جهاز إنذار، ولها مصباحان بضوء أحمر ومصباحان للضباب، وفيها لوحة بيضاء وحمراء للاطفائية، وعلى سطحها ثبت جهاز إنذار للغارات الجوية زوّدت به حديثاً، وثلاث فؤوس، ولفّتان من الحبال الغليظة، وجهاز لإطفاء الحريق وضع على المقعد الخلفي، ووعاءان إضافيان للبنزين والزيت، وأوعية للمياه كانت معلقة على الجانبين، ودولاب إضافي رُبط بحبل في الخلف، وكانت المقاعد ممزّقة برزت حشوتها القذرة في أكثر من مكان، ونصف انش من الغبار يكسو ما تبقى من الطلاء.

من الجهة اليمنى للحاجب الزجاجي ألصق ورقة بيضاء كتب عليها بحروف كبيرة: أيها الناخبون، انتبهوا! انتخبوا جيم باتون مسؤولاً عن الأمن. إنه كبير ولا يستطيع البحث عن عمل آخر.

استدار بالسيارة وانطلق عبر الشارع مخلّفاً وراءه سحابة من الغبار الأبيض.


٨

توقّف أمام مبنى أبيض مقابل مركز المحطة. دخل إلى المبنى ثم خرج برفقة رجل صعد إلى المقعد الخلفي وهو يحمل الفؤوس والحبل. عادت السيارة الرسمية إلى مركز الشرطة ومن هناك تبعتها بسيارتي. اجتزنا الشارع الرئيسي وكان على جانب الطريق رجال ونساء ببنطلونات طويلة وقصيرة وقمصان بحارة ومناديل مرسومة وركب بارزة وشفاه قرمزية. بعد القرية صعدنا في طريق مغبّر وتوقفنا أمام كوخ. شدّ باتون الصفّارة قليلاً ففتح الباب رجل يرتدي بنطلوناً بحمّالتين.

قال له باتون: هيا يا آندي. لدينا شغل.

أحنى الرجل رأسه موافقاً وعاد إلى داخل الكوخ، ثم خرج بعد قليل وهو يعتمر قبعة صيد رمادية. جلس وراء المقود فيما تنحى باتون جانباً. كان في الثلاثين، أسمر البشرة ونحيلاً، وبدا انه من السكان المحليين، متوسط الحال ويسعى لكسب المال بشتى الطرق.

انطلقنا باتجاه بحيرة فون الصغيرة وكنت ألتهم من الغبار ما يكفي لإعداد مجموعة فطائر من الوحل.

عند البوابة الحديدية نزل باتون وفتحها وتابعنا طريقنا نزولاً

حتى مستوى البحيرة. نزل باتون ثانية وتقدم نحو حافة الماء وأخذ ينـظر إلى الرصيف. كان بيـل تشيس يجلس عاري الصدر على الأرض ورأسه بين يديه والجثة ممدّدة إلى جانبه.

قال باتون: نستطيع ان نتقدم أكثر بالسيارة.

وتقدمت السيارتان حتى حافة البحيرة، وترجلنا نحن الأربعة ووقفنا على الرصيف خلف بيل تشيس. تريّث الدكتور قليلاً لكي يسعل بقوة وقد غطّى فمه بمحرمة، ثم أخذ يتفحص المحرمة. كان رجلاً بارز العظام وعلى وجهه ملامح الحزن والشحوب.

كانت الجثة ممددة على الألواح الخشبية ووجهها إلى الأسفل، وهناك حبل تحت ذراعيها. ثياب بيل تشيس ملقاة جانبا. كان يمدّ رجله المتصلبة والمبقّعة عند الركبة أمامه، فيما طوى رجله الأخرى ليسند، رأسه إليها. لم يتحرك أو ينظر إلينا.

فكّ باتون زجاجة الشراب عن حزامه وقدمها له.

- إشرب يا عزيزي بيل .

انتشرت في الهواء رائحة مريعة ومقزّزة، ولم يبد على بيل تشيس انه كان يشمّها، ولا باتون أو الدكتور. أحضر آندي حراماً مغبّراً من السيارة وغطّى به الجثة. ثم وبدون ان ينبس بكلمة واحدة ابتعد عنا وأخذ يتقيأ.

تناول بيل تشيس جرعة كبيرة وظل جالساً يمسك بالزجاجة قرب رجله العارية. بدأ يتحدث بصوت حاد ومشدود، دون ان يلتفت إلى أحد، ودون أن يوجّه الحديث إلى شخص معين. تكلم عن الخلاف الذي حصل بينه وبين زوجته، وعما حدث بعد ذلك، لكنه لم يذكر

السبب، ولم يُشر إلى اسم السيدة كينغسلي حتى في سياق الحديث. قال انه بعد ذهابي أحضر حبلاً ونزع ثيابه وغاص في الماء لينتشل الجثة. جرّها إلى الشاطىء ثم رفعها على ظهره وحملها إلى الرصيف. لا يعرف لماذا فعل ذلك. ثم نزل إلى الماء ثانية. ولم يقل لنا لماذا!؟

وضع باتون قطعة تبغ في فمه وأخذ يمضغها بصمت ولم تكن عيناه الهادئتان تكشفان عن أية انطباعات. ثم شدّ على أسنانه وانحنى ليرفع الغطاء عن الجثة. أدار الجثة بحذر، كأنه يخاف ان تتفكك. انعكست أشعة شمس آخر النهار على أحجار العقد الخضراء الكبيرة والتي غار جزء منها في الرقبة المنتفخة. لم تكن الحجارة مصقولة أو لها بريق، كأنها حجارة عادية، أو تقليد اليشب، وكان يصل طرفي العقد مشبك على شكل نسر مرصّع بأحجار برّاقة.

وقف باتون ثانية وتمخّط في محرمة ملوّنة.

ـ ما رأيك يا دكتور؟

ـ بماذا؟ سأله الرجل النحيل .

ـ سبب الوفاة وتاريخها .

ـ هل فقدت عقلك يا جيم باتون؟

ـ لا تستطيع ان تحدّد شيئاً، أليس كذلك؟

ـ من مجرّد النظر إلى هذه الجثة؟ يا إلهي!

تنهّد باتون وقال: يبدو عليها انها قضت غرقاً، لكننا لا نستطيع التأكد من ذلك الآن. قد تتعرض الضحية لطعنة خنجر أو تتناول جرعة من السم، أو أي شيء آخر، ثم يعمد المجرم الى رميها في

الماء ليوهمنا بأسباب مختلفة.

سأله الدكتور متهكماً: وهل عندك حالات كثيرة مشابهة هنا؟

قال باتون وهو يراقب بيل تشيس بطرف عينيه: لم أعرف هنا سوى جريمة واحدة، والقتيل كان العجوز ميتشام الذي يقيم عند الضفة الشمالية. كان يمتلك كوخاً في «شيدي كانيون»، وفي الصيف كان يعمل في التنقيب عن الذهب في منجم قديم في الوادي بالقرب من «بلتوب». لم يشاهده أحد في القرية في الخريف الماضي، ثم تساقطت الثلوج بكثافة، فتهافت سقف بيته. فقصدنا البيت نحاول اصلاحه مما لحقه من أضرار، وكنا نعتقد ان العجوز ترك القرية ليمضي الشتاء بعيداً عن الجبل دون ان يعلم أحداً، كما يفعل المنقّبون العجائز أحياناً. لكن العجوز لم يكن قد غادر القرية أبداً. وجدناه ممدّداً على سريره وفي مؤخّرة رأسه انغرست فأس قاتلة. لم ننجح في معرفة القاتل. قد يكون شخصاً ظن ان العجوز يخبىء كمية من الذهب الذي عثر عليه أثناء تنقيبه طيلة أشهر الصيف.

قال ذلك ونظر مطوّلاً إلى آندي. وكان هذا الأخير يتحسس أحد أسنانه، وما لبث ان قال:

ـ نحن بالطبع نعرف مَنْ الذي ارتكب الجريمة. انه غي بوب. لكن غي بوب مات بالالتهاب الرئوي قبل تسعة أيام من العثور على جثة ميتشام .

قال باتون: قل أحد عشر يوماً.

ردّ آندي الذي يرتدي قبعة الصيد : تسعة.

ـ كان ذلك منذ تسع سنوات يا آندي. ليكن الأمر كما تشاء، ولماذا تعتقد ان غي بوب هو القاتل؟

ـ لقد وجدنا عنده حوالي ثلاث أونصات من الحجارة الصغيرة بالإضافة إلى كمية من غبار الذهب. وغي لم يسبق له ان وجد في منجمه قطع ذهب أكبر من حبات الرمل. أما العجوز فكان لديه قطع كبيرة في معظم الأحيان .

قال باتون وهو يبتسم لي بطريقة مبهمة: هذا ما يحدث عادة، لأن المجرم يترك دائماً دليلاً ما، أليس كذلك؟ مهما كان حذراً .

ـ هذا ما يقوله رجال الشرطة. قال بيل تشيس باشمئزاز ووقف ليرتدي بنطلونه، ثم جلس ليرتدي قميصه وينتعل حذاءه. وحين انتهى وقف ثانية ورفع الزجاجة ليتناول جرعة منها ثم يضعها بحذر على الأرض. وأشار بيده التي يكسوها الشعر إلى باتون قليلاً بصوت وحشي:

ـ هذا أسلوبكم في معالجة الأمور، تحاولون الانتهاء من أية قضية في أسرع وقت.

تجاهل باتون ملاحظته ومشى نحو الحاجز وأخذ ينظر إلى الماء.

ـ إن مكان وجود الجثة غريب فعلاً. لا يوجد تيار يُذكر، ربما يكون هناك تيار قرب السد .

هدأ بيل تشيس قليلاً وقال: لقد فعلت ذلك بنفسها، أيها الأحمق. موريال كانت تجيد السباحة. لقد غاصت إلى القاع وسبحت تحت الألواح الخشبية وابتلعت الماء. ليس هناك تفسير آخر.

ردّ عليه باتون بلطف: لست متفقاً معك تماماً في ذلك يا بيل. وكانت عيناه خاليتين من أي معنى كأنهما قطعتان من الصفيح.

هزّ آندي رأسه نظر إليه باتون مبتسماً بطريقة خبيثة وقال: أما زلت تفكر في الأمر يا آندي؟

قال الرجـل وكـان نكـد المزاج: قلت لك، قبل تسـعة أيام، لقد حسبتها الآن.

رفـع الدكتـور يديه إلى الأعلى ومشى بعيداً، واضعاً يده على رأسه. سعل مرة ثانية والمحرمة على فمه، ونظر إلى المحرمة بتمعن.

نظر إليَّ باتـون يغمزني بعينيه ويقول: دعنا يا آندي نفكر في القضية الماثلة أمامنا الآن.

ـ هل تستطيع ان تسحب جثة على عمق ست أقدام تحت سطح الماء؟ .

ـ لا، لا أظن ذلك، لكن هل هناك سبب يمنع استخدام حبل لهذه الغاية يا آندي؟

هزَّ كتفيه وقال: الحبل يترك آثاراً على الجثة، وإذا كان المجرم سيترك هذا الدليل وراءه، لا داعي لأن يحاول إخفاء شيء من البداية.

قال باتون: قد تكون مسألة وقت، ولدى المجرم ترتيبات خاصة به.

نظر إليهما بيل تشيس بضيق وتناول الزجاجة. أخذت أنظر إلى وجهيهما الريفيين ولم أستطع ان أفهم بماذا كانا يفكران بالفعل.

قال باتـون بعـد قليل : قيل لي انها تركت رسالة. سـحب بيل تشيس محفظتـه وتناول منها الورقة المطوية. أخذها منه باتون وقرأها بتمهل. قال: يبدو انها لا تحمل تاريخاً.

هزَّ بيل تشيس رأسه وقال: لا. لقد تركتني منذ شهر. في الثاني عشر من شهر حزيران / يونيو.

ـ لقد سبق وتركتك مرة من قبل، أليس كذلك؟ .

قال تشيس وهو يحدّق فيه بقسوة: أجل، كنت سكراناً وأمضيت الليل مع امرأة أخرى. كان ذلك قبل سقوط الثلج في شهر كانون الأول/ديسمبر. تركتني لأسبوع ثم عادت إليَّ وهي أكثر جمالاً. قالت انها كانت بحاجة لتبتعد عني مدة وانها كانت تقيم مع صديقة لها كانت تعمل وإياها في لوس انجلوس.

قال باتون: وما اسم تلك الصديقة؟

ـ لم تقل لي وأنا لم أسألها. كل تصرفات موريال كانت سليمة في نظري .

سأله باتون برقة: بكل تأكيد وهي تركت رسالة في تلك المرة؟

ـ لا.

قال باتون وهو يرفع الرسالة في يده: هذه تبدو قديمة نسبياً.

ردّ بيل تشيس متذمّراً: إنني أحملها منذ شهر. من الذي أخبرك انها سبق وتركتني من قبل؟

قال باتون: نسيت. أنت تعرف كيف تجري الأمور في هذه المنطقة. معظم الناس هنا يهتمون لأدنى حدث، ما عدا في فصل الصيف حين يكون هناك عدد كبير من الغرباء .

لم يقل أحد شيئاً، فأضاف باتون: تقول انها تركتك في الثاني عشر من شهر حزيران/يونيو؟ أم انك اعتقدت انها تركتك؟ هل كان أحد من أصحاب الأكواخ هنا؟

نظر إليَّ بيل تشيس وقد اكتأب وجهه ثانية: إسأل هذا

المتطفل ـ هذا إذا لم يكن قد باح لك بكل شيء.

لم ينـظر إليَّ باتون وأخذ يتأمل سلسلة الجبال التي امتدت خلف البحيرة ، وقال بهدوء : السيد مارلو لم يخبرني شيئاً يا بيل، سوى عن مسألة الجثة وظهورها على سطح الماء وأنها جثة زوجتك. وان موريـال قد تركتك، كما كنت تعتقد، وتركت لك الرسالة التي قدمتها لي. لا أعتقد ان هذا سيء، أليس كذلك؟

سادت فترة صمت أخرى وبيل تشيس يحدّق في الجثة المغطاة على بعد عدة أقدام. شدّ على راحتيه وانسابت دموعه على خديه، وقال:

ـ لقـد كنت حقـيراً، وسأظل حقيراً، لكن هذا لا يهمني فأنا أحبها. ربما لن تفهوا ذلك، ولن تحاولوا ان تفهموا خذوني، اللعنة عليكم!

نظر بيل تشيس إلى قبضة يده السمراء القوية، ولوّح بها بحدة وضرب نفسه على وجهه بكل قوته.

قال وهو يلهث: أنت ابن زنا قميء.

بدأ أنفه ينزف ببطء. وقف وخيط الدم يسيل حتى شفته وينحدر على جانب فمه إلى ذقنه. سقطت نقطة دم على قميصه.

قال له باتـون بهـدوء: يجب ان اصطحبك إلى المركز من أجل استجـوابك يا بيل. أنت تعرف ذلك. لا نوجّه إليك أية تهمة لكن المسؤولين يجب ان يأخذوا أقوالك.

قال بيل تشيس متضايقاً: هل أستطيع ان أغير ملابسي؟

ـ بـالتـأكيـد. إذهب معه يا آندي. وحاول ان تجد عنده ما يساعدك على نقل الجثة .

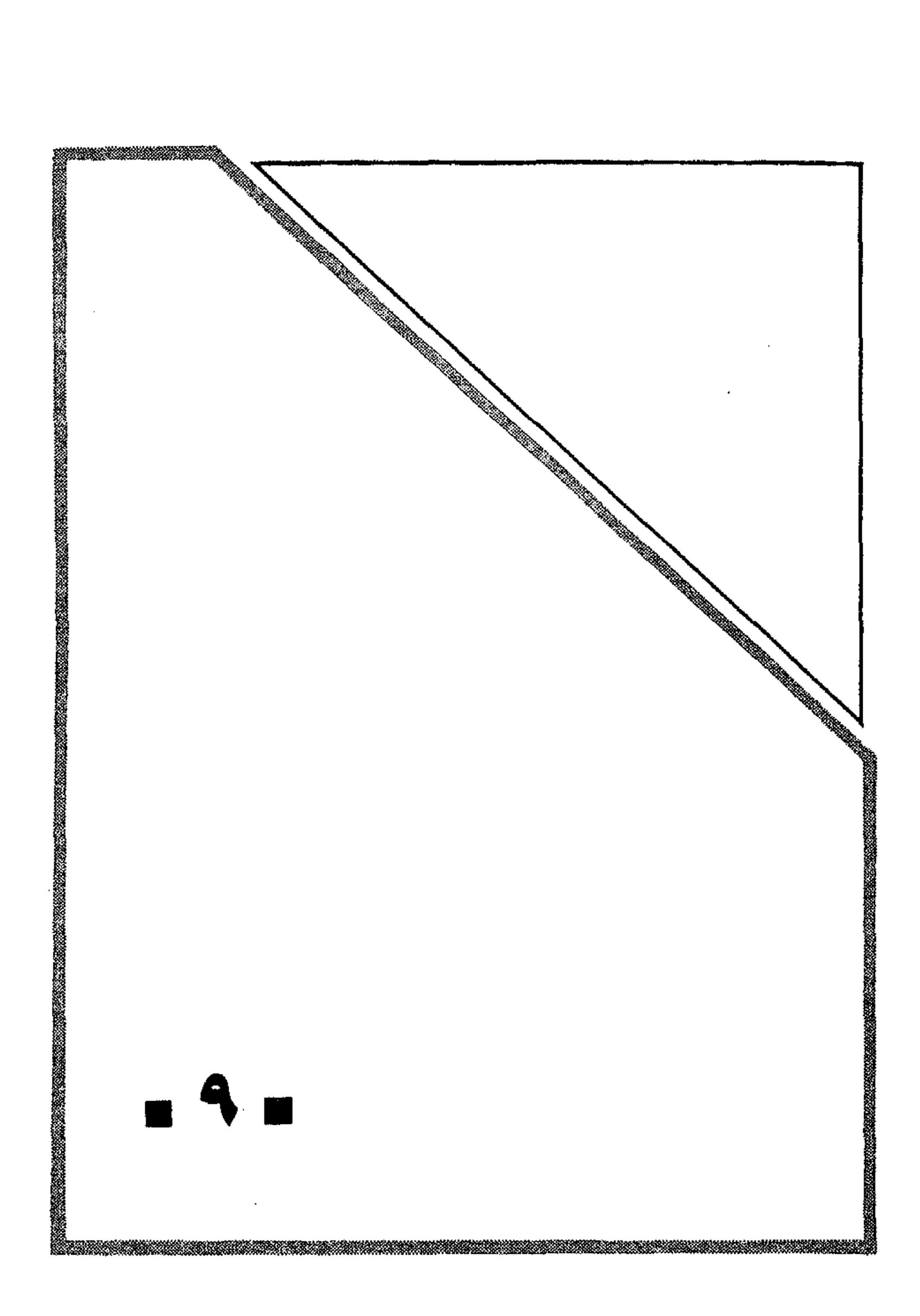
ذهبا عبر الممر إلى الجهة الأخرى من البحيرة. سعل الدكتور قليلاً لتصفو حنجرته ثم تنهد وهو ينظر إلى الماء وقال:

ستحتاج إلى سيارة الاسعاف التي امتلكها لنقل الجثة، أليس كذلك يا جيم؟

قال باتـون وهو يهز رأسه: لا هذه مقاطعة فقيرة يا دكتور. أعتقد ان السيدة تستطيع ان تستقل سيارة أرخص من سيارتك.

مشى الدكتـور غاضبـاً وقال: هل تريدني ان أدفع من جيبي تكاليف الجنازة؟

قال باتون متنهداً: هذا كلام لا يجوز قوله.


■ ٩ ■

فندق «إنديان هيد» عبارة عن مبنى كبير بني اللون ويقع على ناصية الشارع مقابل قاعة الرقص الجديدة. توقفت أمامه ودخلت لأستخـدم التواليت لكي أغسل وجهي ويديَّ وأسّرح شعري من عيدان الصنوبر العالقة به، ثم قصدت قاعة الطعام التي تفضي إلى حجرة الانتظار. كان المكان ممتلئاً برجال يرتدون سترات مريحة، ونساء يضحكن بصوت عالٍ أظافرهن مطلية بالأحمر القاني. كان المسـؤول عن الفنـدق وهـو شاب صارم يرتـدي قميصـاً بكمّين قصيرين، يدخّن سيجاراً ويتنقّل في الغرفة يراقب كل ما يدور فيها. عند المنضدة وقف رجل فاتح الشعر يحاول ان يسمع أنباء الحرب بواسطة مذياع صغير صوته مشوّش، كالبطاطا المهروسة المشبعة بالماء. في الزاوية البعيدة للغرفة أوركسترا محلية من خمسة عازفين غير أنيقين في ستراتهم البيضاء وقمصانهم الأرجوانية، يحاولون جاهدين أن يرفعوا صوت الموسيقى فوق ضجة البار، ويبتسمون ببرود بين ضباب دخان السجائر والأصوات غير الواضحة. فصل الصيف رائع وفي منطقة بحيرة بوما كان الموسم مزدهراً.

تنـاولت وجبـة العشاء في الفندق ثم خرجت إلى شارع البلدة الرئيسي. كان ضوء النهار لايزال يغمر المكان لكن بعض مصابيح

النيـون كانت مضـاءة، وبـدأ المساء مع نفير السيارات وصراخ الأطفال ودحرجة كرات البولينغ ودوي طلقات الرصاص في أماكن التمـرين، وأصوات الجوكبوكس(*)، وبالإضافة إلى كل ذلك كانت تتعـالى أصوات محركات الزوارق التي تعبر البحيرة خاصة تلك السريعة التي كانت لا تقصد مكاناً معيناً وتنطلق بأقصى سرعتها كأنها تتسابق مع الموت.

وجـدت في سيـارتي الكـرايزلر فتاة نحيلة ورصينة كستنائية الشعـر ترتدي بنطلوناً أسود، وكانت تدخن سيجارة وتتحدث إلى شاب يبدو أنه عامل في مزرعة ويجلس على مقدمة سيارتي. استدرت وجلست في مقعدي. نزل الشاب ومضى في طريقه، لكن الفتاة لم تتحرك.

قالت بمـرح: اسمي «بـيردي كيبـل». أعمـل هنا في صالون التجميل أثناء النهار وفي المساء أعمل في صحيفة «بوما» المحلية. أرجو أن لا تكون متضايقاً من جلوسي في سيارتك.

قلت: لا بأس. أتريدين ان تجلسي فقط، أم تودّين أن أوصلك إلى مكان ما؟

تستطيع ان تنطلق إلى مكان أكثر هدوءاً يا سيد مارلو. هذا إذا كنت لا تمانع في التحدث إليّ.

قلت وأنا أدير المفتاح: أنا مستمع جيد يا آنستي.

إنطلقت من أمام مركز البريد وانعطفت عند الزاوية حيث يشير

(*) الجوكبوكس: خزانة مشتملة على فونوغراف آلي تتيح للمرء سماع الأغنية المسجلة التي يختارها بمجرد وضع قطعة نقدية في ثقب خاص.

سهم إلى وجود مركز للهاتف في طريق ضيقة باتجاه البحيرة. سلكت تلك الطريق الفرعية وتجاوزت مركز الهاتف وهو كناية عن كوخ خشبي تمر من أمامه قضبان السكة الحديدية، وتجاوزت كوخاً آخر صغيراً ثم توقفت بالقرب من شجرة سنديان كبيرة كانت تبسط أغصانها فوق الطريق حتى الناحية الثانية وتتجاوزها بحوالى خمسين قدماً.

- هل يعجبك هذا المكان يا آنسة كيبل؟

- أنا متزوجة، ولكنك تستطيع ان تدعوني بيردي. الجميع هنا ينادونني باسمي الأول. هذا المكان رائع. أنا سعيدة بالتعرف إليك يا سيد مارلو. عرفت انك قادم من هوليوود، تلك المدينة الخاطئة.

مدّت يدها القوية فسلمت عليها. يبدو ان تصفيف شعر الشقراوات المكتنزات جعل يديها قويتين كأنهما ملقطا رجل الثلج الأسطوري.

قالت: كنت أتحدث إلى الدكتور هوليس حول موضوع المسكينة موريال تشيس. وفكرت انك تستطيع إعطائي تفاصيل إضافية، لأنني عرفت انك أنت الذي وجدت الجثة.

- بيل تشيس هو الذي وجدها، وأنا كنت معه. هل تحدثت مع جيم باتون؟

- لم أفعل ذلك حتى الآن، لقد ذهب إلى المدينة. على أية حال لا أعتقد ان جيم سيدلي بالكثير.

قلت: إنه يخوض معركة انتخابية، وأنت صحافية.

- جيم ليس رجل سياسة يا سيد مارلو، وأنا بالكاد أستطيع أن

أطلق على نفسي هذه الصفـة، لأن النشرة التي نصـدرها هنا لا تتعدى كونها عمل مجموعة من الهواة .

قدمت لها سيجارة وأشعلتها قائلًا: حسناً، ماذا تريدين ان تعرفي؟

ـ تستطيع ان تخبرني القصة .

ـ جئت إلى هذه المنطقة ومعي رسالة من ديراس كينغسلي إلى حارس أملاكه لإلقاء نظرة على أرضه وكوخه هنا. اصطحبني بيل تشيس في جولة على المكان، وأخبرني ان زوجته تركته وأطلعني على الرسالة التي تركتها. كنت أحمل زجاجة شراب قدمتها له فشربها بأكملها. بدا متضايقاً جداً، وما لبث ان شعر بالارتياح، وإحساسه بالوحدة زاد في رغبته في التحدث إلى أي كان. وهذا ما حدث، على الرغم من انني لم أكن أعرفه. بعد زيارة الكوخ قررنا عبور الطريق التي تلتفّ حول البحيرة. مشينا قليلاً على الرصيف فشاهد بيل ذراعاً تهتزّ تحت الأمواج الخشبية الغارقة في الماء. ثم تبين انها لجثة موريال تشيس. هذا كل شيء .

ـ عرفت من الدكتور هوليس ان وقتاً طويلاً مضى عليها وهي في الماء، لأن الجثة مهترئة إلى حد كبير .

ـ أجل، ربما مضى شهر بأكمله وهي في الماء. لا يبدو ان هناك تفسيراً آخر، فالرسالة التي تركتها كانت رسالة انتحار .

ـ هل لديك شك في ذلك يا سيد مارلو؟

نظرت إليها بطرف عيني وهي تتأملني بعينين سوداوين تتألقان بالفطنة. بدأ الغسق، والظلام أخذ يهبط ببطء، ولم يطرأ على المكان أكثر من تعديل بسيط في نوعية الضوء.

قلت: رجال الشرطة لديهم دائماً شكوك في مثل هذه الحالة.

- ورأيك أنت؟

- رأيي لا يؤثر في شيء .

- ولكنه يستحق ان أسمعه .

- قابلت بيل تشيس منذ بضع ساعات فقط، ومنذ اللحظة الأولى عرفت انه سريع الغضب، ومن الكلام الذي قاله لا يبدو قديساً أيضاً. لكنه بالتأكيد كان يحبّ زوجته، ولا أتصور انه يبقى في الكوخ هناك وهو يعرف انها تتعفّن تحت ألواح الرصيف منذ شهر. كيف يستطيع ان ينظر إلى المياه الزرقاء الهادئة وهو يعرف ان حبيبته غارقة فيها، ويعرف أيضاً انه هو الذي قتلها .

قالت بيردي كيبل بهدوء: وأنا أيضاً لا أتصور ذلك. ولا أي شخص آخر. ومع ذلك فنحن نعرف ان أموراً كهذه حدثت بالفعل وسوف تحدث ثانية. هل تعمل في تجارة الأراضي يا سيد مارلو؟

- لا

- ما هي مهنتك إذاً؟ إذا سمحت لي بهذا السؤال .

- أفضل عدم الاجابة .

- هذه إجابة بحد ذاتها. يبدو ان الدكتور هوليس سمعك تذكر اسمك بالكامل أمام جيم باتون، وهو أعطانا الإسم، وبعد البحث في دليل مدينة لوس انجلوس عرفت نوع المهنة التي تمارسها. لكن اطمئن، أنا لم أذكر شيئاً في هذا الخصوص لأي كان .

- هذا من لطفك .

- ولن أفعل ذلك إذا كانت هذه رغبتك .

ـ وما هو الثمن الذي يتوجب عليَّ في هذه الحالة؟

ـ لا شيء. لا شيء إطلاقاً. لا أريد الخوض في هذه القضية أكثر مما ينبغي كي لا أسبب احراجاً لجيم باتون. جيم هو ملح الأرض هنا. لكنني في الوقت نفسه غير مقتنعة ان الموضوع بسيط إلى هذا الحد، ألا تعتقد ذلك؟

ـ لا تحاولي الوصول إلى استنتاجات خاطئة. ولا تتصوري ان مجيئي إلى هذه المنطقة له علاقة ببيل تشيس.

ـ ولا بموريال تشيس؟

ـ وبماذا تهمّني موريال تشيس؟

نفضت رماد سيجارتها بهدوء في المنفضة وقالت: كما تشاء. لكن هناك مسألة صغيرة يجب ان تنتبه إليها، هذا إذا كنت لا تعرفها حتى الآن. منذ حوالي ستة أسابيع زار هذه المنطقة شرطي يدعى دو سوتو من لوس انجلوس، كان رجلاً ضخماً، غير مهذب، فلم يعجبنا ولم نقدم له إجابات وافية على أسئلته. وأقصد بصيغة الجمع الأشخاص الثلاثة الذين يعملون في الجريدة. كان يحمل صورة ويسأل عن سيدة تدعى ملدريد هافيلاند، ادعى انه يودّ مقابلتها لشأن يخص الشرطة. كانت الصورة عادية ومكبرة، ولم تكن كالصور التي يأخذونها في مركز الشرطة. قال لنا ان لديه معلومات بأن هذه السيدة تقيم في المنطقة. كانت السيدة في الصورة تشبه إلى حد بعيد موريال تشيس. شعرها أكثر احمراراً ويختلف في شكل تصفيفه، وحاجباها يشبهان قوسين نحيلين، وهذه التفاصيل تكفي لتغيّر ملامح المرأة. لكنها مع ذلك كانت تشبه موريال تشيس كثيراً.

أخـذت أدق بأصابعي على باب السيارة، وسألتها بعد قليل: وماذا قلتم للشرطي؟

ـ لم نقل له شيئاً. لأننا أولاً لم نكن متأكّدين، وثانياً، لم يعجبنا سلوكه وثالثاً، حتى لو اننا كنا متأكدين وأنه أعجبنا ما كنا لندلّه عليها، ولماذا نفعل ذلك؟ كل انسان يرتكب عملاً يندم عليه. أنا مثلاً متزوجة من أستاذ تعليم اللغات الكلاسيكية في جامعة ريد لاندن. وضحكت بخفّة.

ـ وفاتتك فرصة للحصول على قصة مهمة.

ـ بالتأكيد، لكننا هنا نأخذ الأمور على بساطتها يا سيد مارلو.

ـ هل قابل دوسوتو جيم باتون؟

ـ من المؤكـد، انه فعل ذلك. مع ان جيم لم يشر إلى هذا اللقاء.

ـ هل قدم لكم شارته الرسمية؟

فكرت قليلاً ثم هزت رأسها وقالت: لا أذكر انه فعل ذلك. لقد صدّقناه من اسلوبه في الكلام، وحتى تصرفاته تدل على انه شرطي متمرس».

ـ بالنسبة لي هذا يثبت إلى حد ما انه لم يكن كذلك. هل أخبرتم موريال عن أمر هذا الرجل؟

تريثت في الاجابة وهي تنظر بهدوء من خلال النافذة، ثم أدارت رأسها وقالت:

ـ أنا أخبرتها، مع ان هذا لم يكن يخصّني، أليس كذلك؟

ـ ماذا قالت؟

ـ لم تقـل شيئـاً. ضحكت قليلاً بارتباك كأني أخبرتها نكتة

رديئة، ثم مضت في سبيلها. لكنني شعرت انها أخفت في عينيها نظرة غريبة. أما زلت غير مهتم بموضوع هذه المرأة يا سيد مارلو؟

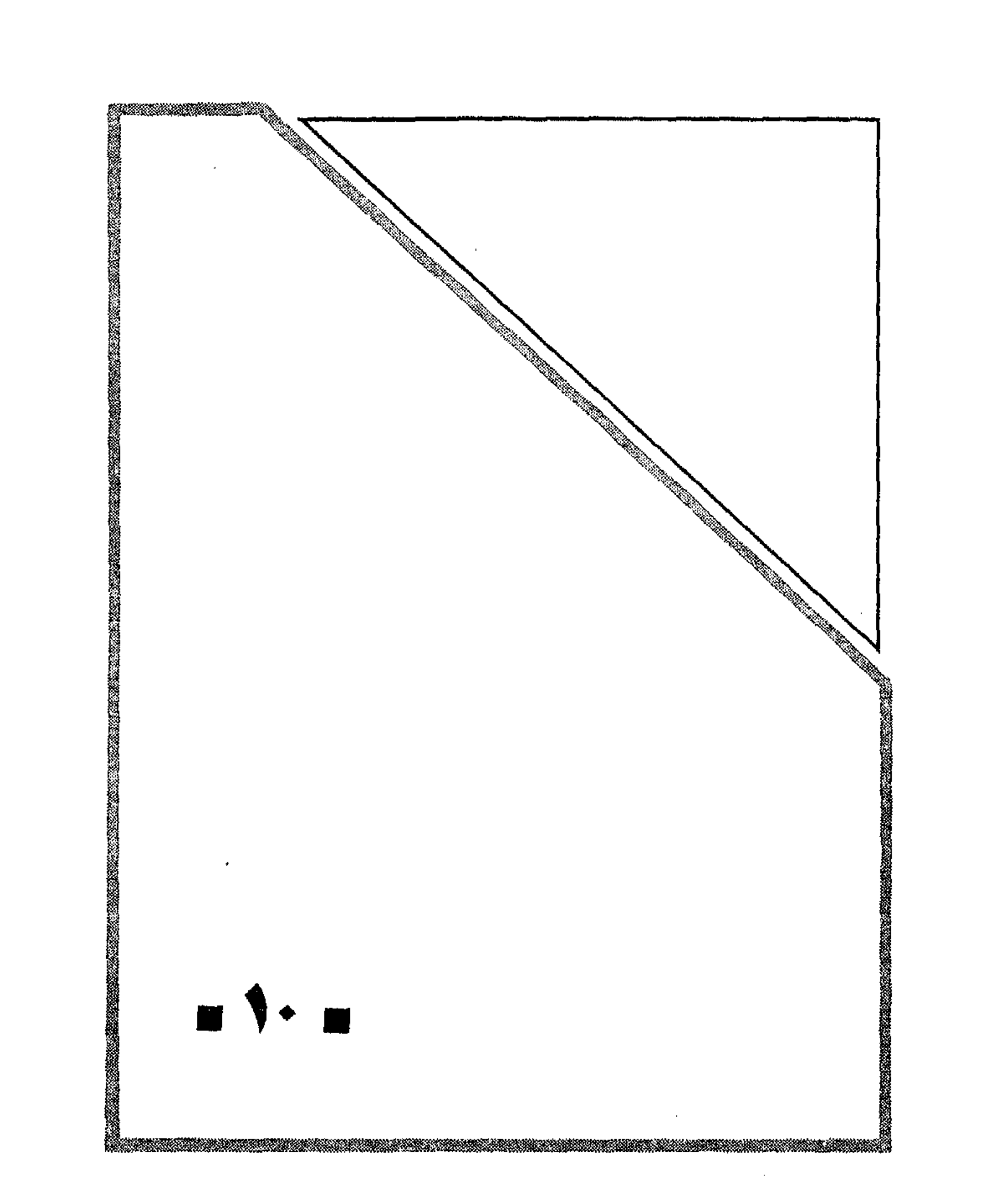
- وما الذي يحملني على الاهتمام بها؟ لم أكن أعرف اسمها قبل حضوري إلى هذه المنطقة بعد ظهر هذا اليوم. هذه كلمة شرف، وأؤكد لك أيضاً انني لم أسمع بملدريد هافيلاند أيضاً. أتريدين ان أعود بك إلى المدينة .

- آه، لا، شكراً. أفضل ان أمشي. ليست المسافة بعيدة. أشكرك كثيراً. آمل ألا يكون بيل متورّطاً في عمل مشين .

نزلت من السيارة وهزّت رأسها ضاحكة وقالت:

- يقولون انني أجيد فن التجميل، لكنني أعرف انني فاشلة في اجراء الأحاديث الصحافية. عمت مساء .

تمنيت لها قضاء ليلة سعيدة وجلست أراقبها وهي تمشي أمامي حتى وصلت إلى الشارع الرئيسي واستدارت عند المنعطف. نزلت من السيارة بدوري وتوجهت إلى مركز الهاتف الريفي الصغير.


١٠

اجتازت الطريق أمامي غزالة مروّضة على رقبتها حزام جلدي كحزام الكلب. ربتّ على رقبتها وتقدمت نحو مكتب الهاتف. في الداخل موظفة جلست إلى طاولة صغيرة وأمامها مجموعة من الكتب. أعطتني أجرة المخابرة إلى بيفرلي هيلز، والقطع النقدية من أجل علبة الهاتف. كان الكشك في الخارج بجوار حائط الكوخ.

قالت: أتمنى ان تكون إقامتك سعيدة هنا. المنطقة هادئة جداً ومريحة جداً.

دخلت الكشك وأغلقت الباب خلفي. مخابرة لمدة خمس دقائق مع ديراس كينغسلي تكلّف تسعين سنتاً. وجدته في البيت والاتصال تمّ بسرعة لكن الخط كان مشوّشاً.

سألني بصوت عالٍ: هل توصلت لشيء هناك؟ بدا عنيفاً وواثقاً من نفسه.

قلت: عرفت أكثر من اللزوم وليس في المجال الذي نريده. هل أنت بمفردك؟

ـ وبماذا يهمّك هذا؟

ـ إنه لا يهمني، أنا أعرف ما سأقوله، أما أنت فلا تعرف.

ـ حسناً، هيا قل، مهما يكن الأمر .

ـ لقد تحدثت طويلاً إلى بيل تشيس. كان وحيداً. زوجته تركته منذ حوالى شهر. حدث خلاف بينهما فخرج ليشرب مع رفاق له، وحين عودته كانت قد غادرت البيت. تركت له رسالة تقول فيها انها تفضّل الموت على العيش معه بعد اليوم .

جاء صوت كينغسلي بعيداً جداً وهو يقول: أعتقد ان بيل سكّير.

ـ عند عودته كانت السيدتان قد رحلتا. لم يكن يعرف إلى أين ذهبت السيدة كينغسلي. زارها لايفري مرة واحدة في شهر أيار/مايو ولم يرجع مرة ثانية. قد يكون رجع أثناء غياب بيل تلك الليلة، لكن هذا الاحتمال ضئيل. اعتقدت ان السيدة كينغسلي اصطحبت في سيارتها موريال تشيس، لكنني عرفت ان موريال كانت لديها سيارتها. وهذه الفكرة أيضاً لم تعد ذات أهمية بعد ظهور معطيات جديدة. لقد تبيّن ان موريال تشيس لم تترك المنطقة أبداً. وانها غاصت في أعماق بحيرتك الصغيرة الخاصة. وصعدت منها اليوم حين كنت أنا هناك .

صرخ كينغسلي برعب ظاهر: يا إلهي! أتقصد انها أغرقت نفسها؟

ـ هذا محتمل لأن الرسالة التي تركتها قد تكون رسالة انتحار. من الممكن قراءتها على الوجهين. كانت الجثة عالقة تحت الرصيف القديم الذي غرق. بيل هو الذي شاهد ذراعاً تتحرك في القاع فيما كنت واقفاً وإياه نتأمل البحيرة. هو الذي أخرج الجثة. إنه موقوف الآن، والمسكين منهار تماماً .

ردّد كينغسلي: يا إلهي! من المؤكد انه منهار. هل يبدو الأمر

وكأنه... وصمت حين تدخلت عاملة الهاتف على الخط وطلبت مني دفع أربعة وخمسين سنتاً إضافية. وضعت المبلغ المطلوب في الآلة، وحين عاد الخط قلت:

- يبدو كأنه ماذا؟

صار الخط فجأة في غاية الوضوح وقال كينغسلي:

- يبدو كأنه قتلها؟

- أجل. جيم باتون، مسؤول الأمن في المنطقة، لفتت انتباهه الرسالة التي لا تحمل تاريخاً. كانت موريال تركت بيل مرة من قبل لأنه على علاقة بامرأة أخرى. باتون يشك ان يكون بيل قد احتفظ برسالة قديمة. لقد اصطحبوا بيل إلى سان برناردينو لاستجوابه، وتمّ نقل الجثة إلى المشرحة؟

سألني ببطء: وأنت، ما رأيك؟

- بيل وجد الجثة، ولم يكن مضطراً لسلوك تلك الطريق معي. كان باستطاعته ان يترك الجثة في أعماق البحيرة مدة أطول، وربما تظل هناك إلى الأبد. قد تكون الرسالة قديمة لأن بيل حملها في محفظته وكان يتأملها من وقت لآخر. ومن الممكن ان تكون بلا تاريخ هذه المرة، أو في المرة السابقة. أعتقد ان هذا النوع من الرسائل يكون في معظم الأحيان بدون تاريخ. فالشخص الذي يكتب الرسالة يكون على عجلة من أمره ولا تهمه مسألة تحديد التاريخ .

- لا شك ان الجثة شبه مهترئة. ماذا يمكنهم ان يكتشفوا الآن؟

- لا أعرف مدى أهمية التجهيزات لديهم. أظن انهم يستطيعون ان يحدّدوا ما إذا كان الغرق هو سبب الوفاة. وما إذا

كانت هناك علامات تدلّ على استخدام العنف مع القتيلة وهذه لا يزيلها الماء ولا الإهتراء. يستطيعون ان يحدّدوا ما إذا كانت قتلت بالرصاص أم بطعنات آلة حادة، أما إذا كان عظم الحنجرة مكسوراً، فهذا دليل على انها ماتت مخنوقة. إن ما يهمنا الآن هو انني يجب ان أذكر سبب حضوري إلى المنطقة عندما أدلي بأقوالي في التحقيق .

قال كينغسلي متذمّراً: هذا سيء، سيء جداً. ماذا تنوي ان تفعل الآن؟

ـ قبل عودتي إلى البيت سأمر على فندق بريسكوت وأحاول معرفة بعض التفاصيل. هل كانت تجمع بين زوجتك وموريال تشيس علاقة وديّة؟

ـ أظن ذلك. كريستال من النوع الذي يسهل مصاحبته. أما موريال تشيس فإنني بالكاد أعرفها .

ـ هل سمعت باسم ملدريد هافيلاند من قبل؟

ـ ماذا؟

أعدت عليه الإسم.

قال: لا. هل هناك ما يستدعي ذلك؟

ـ كل سؤال أسأله ترد عليه بسؤال في المقابل. لا، ليس هناك من داعٍ لأن تعرفه... خاصة وانك بالكاد تعرف موريال تشيس. سأتصل بك صباح الغد .

قال: أرجوك ان تفعل. ثم أضاف بعد قليل من التردد: إنني

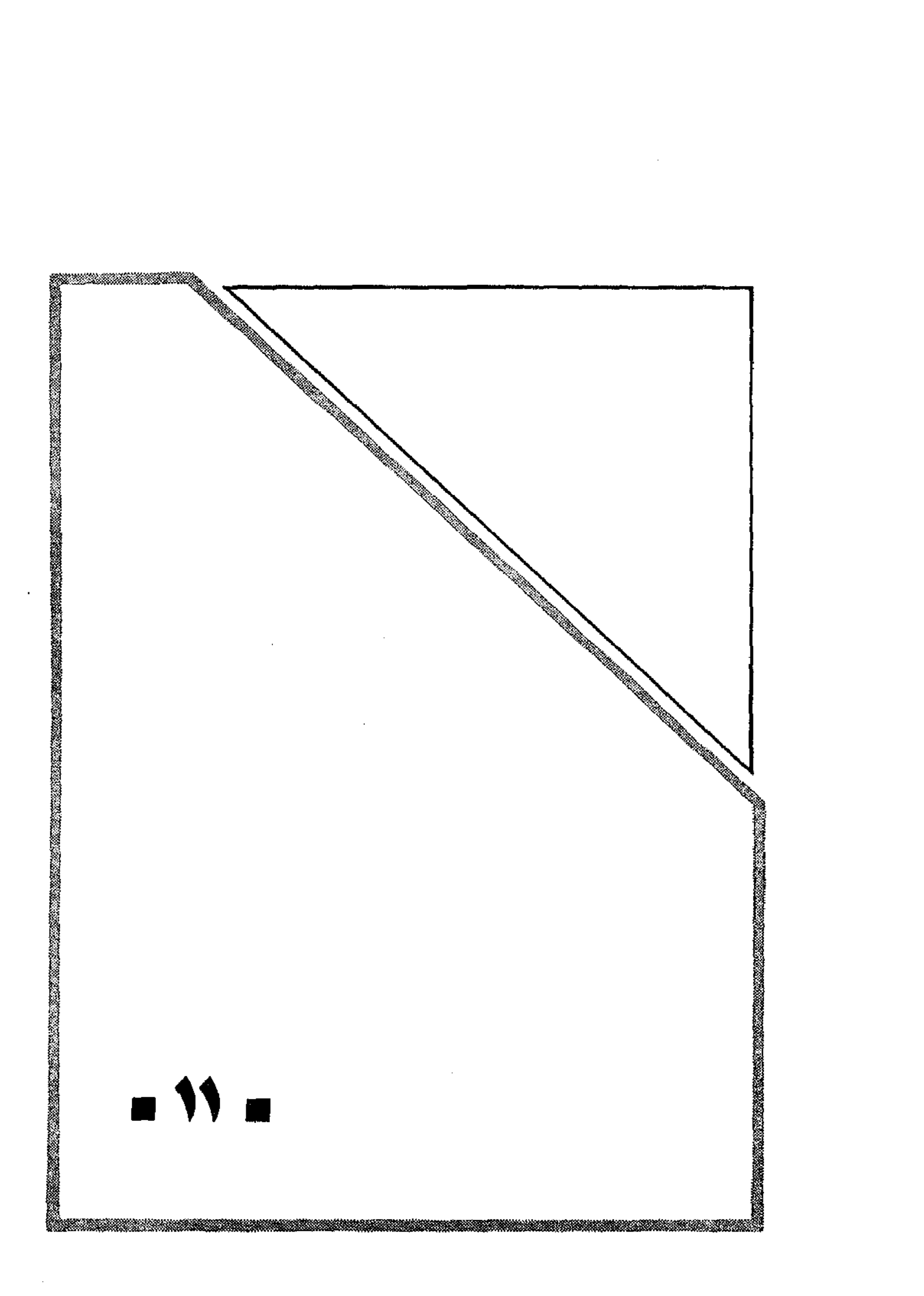
آسف لأنك وجدت نفسك في مشكلة كهذه. ثم تمهّل ثانية وتمنى لي ليلة طيبة ووضع السماعة.

رنّ جرس الهاتف مباشرة وكانت على الخط الموظفة التي قالت لي بحدّة انني وضعت في الآلة خمسة سنتات إضافية. رددت عليها بعنف، ولم يعجبها ذلك.

خرجت من الكشك وتنفست بعمق. كانت الغزالة تقف في فتحة في السياج وتسدّ الطريق. حاولت ان أبعدها قليلاً، لكنها رفضت ان تتحرك من مكانها. فتسلقت السياج ومشيت إلى الكرايزلر وعدت إلى القرية.

كان مركز الشرطة مضاء، لكن الغرفة كانت خالية وعلى الباب الورقة التي تقول: «سأعود بعد عشرين دقيقة...» لاتزال معلّقة في مكانها. تابعت طريقي إلى مرسى القوارب ووصلت إلى شاطىء بدا مهجوراً. كانت بعض الزوارق لاتزال تتبارى على سطح الماء وإلى الجهة الثانية من البحيرة بدأت تظهر أضواء صفراء صغيرة في الأكواخ المنتشرة على المنحدرات. نجمة واحدة كانت تتألق في الجهة الشمالية الشرقية فوق سلسلة الجبال. جثم طائر أبو الحنّاء الصغير على قمة شجرة صنوبر يبلغ ارتفاعها حوالى مئة قدم، وكان ينتظر هبوط الليل كي يغنّي أغنيته.

بعد فترة قصيرة ساد الظلام فغنى الطائر ثم انطلق بعيداً في أعماق السماء الخفية. ألقيت بسيجارتي في المياه الهادئة ثم عدت إلى سيارتي واتجهت نحو منطقة بحيرة فون الصغيرة.


■ ١١ ■

كانت بوابة الطريق الخاصة مقفلة. أوقفت الكرايزلر بين شجرتي صنوبر وتسلّقت البوابة، ومشيت خلسة بجانب الطريق حتى وصلت إلى البحيرة. كان كوخ بيل تشيس مظلماً. الأكواخ الثلاثة كانت كالظلال بين صخور الصوان الشاحبة. مياه البحيرة تلتمع بيضاء حيث تغمر سطح السد، وتتساقط في الجهة الثانية بدون صوت تقريباً لتجري في جدول. استرقت السمع، لا صوت لشيء آخر.

باب كوخ تشيس كان مقفل. استدرت إلى الجهة الخلفية ووجدت قفلاً على الباب. مشيت بجانب الجدران أتفحص حاجز الشريط الذي يغطي النوافذ. كانت جميعها موصدة. وجدت نافذة عالية بدون شريط. نافذة صغيرة وسط الحائط الشمالي. كانت مُقفلة أيضاً. وقفت واسترقت السمع مرة أخرى. لم يكن هناك نسيم وكانت الأشجار هادئة مثل ظلالها.

حاولت ان أغرز سكيناً بين درفتيْ النافذة الصغيرة، لا فائدة. لم أتمكن من فتحها. أسندت ظهري إلى الحائط وأخذت أفكر، وفجأة تناولت حجراً كبيراً وضربت به النافذة عند وسطها، فانفتحت

بصوت مسموع. رفعت جسمي إلى حافتها، وجمعت نفسي وتمكنت من دخول الغرفة. إلتفت وأنا متضايق من وقوعي عن ذلك الارتفاع، وأخذت أسترق السمع.

ضوء ساطع بهر عينّي.

سمعت صوتاً هادئاً يقول: الأفضل ان تبقى مكانك يا بني. أنت مرهق بدون شك.

جعلني الضوء ألتصق بالحائط كأنني ذبابة مذعورة. ثم سمعت صوتاً وأضيء المصباح الموضوع على الطاولة. انطفأ الضوء الساطع. رأيت جيم باتون جالساً في مقعد قديم قرب الطاولة، التي كان عليها غطاء بنّي اللون بإطار مزركش يلامس ركبته. كان يرتدي ثياب بعد الظهر بالاضافة إلى سترة جلدية عتيقة، ويحمل المصباح بيده وكانت عيناه فارغتين من أي معنى، وملامحه غمرتها مسحة من اللطف.

- ما الذي تنوي عمله، يا بني، بعد الخلع والكسر؟

سحبت كرسياً وجلست عليه وأخذت أنظر إلى الغرفة من حولي.

قلت: كانت لديَّ فكرة. بدت فكرة جيدة، لكنني مضطر للتخلي عنها.

كان الكوخ من الداخل أكبر مما يبدو عليه. الغرفة التي كنا فيها هي غرفة الجلوس. قطع الأثاث متواضعة، وسجادة تغطي الأرضية الخشبية، وطاولة مستديرة وكرسيان إلى جانب الحائط، ومن خلال باب مفتوح رأيت فرناً كبيراً أسود.

أحنى باتون رأسه وعيناه تتأملانني وقال: سمعت صوت

سيارة. عرفت انها قادمة إلى هنا. لكنك تعرف كيف تمشي خلسة فأنا لم أسمع وقع خطواتك. لقد نجحت فعلاً في إثارة فضولي، يا بني.

لم أقل شيئاً.

قال: أرجو ان لا تكون كلمة «بني» مصدر إزعاج لك، ربما لا يحق لي ان أرفع الكلفة إلى هذا الحد، لكنني اعتدت على ذلك، ولم يعد بوسعي ان أغيّر سلوكي. أي شخص ليست لديه لحية بيضاء ولا يعاني المرض أعتبره «إبناً» لي.

قلت له انه يستطيع ان يناديني كما يحلو له، وان هذا لا يضايقني.

ابتسم وقال: هناك مجموعة كبيرة من المفتشين في لوس انجلوس، كما يبدو في الدليل. لكن واحداً من بين هؤلاء فقط يُدعى مارلو.

ـ ما الذي جعلك تبحث عن الإسم؟

ـ تستطيع ان تسميها فضولية رجل الأمن بالاضافة إلى ان بيل تشيس قال انك مفتش خاص. وهذا لم تقله لي بنفسك.

قلت له: كنت سأخبرك، وأنا آسف لأن الأمر سبّب لك ازعاجاً.

ـ لم يزعجني ذلك إطلاقاً، فأنا لا أنزعج بسهولة، هل تحمل أوراقاً ثبوتية؟

تناولت محفظتي وقدمت له الأوراق التي طلبها. قال وقد اقتنع بما رآه: «يبدو ان هذا العمل يناسبك، فبنيتك قوية ووجهك لا يفضي بالكثير. أظن انك كنت تنوي تفتيش الكوخ.

ـ أجل.

ـ لقد فعلت ذلك بنفسي. ذهبت إلى كوخي لفترة وجيزة ثم عدت إلى هنا مباشرة.

أخذ يحكّ أذنه وتابع يقول: لا أعتقد انني سأسمح لك بتفتيش المكان. لا أعرف ما إذا كنت أستطيع ان أمنحك هذا الحق. ما اسم الشخص الذي تعمل لأجله؟

ـ ديراس كينغسلي. لقد كلّفني بالبحث عن زوجته التي اختفت منذ حوالي شهر. بدأت رحلتها من هذا المكان لذلك قررت ان أبدأ تحرياتي من هنا. يفترض ان تكون قد هربت مع رجل آخر. والرجل ينفي ذلك. كنت أعتقد انني سأعثر على بداية الخيط هنا.

ـ وهل نجحت في ذلك؟

ـ لا. أعرف انها كانت في سان برناردينو، انها وصلت إلى آل باسو، وهناك اختفى أثرها. لكنني مازلت في بداية الطريق.

وقف باتون وفتح باب الكوخ فتسّربت إلى الداخل رائحة الصنوبر المنعشة. بصق في الخارج ثم عاد ليجلس وأخذ يعبث بخصلات شعره الداكنة. بدا رأسه بدون القبعة عارياً تنقصه اللياقة كما لو انه اعتاد عليها.

ـ ألم تكن تهتم ببيل تشيس؟

ـ على الاطلاق.

ـ أعتقد ان المفتشين يقومون بتحريات كثيرة لساعدة موكّليهم في الحصول على الطلاق. ذلك نوع رديء من الأعمال، حسب رأيي.

لم أناقشه في هذا الرأي.

ـ ليس كينغسلي من النوع الذي يطلب مساعدة الشرطة للبحث عن زوجته، أليس كذلك؟

ـ لا أعتقد انه يفعل ذلك، لأنه يعرفها جيداً .

قال مستنتجاً بفطنة: كل ما قلته لا يبرّر رغبتك في تفتيش كوخ بيل.

ـ إنني أحبّ التفتيش في كل مكان .

ـ اللعنة، تستطيع ان تجد إجابة أفضل من هذه، فلنقل انني مهتم بشأن بيل تشيس؛ ولكن فقط لأنه واقع في ورطة، وهذه القضية مثيرة للشفقة. إذا كان قد قتل زوجته فسنجد دليلاً على ذلك هنا. وإذا كان لم يقتلها، فسنجد دليلاً على ذلك أيضاً .

وقف يدير وجهه بشكل جانبي كأنه طائر يتربّص لفريسته وسألني:

ـ أي نوع من الأدلة مثلاً؟

ـ ثياب، حلّي، أدوات تجميل، أية أغراض تأخذها المرأة معها حين تنوي الرحيل بدون عودة .

تراجع قليلاً إلى الوراء وقال: لكنها لم ترحل يا بني.

ـ إذاً يجب ان نجد هذه الأغراض هنا. إذا كانت لاتزال مكانها فهذا يعني ان بيل انتبه لوجودها وانه يعرف ان زوجته لم ترحل بالفعل .

قال: لا يبدو وضعه جيداً في القضية كما تبدو الأمور.

قلت: وإذا كان هو القاتل سيكون عليه ان يتخلّص من

الأغراض التي كانت ستأخذها معها لو انها رحلت.

ألقى ضوء المصباح ظلاً برونزياً على وجه باتون الذي سألني قائلاً: وكيف تعتقد انه فعل ذلك؟

ـ عرفت منه ان زوجته تمتلك سيارة فورد. بالنسبة للأغراض الصغيرة فإن بإمكانه ان يحرق جزءاً منها أو يدفن جزءاً في أرض الغابة. لن يرميها في البحيرة لأن اكتشافها سيكون سهلاً. لكنه لا يستطيع ان يخفي سيارة أو يحرقها، هل تعتقد انه يستطيع قيادتها؟

بدا باتون وكأنه فوجيء بهذا السؤال فقال: بكل تأكيد. انه عاجز عن ثني رجله اليمنى عند الركبة لذلك فإنه لن يتمكن من استخدام فرامل الرجل جيداً، لكنه يستطيع الاستعاضة عنها بفرامل اليد. في سيارة بيل الخاصة وضعت الفرامل إلى الجهة اليسرى من المقود بجانب «الدوبرييباج» كي يتمكن أن يدوس عليهما معاً.

نفضت سيجارتي في جرّة زرقاء صغيرة كانت في السابق وعاء لعسل الليمون كما هو مكتوب عليها.

قلت: التخلص من السيارة هو مشكلته الرئيسية. حيثما أخذها سيكون عليه الرجوع، ومن مصلحته ألاّ يراه أحد. لنفترض انه تركها في أحد شوارع سان برناردينو مثلاً، كان سيتمّ العثور عليها والتعرف إلى صاحبتها. وهو لا يريد ذلك طبعاً. أفضل حلّ بالنسبة له بيعها إلى تاجر سيارات، لكنه على الأرجح لا يعرف أحداً من هؤلاء. هناك احتمال ان يكون قد خبأها في الغابة وعلى مسافة يستطيع ان يقطعها مشياً في طريق العودة، وهذه لن تكون بعيدة.

قال باتـون باستغراب: إنك تقدم تحليلاً دقيقاً للأحداث على الرغم من ادعائك انك غير مهتم بالقضية أنت تفترض إذاً ان تكون السيارة في الغابة، وماذا بعد ذلك؟

سيفكر بيل باحتمال ان يعثر أحد عليها. لأن الغابـة لا تخلو من الحـراس والحطّابـين من حـين لآخـر. إذا تمّ العثـور عـلى السيارة من الأفضل ان تكون أغراض موريال في داخلها. وهذا يفتح أمامه مخرجين، ومع ان التبرير الذي سأعطيـه ليس ذكياً جداً لكنه محتمل.

المخـرج الأول ان يكون مجرماً آخر قتل موريال وتدبّر الأمر بحيث يتورط بيل إذا تمّ اكتشاف الجريمة.

والثـاني ان موريـال انتحـرت بالفعـل، لكنهـا وضعت خطة لانتحارها، لتوقع بزوجها، وهذا انتحار انتقامي.

فكّر باتون بما قلته بهدوء واهتمام. وقصد الباب ليبصق ثانية، ثم جلس وأخذ يعبث بشعره. نظر إليَّ وهو حائر وقال:

ـ الأول محتمل كما قلت، ولكنه يبقى مجرد احتمال، لأنني لا أشك في شخص معيّن. تبقى مسألة الرسالة بحاجة إلى تبرير .

هززت رأسي قائلاً: فلنفترض ان بيل احتفظ بهذه الرسالة في المرة الأولى، فلنفترض انها رحلت، كما كـان يعتقد، دون ان تتـرك له رسـالة هذه المـرة. بعد مرور شهر على غيابها وبعد ان انقطعت اخبارها شعر بالقلق وعدم الاطمئنان وفكّر في الرسالة التي يمكن ان تشكّل له حماية في حال تعرّضت زوجته لأية حادثة. إنه لم يقل ذلك صراحة، لكنه على الأرجح فكّر فيه.

هزّ باتون رأسه، فالتحليل لم يعجبه، ولم يعجبني أنا أيضاً. قال ببطء: أما بالنسبة للاحتمال الثاني فإنه مرفوض تماماً. لأن لا أحد ينوي ان يقتل نفسه ويخطط لكي يبدو الأمر جريمة للايقاع بشخص آخر، هذا تحليل لا يتناسب مع أفكاري البسيطة حول الطبيعة الانسانية.

ـ قلت له: يبدو ان أفكارك عن الطبيعة الانسانية بسيطة جداً، لأن هذا حدث فعلاً، وفي معظم الأحيان تكون القضية من تدبير امرأة .

ـ لا، أنا في السابعة والخمسين وقد قابلت مجانين كثيرين في حياتي، لكنني لا أجد هذه الفكرة مقبولة إطلاقاً. ما أراه معقولاً هو انها خطّطت للرحيل وكتبت الرسالة، لكن زوجها اكتشف أمرها فغضب كثيراً وقتلها. ثم كان عليه ان يقوم بكل الترتيبات التي تحدثنا عنها .

قلت: أنا لم ألتق بها، لذلك ليست لديَّ فكرة عن تصّرفاتها، يقول بيل انه التقى بها في ريفر سايد منذ حوالى سنة. ربما كان لديها تاريخ حافل وطويل قبل هذا اللقاء. هل تستطيع ان تصفها لي؟

ـ كانت شابة شقراء وجذّابة حين تعتني بنفسها. وبدت مرتاحة مع بيل. طبعها هادىء ووجهها يحتفظ بجميع أسراره. يقول بيل عنها انها عصبية المزاج، لكنني لم أرها على هذه الحال أبداً، بل رأيت الكثير من طبعه الكريه.

ـ وهل لاحظت أوجه الشبه بينها وبين المدعوّة ملدريد هافيلاند؟

توقف فكّاه عن المضغ وصار فمه مشدوداً: ثم أخذ يمضغ ثانية ببطء.

قال: سأفتش تحت سريري هذه الليلة قبل ان أنام، لأتأكد انك لست مختبئاً هناك. من أين حصلت على هذه المعلومات؟

ـ من شابة لطيفة تدعى بيردي كيبل، طرحت عليَّ مجموعة من الأسئلة كي تعدّ حديثاً معي للجريدة التي تعمل فيها في وقت فراغها. وقالت لي ان شرطياً من لوس انجلوس يدعى دوسوتو كان يحمل صورة ملدريد هافيلاند وانه عرضها على الجميع .

ألقى باتون يده على ركبته وأحنى كتفيه قليلاً إلى الأمام وقال متمالكاً نفسه: لقد ارتكبت خطأ في هذه المسألة، ذلك الرجل الفظّ عرض الصورة على كل شخص في البلدة تقريباً قبل ان يعرضها عليَّ. وذلك جعلني أغضب إلى حد ما. كانت الصورة تشبه موريال لكن لا مجال للتأكد من ذلك. سألته عن سبب بحثه عنها، قال انها قضية تتعلق بالشرطة. قلت له انني أمارس المهنة نفسها محاولاً استدراجه، قال ان لديه تعليمات بالبحث عن السيدة وهذا كل ما يعرفه. هو أخطأ لأنه لم يفصح لي بالمزيد، وأنا أيضاً اخطأت حين قلت له انني لا أعرف واحدة تشبه صاحبة الصورة.

ابتسم وهو ينظر إلى زاوية السقف ثم ركّز نظره عليَّ وقال:

ـ سأكون شاكراً لك يا سيد مارلو ان تحتفظ بما دار بيننا ولا تطلع أحداً عليه. هل سبق لك وزرت بحيرة «كون»؟

ـ لم أسمع عنها من قبل .

قال وهو يشير إلى الخلف: انها تقع وراء هذه المنطقة على بعد ميل تقريباً، وتفضي إليها طريق ضيقة تعبر الغابة من جهة الغرب. المكان هناك هادىء وجميل يقصده الناس أحياناً لتمضية النهار. توجد مجموعة من الأكواخ الخشبية التي أخذت تنهار تباعاً منذ

مدة، وبجانبها مبنى كبير متهدم كانت جامعة «مونت كلير» تستخدمه كمقرّ للمخيم الصيفي منذ عدة سنوات. وقد توقفوا عن استخدامه من فترة طويلة. هذا المبنى بعيد نسبياً عن البحيرة وتحيط به الأشجار العالية، ووراءه غرفة للغسيل فيها وعاء كبير صدىء لغلي الملابس، وإلى جانبها مخزن أخشاب كبير له باب مزوّد ببكرات. كان مشيداً ليستخدم كمرآب، لكنهم جعلوه مخزناً للخشب وكانوا يقفلون بابه عند نهاية موسم الصيف. الخشب هنا من الأشياء القليلة التي يحاول الناس سرقتها، ومع ذلك فهم يسرقونه من كومة في العراء، ولا يخلعون باباً لأجل ذلك. أظن انك عرفت ماذا وجدت داخل المخزن.

– فكّرت انك ذهبت إلى سان برناردينو .

– غيّرت رأيي. لم أجد من المناسب ان أترك بيل في سيارة توجد جثة زوجته في صندوقها. لذلك وضعت الجثة في سيارة الإسعاف التي يملكها الدكتور، وكلفت آندي ان يصطحب بيل إلى مركز الشرطة. وعدت إلى هنا لأنني أريد ان ألقي نظرة متفحصة على المكان قبل عرض الأمر على الشريف .

– هل كانت سيارة موريال في المخزن؟

– أجل. وفي داخلها حقيبتان مقفلتان، فيهما ثياب تبدو وكأنها جُمعت على عجل. ثياب امرأة. المهم يا بني ان شخصاً غريباً عن المنطقة لا يمكنه ان يعرف ذلك المكان .

وافقت معه على ذلك. مدّ يده إلى جيب سترته وتناول ورقة صغيرة مطوية. فتحها قليلاً ووضعها في باطن كفّه قائلاً:

– أنظر ما وجدت؟

تقدمت منه ونظرت إلى كفه فرأيت على الورقة سلسلة ذهبية لها قفل صغير جداً كأنه حلقة في السلسلة، وكانت مقطوعة بحيث ان القفل لايزال سليماً. طولها حوالى سبعة انشات، وكان هناك مسحوق أبيض عليها وعلى الورقة.

سألني باتون قائلاً: احزر أين عثرت عليها؟

رفعت السلسلة محاولاً تقريب طرفيها فلم أجدهما متناسبين. لم أعلّق على ذلك، لكنني بللت اصبعي قليلاً بلعابي وتذوقت المسحوق الأبيض.

قلت له: وجدتها في علبة أو وعاء يحتوي على السكر. هذه السلسلة كناية عن خلخال. بعض النساء لا يخلعنه أبداً مثل خاتم الزفاف. والذي نزع الخلخال لم يكن يحمل مفتاحه.

ـ ماذا تستنتج من ذلك؟

ـ لا معنى لأن يقطع بيل هذا الخلخال عن رجل موريال ويترك العقد حول رقبتها. ولا معنى لأن تقطعه موريال بنفسها ـ هذا إذا افترضنا انها أضاعت المفتاح، ولماذا تخبئه بعد ذلك؟ لن يفكر أحد بالبحث عنه بدقة إلّا بعد العثور على الجثة، ولو ان بيل هو الذي قطعه كان سيرميه في البحيرة. لكن يبدو ان موريال تريد الاحتفاظ به واخفاءه عن بيل وهذا يبرر اختيارها لذلك المكان لتخبئه.

نظر إليَّ دون ان يفهم قصدي قائلاً: وكيف ذلك؟

ـ لأنه مخبأ تختاره سيدة. إنها علبة السكر الذي يستخدم في إعداد الحلوى. لن يفكر أيّ رجل في مكان كهذا. وعثورك عليه دليل على براعتك .

ابتسم وقال: اللعنة، لقد أوقعت العلبة بالصدفة، فسقط بعض السكّر على الأرض، بدون تلك الحادثة لم أكن لأعثر عليه .

لفّ الورقة ثانية وأعادها إلى جيبه ووقف ينوي الذهاب، فقال:

ـ أتريد ان تبقى هنا يا سيد مارلو، أم انك ستنزل إلى المدينة؟

ـ سأعود إلى المدينة، إلى ان تطلبني للتحقيق. أظن انك ستفعل ذلك .

ـ هذا أمر يتعلق بالمحقق طبعاً. أرجو ان تغلق النافذة التي دخلت منها، وأنا سأطفىء المصباح وأقفل الباب .

نفذت ما طلبه مني وهو أضاء المصباح الصغير الذي يحمله وأطفأ الضوء في الغرفة. أقفل الباب ثم أغلق باب الشريط بهدوء ووقف ينظر إلى البحيرة التي أضاءها نور القمر.

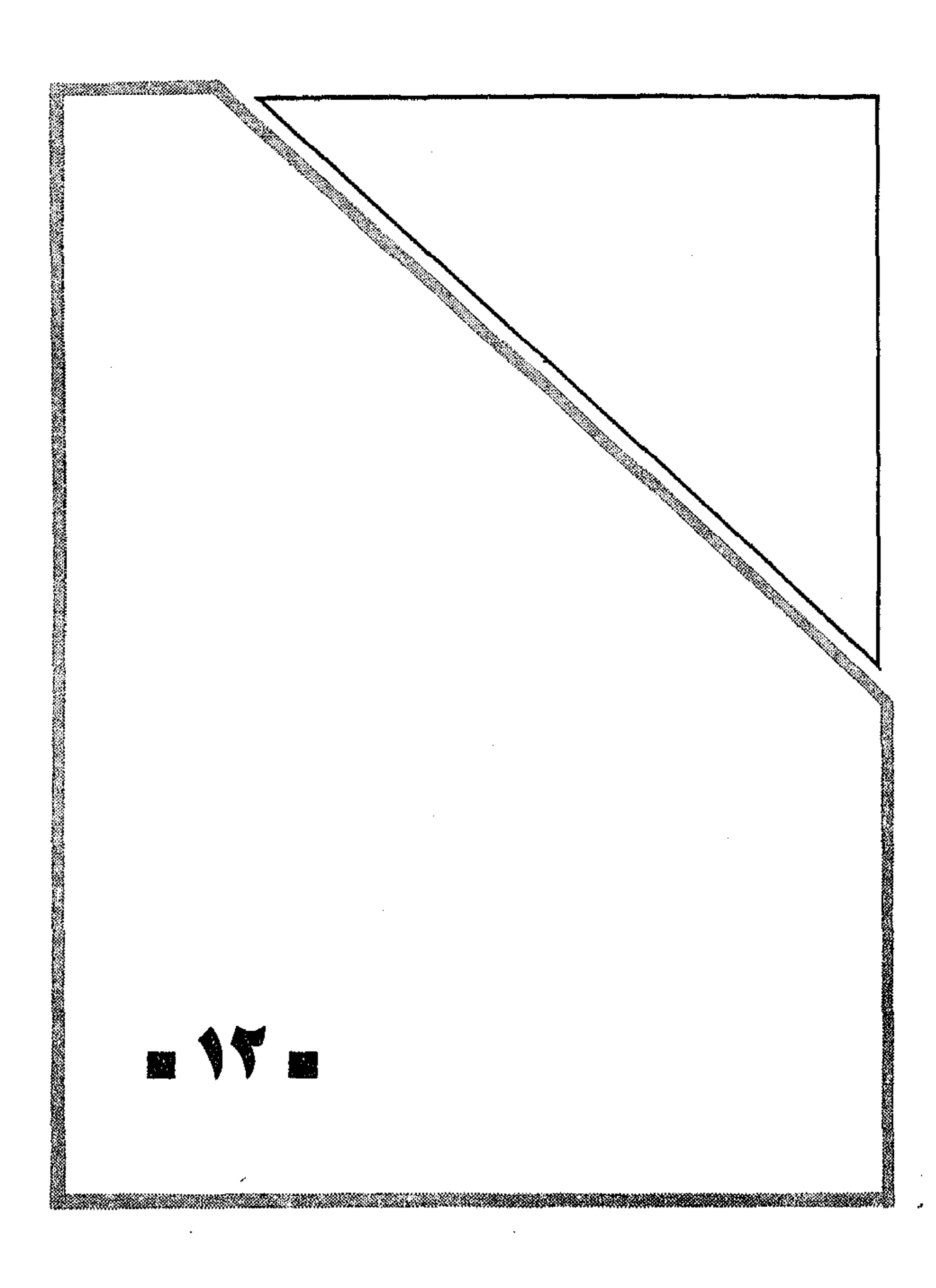
قال بكآبة: لا أعتقد ان بيل كان ينوي قتلها. انه قادر على خنق فتاة حتى الموت وهو لا يقصد قتلها. يداه قويتان جداً. أنا متضايق جداً من هذه القضية، لكن هذا لن يبدّل الوقائع ولا الاحتمالات، كل الأدلة تبدو بسيطة وطبيعية، وكل شيء بسيط وطبيعي يكون صحيحاً.

قلت: لو انه ارتكب الجريمة كان سيحاول الفرار، ولا أجد معنى لبقائه هنا طيلة هذه المدة.

بصق باتون في ظل شجيرة «مانزنيتة»، وقال ببطء: انه يتقاضى راتباً تقاعدياً من الحكومة، والهرب يعني خسارة الراتب أيضاً. معظم الرجال يفضّلون مواجهة أية ظروف طارئة يتعرّضون لها، كما يحدث في العالم اليوم. حسناً، أتمنى لك قضاء ليلة سعيدة.

سأنزل قليلاً إلى الرصيف وأقف في ضوء القمر أفكر في... في حزني، تصوّر اننا في ليلة بديعة كهذه نجد أنفسنا مجبرين على التحدث عن الجرائم .

مشى متمهلاً بين الظلال حتى صار واحداً منها. وقفت حتى اختفى عن ناظريّ وتوجهت إلى البوابة المقفلة فتسلقتها. صعدت في سيارتي وانطلقت بها أبحث عن مكان اختبىء فيه.


١٣

على بعد ثلاثمئة ياردة من البوابة درب ضيّق تغطيه أوراق أشجار السنديان المتراكمة من الخريف الماضي. كان يلتف حول صخرة صوان ضخمة ثم يختفي. سلكت الدرب وأخذت السيارة تعلو وتهبط على الحجارة مسافة خمسين أو ستين قدماً، ثم استدرت حول شجرة حتى صارت السيارة تواجه الطريق. أطفأت النور والمحرك وجلست أنتظر.

مضت نصف ساعة، وبدون تدخين بدا الوقت أطول. ثم سمعت صوت محرك سيارة من بعيد، أخذ يعلو تدريجياً حتى مرت السيارة على الطريق أمامي. تلاشى صوتها مع بعد المسافة وظلّت رائحة الغبار الجاف عالقة فترة في الهواء بعد ابتعادها.

ترجلت من سيارتي ومشيت حتى البوابة ومن هناك توجهت إلى كوخ تشيس. دفعت بقوة النافذة التي كنت قد دخلت منها فانفتحت في الحال. تسلقتها ودخلت وركّزت ضوء البطارية على الطاولة. أنرت المصباح واسترقت السمع، لم أسمع شيئاً، دخلت إلى المطبخ وضغطت زر المصباح الكهربائي فوق المغسلة.

صندوق الحطب قرب الموقد كان مليئاً بالحطب الموضّب بعناية.

لم يكن في المغسلة صحن وسخ أو أوعية تحتوي بقايا طعام على الموقد. بيل تشيس كان يعتني بنظافة بيته وترتيبه. هناك باب في المطبخ يفتح على غرفة النوم، وفي الغرفة باب لحمام صغير يبدو انه تمّ إلحاقه بالمبنى منذ فترة قصيرة، لم أجد شيئاً مهماً داخل الحمام.

في غرفة النوم سرير مزدوج وطاولة للزينة من خشب الصنوبر، مزوّدة بمرآة مستديرة معلّقة على الحائط فوقها، وهناك مكتب وكرسيان وسلّة معدنية للمهملات. تغطي الأرض على جانبي السرير سجادتان بيضاويتا الشكل. وعلى الحائط كان بيل تشيس قد علّق خرائط كثيرة تشرح تفاصيل المعارك الحربية نشرتها مجلة «ناشيونال جيوغرافيك».

أخذت أفتش في الأدراج، في علبة مكسوة بجلد اصطناعي وجدت مجموعة من الحلي لم تأخذها معها، وإلى جانبها مساحيق عادية كالتي تستخدمها النساء على وجوههن وعلى عيونهن ولطلاء أظافرهن. ولاحظت ان الكمية الموجودة كبيرة نسبياً. لكن هذا مجرد تخمين. وفي الخزانة ثياب رجالية ونسائية بكمية معقولة للطرفين. بيل عنده قميص فيها مربعات كبيرة جداً ولها قبة منشّاة، هذا بالإضافة إلى أغراض أخرى. وتحت شرشف أزرق في إحدى الزوايا عثرت على قميص تحتيّ جديد من الحرير، خوخيّ اللون، ومزيّن بشريط مخرّم: هذا يلفت الانتباه لأن أية سيدة في كامل وعيها لم تكن في هذه السن بالذات لتتخلى عن قميص تحتي من الحرير. ليس هذا في مصلحة بيل تشيس، وأخذت أتساءل عما سيقوله باتون.

عدت إلى المطبخ أفتش الرفوف العالية التي كانت بجانب المغسلة. كانت مليئة بالعلب ومرطبانات تحتوي على مواد مختلفة. كان سكر الحلوى في علبة بنيّة اللون مربعة الشكل لها زاوية ملتوية. باتون حاول ان ينظف السكر الذي وقع على الأرض دون ان ينجح كثيراً في ذلك. وبجانب السكر وجدت الملح والبوريق وبيكربونات الصودا ودقيق الذرة النشوّي والسكر الأسمر وغيرها. قد تكون في وعاء من بينها وصلة سلسلة الخلخال المفقودة والتي لم يعد بسببها طرفا السلسلة متناسبين.

أغمضت عينيّ وأشرت باصبعي بشكل عشوائي فدلّ على وعاء بيكربونات الصودا. وجدت جريدة في جوار صندوق الحطب، ففتحتها وأفرغت الصودا عليها. حركت المسحوق بملعقة. كانت هناك كتلة متحجرة من الصودا، لكن لا شيء غير ذلك. أعدت الصودا إلى علبتها وجربت حظّي مع البوريق. لا شيء. وبما ان المحاولة الثالثة تكون ناجحة عادة جربت دقيق الذرة، حين أفرغته أثار الكثير من الغبار ولم يكن في العلبة شيء غيره.

صوت وقع أقدام بعيدة جمّد الدم في عروقي. أطفأت النور وعدت بسرعة إلى غرفة الجلوس لأطفىء النور هناك أيضاً، مع ان الوقت كان قد فات ولم يعد لذلك فائدة بالطبع. اقتربت الخطوات، هادئة وحذرة، فتصلبت أوصالي.

انتظرت في العتمة وضوء البطارية في يدي اليسرى. مرت دقيقتان طويلتان. كنت أتنفس بصعوبة.

ليس هذا باتون، لأن باتون يتقدم مباشرة إلى باب البيت ويفتحه

ويأمرني بالخروج. الخطوات الحذرة تتحرك في هذا الاتجاه وذاك، حركة، صمت طويل، حركة أخرى، صمت طويل آخر. نظرت خلسة من الباب ووضعت يدي على المسكة بهدوء. فتحت الباب واندفعت إلى الخارج والمصباح في يدي.

إلتمعت عينان في الظلام، ثم سمعت قفزة ووقع حوافر تسرع لتختفي بين الأشجار. كان القادم غزالاً فضولياً. أغلقت الباب وعدت إلى المطبخ. استقرت دائرة ضوء المصباح الصغيرة على علبة سكر الحلوى.

أضأت النور ثانية، وتناولت العلبة وأفرغت محتوياتها على الجريدة. لم يبحث باتون في داخلها؛ لقد عثر على السلسلة صدفة وظنّ انه ليس هناك سواها. لم يلاحظ ان هناك قطعة ناقصة.

بدت قطعة قماش بيضاء صغيرة في المسحوق الأبيض. نفضتها جيداً وفتحتها. وجدت فيها قلباً ذهبياً صغيراً حجمه لا يتجاوز حجم ظفر الإصبع الأصغر في يد سيدة.

أعدت السكّر إلى علبته، والعلبة إلى مكانها على الرف؛ وطويت الجريدة ووضعتها داخل الموقد. عدت إلى غرفة الجلوس وأطفأت المصباح وتمكنت بواسطة النور ان أقرأ النقش الرقيق على القلب الذهبي، الذي بالكاد تمكن قراءته بدون عدسة مكبّرة: «من آل إلى ملدريد ١٨ حزيران/يونيو ١٩٣٨، مع حبي».

من آل إلى ملدريد. من آل المجهول اسم العائلة إلى ملدريد هافيلاند. ملدريد هافيلاند هي موريال تشيس. وموريال تشيس ماتت... بعد اسبوعين من ظهور شرطي يدعى دوسوتو كان يبحث عنها.

وقفت في مكاني والقلب في يدي ورحت أتساءل عن علاقتي بهذه القضية، ولم أجد أي ردّ مقنع يساعدني على وضع حد لحيرتي.

لففت القلب ثانية في قطعة القماش ووضعته في جيبي وغادرت الكوخ، ثم عدت بالسيارة إلى القرية.

باتون لايزال في مكتبه وهو يتصل بالهاتف. الباب مقفل. انتظرت حتى انتهى من مكالمته. بعد قليل وضع السماعة وأقبل نحوي ليفتح لي الباب.

دخلت ووضعت قطعة القماش على المنضدة أمامه وفتحتها.

قلت له: يبدو انك لم تبحث جيداً في السكّر.

نظر إلى القلب الذهبي الصغير، ثم نظر إليّ، استدار حول المنضدة وتناول عدسة مكبرة رخيصة من درج مكتبه. أخذ يتفحص القلب، ثم وضعه في يده والتفت نحوي عابساً.

قال بفظاظة: كان بإمكانك ان تخبرني بأنك ستفتش ذلك الكوخ، هل ستكون مصدر ازعاج لي، يا بني؟ قلت له: انت لم تنتبه إلى ان طرفيْ السلسلة لم يكونا متناسبين.

نظر إليَّ بكآبة وقال: يا بني، لم يعد نظري قوياً مثل نظرك. ودفع القلب قليلاً بإصبعه ثم حدّق في وجهي دون ان يقول شيئاً.

قلت له: انت ظننت ان الخلخال قد يثير غيرة بيل حين يراه، وأنا أيضاً فكرت في هذا الأمر. لكنني الآن مستعد لأن أراهن انه لم يره ولم يسمع باسم ملدريد هافيلاند.

قال باتون ببطء: يبدو انني مدين باعتذار للمدعو دوسوتو، أليس كذلك؟

قلت له: هذا إذا قابلته مرة ثانية.

نظر إليَّ محدّقاً مرة ثانية، ونظرت إليه بدوري، فقال:

- أنا متأكد ان لديك الآن تصوراً جديداً بخصوص هذه القضية.

- أجل، بيل لم يقتل زوجته.

- لم يقتلها؟

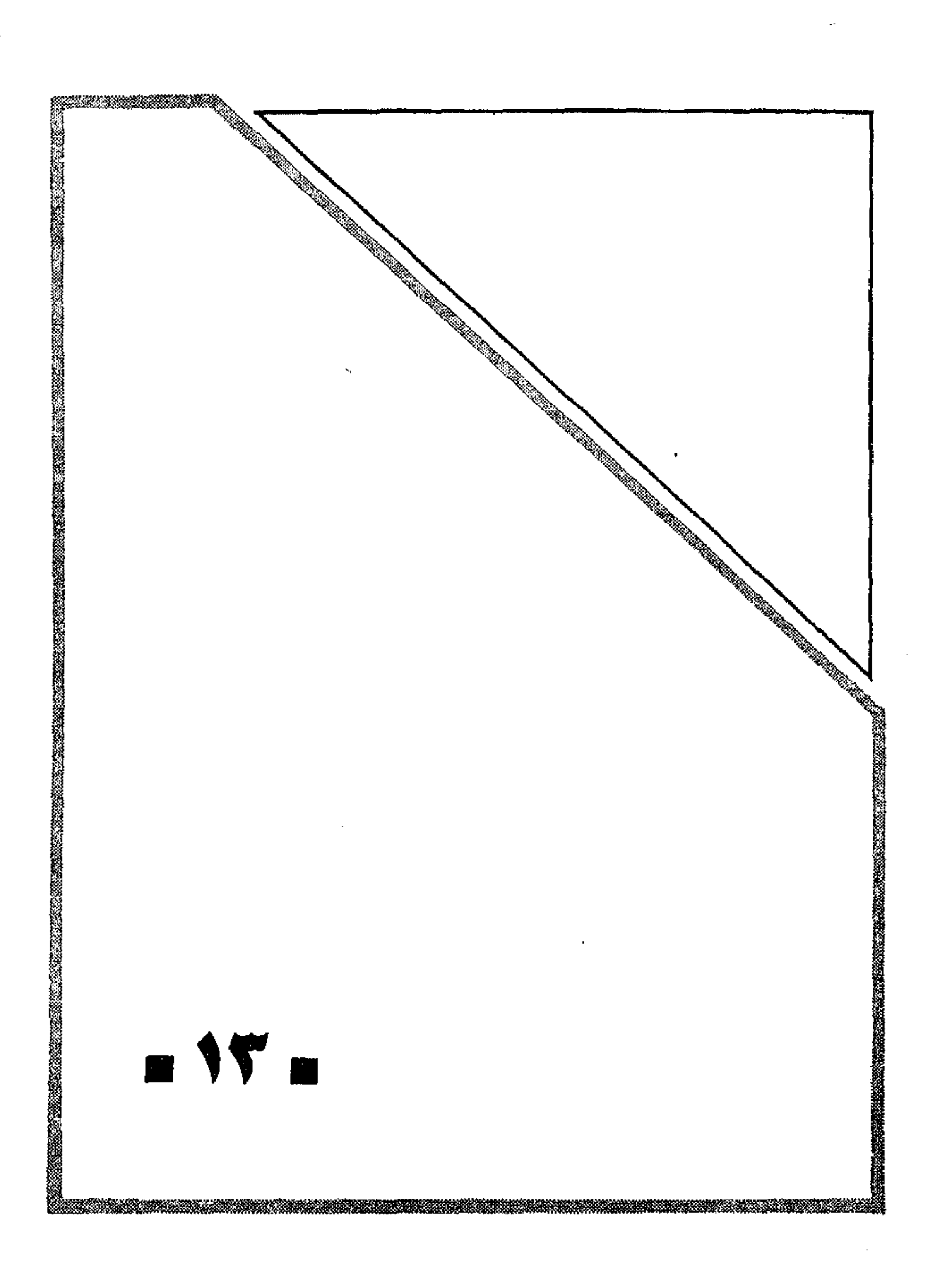
- لا. الذي ارتكب الجريمة شخص كانت تعرفه في الماضي. شخص أضاعها فترة ثم وجدها ثانية، وجدها متزوجة من رجل آخر ولم يعجبه ذلك. شخص يعرف طبيعة المنطقة هنا - كما يعرفها مئات الأشخاص غير المقيمين فيها - وكان يعرف مكاناً مناسباً لإخفاء السيارة والحقائب. شخص يكرهها وأخفى عنها حقيقة مشاعره نحوها. أقنعها بالرحيل معه وبعد ان جمعت أغراضها وكتبت الرسالة، شدّ على رقبتها بيديه وانتقم منها وحمل جثتها إلى البحيرة، ثم اختفى. هل يعجبك هذا التحليل؟

قال بعد تفكير: تبدو الأمور أكثر تعقيداً الآن، ألا تظن ذلك؟ لكنني لا أجد تصوّرك مستحيلاً. ليس مستحيلاً أبداً.

- حين تتعب منه أخبرني لأنني سأكون قد توصلت إلى تحليل آخر.

- أنا متأكد من ذلك. ولأول مرة منذ التقينا شاهدته يضحك.

تمنيت له ليلة سعيدة وتركته يعيد تقويم المستجدات بأسلوبه المتروي.


■ ١٣ ■

وصلت إلى سان برناردينو حوالى الساعة الحادية عشرة، وأوقفت السيارة أمام فندق بريسكوت. أخذت من السيارة حقيبة صغيرة تحتوي على ما يلزم لتمضية ليلة خارج البيت، وصعدت ثلاث درجات فقط وانتشلها من يدي خادم الفندق الذي كان يرتدي بنطلوناً يزينه شريط مجدول وقميصاً أبيض ويضع رباط عنق أسود على شكل فراشة. الموظف المسؤول كان بيضوي الرأس لم يبد اهتماماً بي، أو بأي شيء آخر. كان يرتدي بذلة بيضاء، وتثاءب وهو يقدم لي القلم كي أدوّن اسمي على الدفتر، ثم نظر إلى البعيد كأنه يستعيد ذكريات طفولته.

صعدت والخادم بالمصعد إلى الطابق الثاني، ومشينا في ممر طويل ومتعرّج. كانت الحرارة تزداد شيئاً فشيئاً. فتح لي باب غرفة صغيرة جداً، لها نافذة واحدة تفتح على فسحة للتهوئة داخل المبنى. الهواء المكيّف يصل إلى الغرفة عبر حاجز مشبّك صغير جداً في أعلى السقف بحجم محرمة سيدة. والشريط الذي تدلّى منه كان بالكاد يهتز.

تجاوز الخادم سن الشباب، وكان طويلاً ونحيلاً وبارداً كأنه قطعة من لحم الدجاج في هلام من عصير الطماطم. لم يتوقف عن

مضغ العلكة، وضع حقيبتي على كرسي، نظر إلى حاجز التبريد، ثم نظر إليَّ، كانت عيناه بلون الماء.

قلت له: ليتني طلبت غرفة بدولار في الليلة، لأن هذه ضيقة جداً.

- حظّك جيد لأنك وجدت غرفة شاغرة. البلدة تعجّ بالمصطافين.

- أحضر لنا ثلجاً وكوبين.

- لنا؟

- هذا إذا كنت ترغب في تناول كوب من الشراب معي.

- أعتقد انني سأكون سعيداً بذلك.

حين خرج خلعت سترتي وربطة عنقي وقميصي التحتي، وأخذت أتمشى في مجرى الهواء الساخن. دخلت إلى الحمام بشكل جانبي - كانت الغرفة ضيقة إلى هذا الحد - واغتسلت بالماء الفاتر. كنت أحسن حالاً حين رجع الخادم الطويل وهو يحمل صينية. أغلق الباب وتناولت أنا زجاجة الشراب. ملأ الكوبين وتبادلنا ابتسامات المجاملة المعروفة ثم شربنا. تصبب العرق من أسفل رقبتي حتى ظهري وكاد يصل إلى جوربي قبل ان أضع الكأس من يدي. لكنني مع ذلك شعرت بتحسن. جلست على حافة السرير ونظرت إلى الخادم وسألته:

- كم من الوقت يلزمك؟

- كي أفعل ماذا؟

- كي تظل تتذكر.

- لست معتاداً على ذلك أبداً.

ـ معي مبلغ من المال أود ان أنفقه بطريقتي الخاصة. وتناولت محفظتي من جيبي ووضعت على السرير عدة دولارات عتيقة .

قال الخادم: أرجو المعذرة، يبدو انك شرطي.

ـ لا تكن غبياً، متى رأيت شرطياً يفرّط بماله الخاص؟ تستطيع ان تقول انني مفتش .

ـ الأمر يهمني، والشراب يساعد عقلي على العمل .

ناولتــه دولاراً وقلت: ستجـرب مفعول هذه الورقة الآن. وهل تريدني ان أطلق عليك اسم التكساسيّ الضخم من هيوستن؟

ـ اسمي أمــاريلّلو، لكنني لا أمانع ان تناديني باللقب الذي ذكرته. وما رأيك بلهجتي؟ انها تزعجني لكنني أجد الناس يحبونها .

ـ حافظ عليها، فإنها لم تكن بالنسبة لأي كان سبباً لخسارة المال .

ابتسم وطوى الدولار بعناية ووضعه في جيب بنطلونه.

سألتــه: ماذا كنت تفعل يوم الجمعة في الثاني عشر من شهر حزيران/يونيو عند بداية المساء؛ لقد كان يوم جمعة.

ارتشف قليلاً من شرابه وفكر وهو يدير قطعة الثلج بهدوء وشرب ثانيـة والعلكة لا تزال في فمه. قال: كنت هنا، مع المجموعة التي تخدم من الساعة السادسة حتى الثانية عشرة.

ـ في ذلك اليوم أتت إلى الفندق سيدة شقراء نحيلة وجميلة، ومكثت هنا حتى موعد قطار الليل الذي يذهب إلى آل باسّو. اعتقد انهـا استقلت هذا القـطار لأنها وصلت آل باسّو صباح الأحد. جاءت إلى الفندق وهي تقود سيارة مسجلة باسم كريستال غرايس

كينغسلي، ٩٦٥ كارسون درايف بيفرلي هيلز. ربما تكون قد سجّلت هذا الاسم في دفتر الفندق، أو اختارت اسماً آخر، أو لم تسجل اسمها إطلاقاً. سيارتها لا تزال في مرآب الفندق، وأنا أود التحدث إلى الخدم الذين رأوها تدخل إلى الفندق وتخرج منه، هذا يجعلك تكسب دولاراً آخر ـ إذا أنت فكرت قليلاً بالأمر.

وتناولت دولاراً آخر عن السرير فأخذه من يدي وأدخله في جيبه في الحال. قال بهدوء: أستطيع ان أفعل ذلك.

وضع كأسه ووقف ليغادر الغرفة وأغلق الباب. أفرغت كأسي وملأتها ثانية. دخلت إلى الحمام لأغسل الجزء الأعلى من جسمي بالمياه الدافئة. وفيما كنت أفعل ذلك رن جرس الهاتف المعلّق على الحائط فحشرت نفسي في المجال الضيق بين باب الحمام والسرير لأرفع السماعة.

سمعت صوت الخادم يقول بلهجة سكان منطقة تكساس: خادم المرآب في تلك الليلة كان اسمه «سُوليّ» لكنه تجند للخدمة العسكرية في الاسبوع الماضي. أما الخادم الذي كان موجوداً وهي تدفع الحساب قبل مغادرتها للفندق فهو يدعى «لاس» ولايزال يعمل هنا.

ـ حسناً، هل تستطيع ان ترسله إلى غرفتي؟

كنت لا أزال أرتشف كأسي الثانية وأفكر في الثالثة حين سمعت طرقاً على الباب، ففتحته لشاب قصير القامة، أخضر العينين وله فم صغير كفم فتاة.

دخل بخطى راقصة ووقف ينظر إليَّ وهو يلهث بصوت خافت.

سألته: أتريد كأساً من الشراب؟

قال ببرود: بكل تأكيد. ملأ لنفسه كأساً وتناولها دفعة واحدة، ووضع سيجارة بين شفتيه الصغيرتين وأشعل عود الثقاب وهو يرفعه من جيبه. رأى بطرف عينه الأوراق النقدية على السرير، بدون ان ينظر إليها مباشرة. على جيب قميصه طُرّزت كلمة «كابتن» بدلاً من رقم معين.

سألته: هل أنت لاس؟

قال بعد فترة من الصمت: لا. نحن لا نحب المفتشين هنا. لا نستخدم مفتشاً ولا نستقبل مفتشاً يعمل لصالح شخص آخر.

قلت: شكراً لك، تستطيع ان تذهب الآن.

قال وقد بدا الضّيق عليه: هه؟

ـ اخرج من هنا .

ـ ظننت انك تودّ رؤيتي؟

ـ هل أنت المسؤول عن دفتر الفندق؟

ـ هذا صحيح .

ـ كنت أريد ان أقدّم لك كأساً وأن أعطيك دولاراً .

ـ تفضّل .

ورفعت يدي أقدمه له ثم قلت: شكراً لحضورك.

أخذ الدولار ووضعه في جيبه، بدون كلمة شكر. وظل واقفاً في مكانه والدخان يتسرب من أنفه، وعيناه تكشفان وضاعته.

قال: كلمتي هنا هي المسموعة.

ـ مسموعة في إطار عملك، وهذا ليس عظيماً. لقد تناولت شرابك

وأخذت نصيبك. هيّا اخرج من هنا .

استدار وهو يهزّ كتفيه بسرعة وانسّل من الغرفة دون ان يصدر صوتاً.

بعد أربع دقائق سمعت طرقاً على الباب، طرقاً خفيفاً هذه المرة. إنه الخادم الطويل، دخل مبتسماً، تقدمت أمامه وجلست على حافة السرير ثانية.

- يبدو ان لاس لم يعجبك؟

- ليس كثيراً، هل هو قانع بما حصل عليه؟

- أظن ذلك. أنت تعرف كيف يتصرف المسؤولون يجب ان يثبت الواحد منهم انه صاحب نفوذ. ربما كان من الأفضل ان تدعوني أنا باسم لاس يا سيد مارلو .

- أنت الذي تقاضيت الحساب من السيدة إذاً؟

لا. ليس الأمر كما تتصور. إنها لم تسجل اسمها في دفتر الفندق. لكنني أذكر السيارة. لقد أعطتني دولاراً لكي أوصلها إلى المرآب ولأنتبه لأغراضها حتى يحين موعد القطار. تناولت طعام العشاء في الفندق. الدولار الذي أخذته منها يساعدني على تذكر هذه التفاصيل. وقد سمعت كلاماً قيل حول السيارة وانها متوقفة منذ فترة طويلة دون ان يطالب أحد بها.

- هل تستطيع ان تصف تلك السيدة؟

- كانت ترتدي بذلة سوداء وبيضاء، يغلب فيها اللون الأبيض. وتضع على رأسها قبعة لها شريط أسود وأبيض. كانت شقراء وأنيقة المظهر. استقلّت سيارة أجرة إلى المحطة وأنا وضعت لها حقائبها في

تلك السيارة. كانت الحقائب تحمل حرفيْن يدلّان على اسمها لكنني لا أقدر ان أتذكرهما .

ـ أنا سعيد لأنك لا تتذكرهما. وإلّا سيكون ما تقوله لي الآن جيد أكثر من اللازم. تفضّل وتناول كأساً. كم كان عمرها تقريباً؟

غسل الكوب الآخر وملأه ثم قال: من الصعب تحديد عمر امرأة في هذه الأيام. أعتقد انها كانت في الثلاثين تقريباً، أكثر أو أقل بقليل.

بحثت في جيب سترتي عن صورة كريستال ولايفري على الشاطىء وأعطيته إياها.

نظر إليها بتمعّن ثم أبعدها قليلاً عنه، ثم قرّبها قلت: لن تكون مُجبراً على القسم وعلى الإدلاء بهذه الشهادة في المحكمة.

أحنى رأسه قائلاً: وأنا لن تكون عندي رغبة في ذلك، لأنه يصعب التمييز بين الشقراوات، لدرجة ان تغييراً بسيطاً في الثياب أو في لون الشعر أو في مساحيق التجميل يجعلهن متشابهات أو مختلفات.

قلت: ما الذي لفت انتباهك في الصورة؟

ـ إنني أفكر في أمر هذا الرجل. هل له دخل في الموضوع؟

ـ ماذا تودّ ان تقول عنه؟

ـ أعتقد ان هذا الشاب تحدث إليها وهي في قاعة الانتظار، وتناول العشاء معها. إنه شاب طويل ووسيم وقويّ البنية . ولقد رافقها في سيارة الأجرة أيضاً .

ـ هل أنت متأكد من ذلك؟

نظر إلى الأوراق النقدية على السرير.

سألته متعباً: حسناً، كم يكلّف جوابك؟

تصلّب قليلاً ووضع الصورة جانباً وسحب الدولارين من جيبه ورمى بهما على السرير.

قال: أشكرك على الشراب، واللعنة عليك ثم توجه نحو الباب.

قلت متذمراً: هيا اجلس، ولا تكن حسّاساً إلى هذا الحد.

جلس ونظر إليَّ بعناد.

قلت له: لا تكن جنوبياً إلى هذا الحد. منذ سنوات وأنا أستجوب المستخدمين في الفنادق، ولم ألتق بواحد يرفض ان يتكلم، فلا تحاسبني أنت لأنني لم أتوقّع ان ألتقي بواحد يرفض ان يتكلم مقابل المال.

ابتسم قليلاً وأحنى رأسه. رفع الصورة ثانية ونظر إليها.

قال لي: هذا الرجل له ملامح مميّزة. أكثر من السيدة. لكن هناك مسألة أخرى جعلتني أتذكره. لقد لاحظت ان السيدة لم تكن مرتاحة بجلوسه معها بشكل مكشوف في قاعة الفندق.

فكرت في ذلك وقلت في نفسي أنه لا يعني الكثير. ربما كان قد تأخر عليها أو انه لم يأت في موعد سابق. قلت له:

- هناك سبب آخر لسلوكها على هذا النحو. لكن، هل تتذكر أية حليّ كانت تضع تلك السيدة؟ من حلق أو خواتم أو أية حلية لفتت انتباهك برونقها أو قيمتها؟

قال انه لم يلاحظ ذلك.

- هل كان شعرها طويلاً أم قصيراً، أملس أو متماوجاً أم

مجعّداً، أشقر بلون طبيعي أم مصبوغاً؟

ضحك وقال: لا أحد يستطيع الاجابة على هذه النقطة الأخيرة، يا سيد مارلو. حتى السيدة التي لها شعر أشقر طبيعي ترغب في ان تكون شعرها أفتح لوناً. أما بالنسبة لسائر التفاصيل فإنني أذكر ان شعرها كان طويلاً نسبياً، كالموضة هذه الأيام، وهو أملس إلى حد ما ويلتف عند آخره، لكن ربما أكون مخطئاً . نظر إلى الصورة ثانية وقال: إنها تربطه في هذه الصورة ولا يبدو منه شيئاً .

قلت: هذا صحيح، لقد طرحت عليك هذه الأسئلة لأتأكد انك لم تلاحظ أكثر مما ينبغي، لأن الشخص الذي يرى الكثير من التفاصيل لا يُستند إلى شهادته كالشخص الذي لا يرى شيئاً. إنه يسعى دائماً لتأليف نصف كلامه أما كلامك فيبدو معقولاً. شكراً جزيلاً.

أعدت إليه الدولارين وفوقهما خمسة دولارات، شكرني وأفرغ كأسه ثم خرج بهدوء. أفرغت كأسي بدوري واغتسلت ثانية وقررت انه من الأفضل لي أن أقود السيارة إلى البيت وألّا أنام في هذا الجحر. ارتديت قميصي وسترتي ثانية ونزلت على الدرج والحقيبة في يدي.

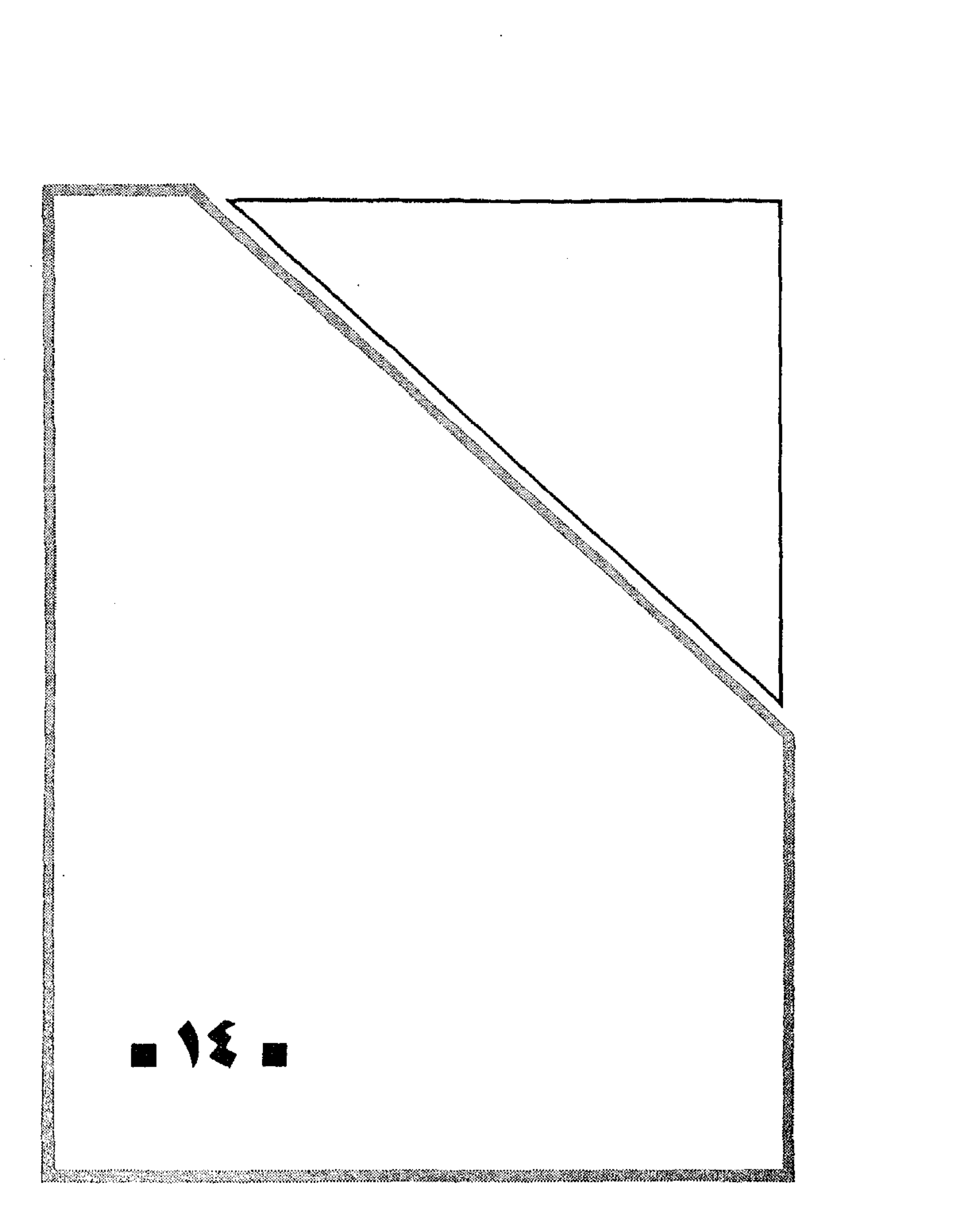
كان الكابتن ذو الشعر الأحمر هو العامل الوحيد في القاعة. حملت حقيبتي إلى المنضدة فلم يتحرك ليحملها بدلاً مني. تقاضى مني المسؤول دولارين دون ان ينظر إليّ.

قلت له: دولاران لقضاء ليلة في هذا الجحر، مع انني أستطيع ان أجد لنفسي برميلاً بارداً في الهواء الطلق، بدون مقابل.

تثاءب المسؤول وتأخر في ردّه، ثم قال بذكاء: يصبح الجو بارداً هنا حوالى الثالثة صباحاً، ويكون مقبولاً من الثامنة إلى التاسعة.

مسحت رقبتي بمنديل وتوجهت نحو السيارة. حتى مقعد سيارتي كان حاراً عند منتصف الليل.

وصلت إلى البيت في الثانية وخمس وأربعين دقيقة كان الطقس في هوليوود بارداً جداً، وحتى باسادينا كانت باردة.


■ ١٤ ■

حلمت انني غصت في أعماق مياه باردة خضراء، ومع جثة تحت إبطي. جثة فتاة شعرها أشقر طويل يتماوج أمام عينيّ. وأخذت تدور حولنا سمكة ضخمة ومنتفخة لها عينان بارزتان ومكسّوة بحراشف لّماعة ومتعفنة، وكانت تنظر إلينا بخبث كفاسقة طاعنة في السن. عندها شعرت أني أكاد أختنق، دبّت الحياة في الجثة وابتعدت عني، ثم رأيت نفسي أتعارك مع السمكة والجثة تدور وتدور في الماء، وتلتف خصلات شعرها الطويل وتتشابك.

استيقظت وأنا أعضّ على الشرشف ويداي تمسكان بطرف السرير عند الرأس وتشدّان بقوة. أنزلت يديّ وأحسست بألم في العضلات. نهضت ومشيت في الغرفة وأشعلت سيجارة وأنا أتحسّس السجادة بقدميّ العاريتين. دخنت سيجارتي وعدت إلى السرير. كانت الشمس ترسل أشعتها على وجهي حين نهضت للمرة الثانية عند التاسعة، والغرفة كانت حارة. اغتسلت وحلقت ذقني وارتديت بعض ملابسي ثم بدأت أحضر الخبز المحمّص والبيض والقهوة في زاوية المطبخ الصغير. وفيما كنت أعدّ الطاولة سمعت طرقاً على باب الشقة.

ذهبت لأفتح وفمي ملآن بالخبز. رأيت رجلاً طويلاً وهزيلاً وجدّي الملامح، يرتدي بذلة رمادية.

قال لي وهو يدخل إلى الغرفة: فلُويْد غرير، ملازم في المكتب المركزي للمباحث.

مدّ يده فتصافحنا. جلس على حافة المقعد، كما يجلس هؤلاء الأشخاص عادة، وأخذ يدير قبعته بيده ثم نظر إليَّ ليتأملني بتلك النظرة الهادئة التي يعرفونها جميعاً.

ـ تلقينا مخابرة من سان برناردينو عن مشكلة حدثت في بحيرة بوما. المرأة التي غرقت. يبدو انك كنت هناك عند اكتشاف مكان الجثة .

أحنيت رأسي وسألته: هل تريد قهوة؟

ـ لا، شكراً. تناولت فطوري منذ ساعتين .

أحضرت فنجان قهوة وجلست على مقعد قبالته.

قال لي: طلبوا منا ان نتقصّى أمرك وان نقدم تقريراً عنك.

ـ بالطبع .

ـ فعلنا ذلك. يبدو ان سجلك نظيف عندنا . إنها صدفة ملفتة ان يكون رجل مثلك موجوداً عند اكتشاف الجثة .

ـ إنني محظوظ دائماً .

ـ قررت ان أزورك وأتعرف إليك .

ـ أهلاً بك. وأنا سعيد بمعرفتك أيها الملازم .

قال ثانية وهو يحني رأسه: يا لها من صدفة، هل كنت في زيارة عمل؟

قلت: حتى لو كنت كذلك فإن عملي ليست له علاقة بالفتاة التي غرقت، هذا حسب ما أمتلكه من المعلومات.

ـ لكنك لا تستطيع ان تجزم ذلك .

ـ لا يستطيع أي مفتش ان يتأكد من معطيات قضية ما قبل الانتهاء من التحقيق فيها، أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح. ثم أخذ يدير قبعته حول أصابعه كأنه راعي بقر خجول. لكن الخجل لم يكن ظاهراً في عينيه. وتابع يقول: أريد ان أتأكد من انك ستتصل بنا في حال ظهور المعطيات التي تتحدث عنها .

قلت: أتمنى ان تكون واثقاً من انني سأفعل ذلك..

شدّ على شفته السفلى وقال: نريد إثباتاً أكثر من مجرّد التمني. هل لديك في الوقت الحاضر ما تقوله؟

ـ إنني في الوقت الحاضر لا أعرف شيئاً لا يعرفه باتون .

ـ ومن هو باتون؟

ـ مسؤول الأمن في منطقة بحيرة بوما .

ابتسم الرجل بودّ وطقطق أصابعه ثم قال بعد قليل: ربما يطلبك المدعي العام في سان برناردو للتحدث معك قبل البدء بالتحقيق. لكن ذلك لن يتم في وقت قريب. إنهم الآن يحاولون استخراج البصمات وقد كلّفنا أخصائياً للقيام بهذه المهمة.

ـ لن يكون ذلك سهلاً لأن الجثة شبه مهترئة .

قال: ليست هذه المرة الأولى؛ لقد توصلوا في نيويورك إلى طريقة تقنية حديثة بعد دراسات أجروها على جثث غرقى تمّ انتشالها.

إنهم يقتطعون الجلد حول الأصابع ويجففّونه في محلول ملوّن ثم يستخـرجـون العلامات المميّزة، لقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها حتى الآن.

- هل تعقد ان لهذه السيدة سجلاً في ملفات الشرطة؟

- نحن نأخذ دائماً بصمات أية جثة، أنت بدون شك تعرف ذلك .

- أود ان ألفت انتباهك إلى انني لم أكن أعرف تلك السيدة، وإذا كنت تعتقد ان وجودي هناك له علاقة بها، يجب ان تضع هذه الفكرة جانباً .

قال بإلحاح: «لكنك لا تقول لماذا كنت هناك.

- أنت تفترض أنني أكذب عليك إذاً!؟

أدار قبعته بإصبعه وقال: لا تسيء فهمي يا سيد مارلو. أنا لا أفترض شيئاً. إنني أجري تحقيقاً وأتوصل إلى نتيجة. هذه الأسئلة مجرّد عمل روتيني. أنت تعرف ذلك، فأنت تعمل في هذا الإطار منذ فترة طويلة.

وقف ووضع قبعته على رأسه وقال:

- أرجو ان تتصل بي إذا أردت مغادرة المدينة، سأكون شاكراً لك .

قلت له انني سأفعل ذلك ورافقته حتى الباب. خرج وهو يحني رأسه قليلاً وعلى شفتيه ابتسامة شاحبة. تأملته وهو يتقدم بفتور في الممر ويصل إلى باب المصعد ويضع إصبعه على الزّر ليطلبه.

عدت إلى المطبخ لأملأ لنفسي فنجاناً آخر من القهوة. أضفت

الكـريمـا والسكر إلى القهوة وحملت الفنجان إلى جانب التلفون. طلبت مركز الشرطة في المدينة، ثم طلبت مكتب المباحث وسألت عن الملازم فلُويْدت غرير.

ردّ عليَّ الموظف: الملازم غرير ليس في مكتبه، هل تودّ التحدث إلى شخص آخر؟

ـ هل دوسوتو موجود؟

ـ مَنْ؟

كرّرت الإسم ثانية.

ـ ما هي رتبته وفي أي قسم يعمل؟

ـ في قسم التحريات .

ـ إنتظر قليلاً .

انتظرت. بعد قليل سمعته يقول: ما هذا المزاح؟ ليس عندنا في جدول الخدمة شخص يدعى دوسوتو. من الذي يتكلم؟

وضعت السماعة وترشّفت قليلاً من القهوة ثم طلبت رقم هاتف مركز ديراس كينغسلي. ردّت الآنسة فرومسيت الهادئة والناعمة وقـالت انه وصل منذ قليل وفتحت لي خط غرفته دون ان تهمس همسة واحدة.

قال بصوت عالٍ ويفيض حيوية في بداية النهار: حسناً، ماذا عرفت في الفندق؟

ـ كانت هناك فعلاً. ولايفري التقى بها في الفندق. الخادم الذي أدلى بتلك المعلومات أشار إلى وجود لايفري دون ان أسأله عنه،

وبـدون أية اشارة منّي. تناولا العشاء واستقلاّ سيارة أجرة إلى محطة القطار .

قال كينغسلي ببطء: كان عليَّ ان أعرف انه كاذب؛ لكنني شعرت انه تفاجأ بأمر برقية آل باسّو. هذه المرة جاريت مشاعري أكثر من اللزوم. هل وصلت إلى معلوما ت أخرى؟

- هـذا كل ما عرفتـه في الفندق. جاء رجل أمن لزيارتي هذا الصباح وتأملني جيداً، كما يفعل هؤلاء عادة، وحذّرني من مغادرة البلدة بدون إذن مُسبق. كان يحاول ان يعرف سبب وجودي في منطقة بحيرة بوما. لم أخبـره طالمـا انه لم يكن يعـرف بوجـود شخص يدعى جيم باتون، فهذا يعني انه لم يسمع شيئـاً حول الموضوع.

قال كينغسـلي: سيحـاول جيم جهده ان يعالج هذه القضية بلياقته المعروفة. لماذا سألتني البارحة عن اسم ملدريد التي نسيت إسم عائلتها؟

أخبرته الأمر باختصار، وأخبرته عن العثور على سيارة موريال تشيس وعلى ملابسها وأين تمّ العثور عليها وكيف!؟

قال: ليس هذا في صالح بيل. أنا أعرف منطقة بحيرة كون، لو كنت مكانه لم يكن ليخطر في بالي ان أستخدم ذلك المخزن العتيق - ولا أعتقد انني أعرف بوجوده أصلاً. صار موقف بيل مُعقّداً، حتى انه يبدو عن سابق إصرار وتصميم.

- إنني لا أتفق معك في ذلك. لنفترض انه يعرف المنطقة جيداً في هذه الحالة سيفكر في مخبأ مناسب ويقع على مسافة تتناسب ووضع رجله المصابة، والمخزن فيه هذه الصفات .

ـ ربما تكون على حق. وما الذي تنوي فعله الآن؟

ـ سأعيد الاتصال بلايفري طبعاً .

أبدى موافقته وأضاف: هذه القضية الثانية مع انها مؤلمة، لكن ليست لها علاقة بموضوعنا، أليس كذلك؟

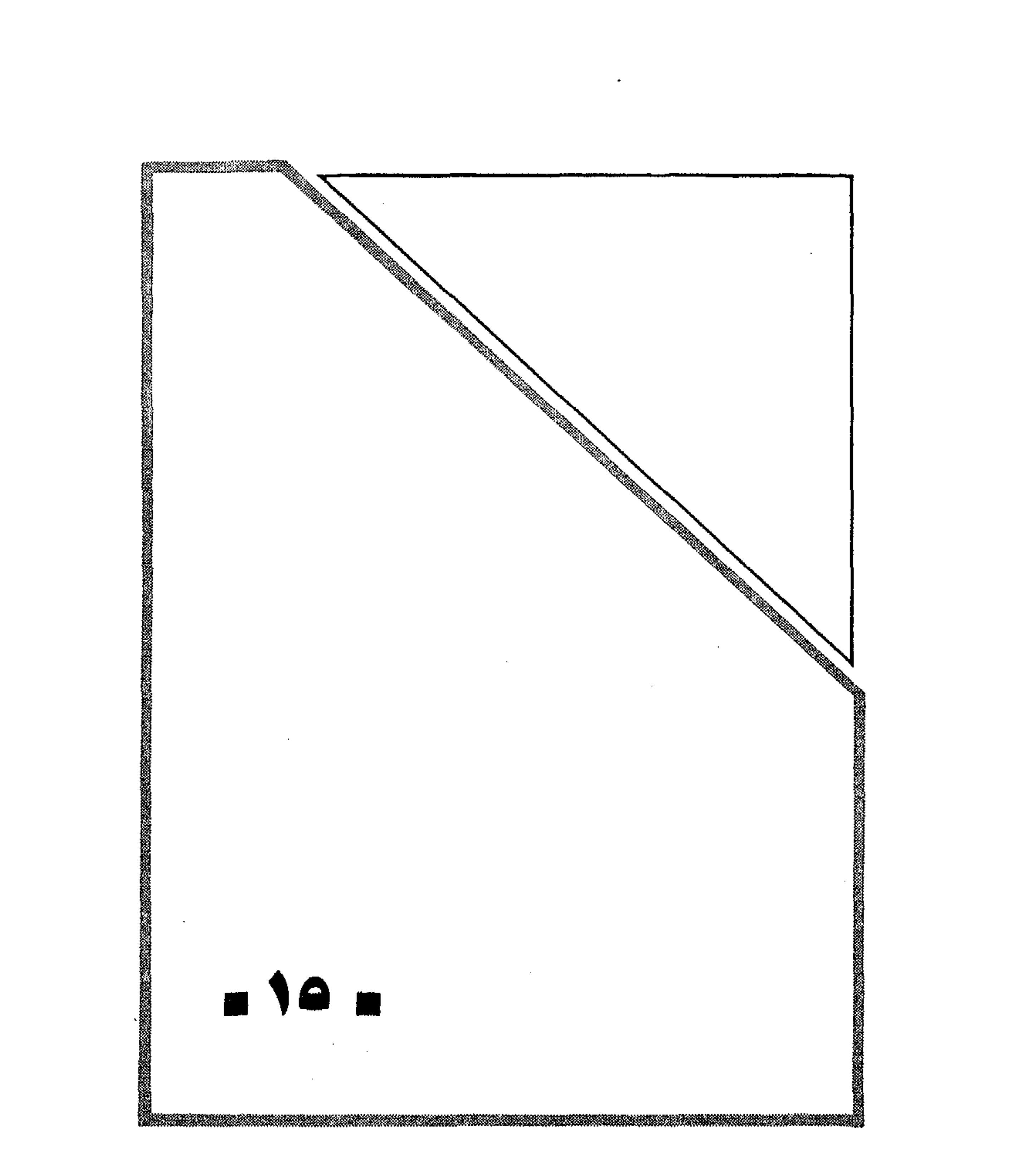
ـ صحيح، إلَّا إذا كانت زوجتك تعرف شيئاً عن هذا الأمر .

بدا صوته حاداً وهو يقول: إسمعني يا مارلو، أعرف ان كل مفتش يحاول عادة ان يربط جميع الأحداث في عقدة واحدة متماسكة، لكن لا تدع هذه النزعة تبعدك عن طريقك. لقد علّمتني الحياة ان هذا الأسلوب في التفكير اسلوب عقيم. عليك ان تترك قضية عائلة تشيس لرجال الشرطة، وتشغل تفكيرك بقضية عائلة كينغسلي.

ـ حسناً .

ـ أنا لا أريد ان أفرض رأيي .

ضحكت من أعماق قلبي وقلت له إلى اللقاء، ووضعت السماعة. ارتديت ما تبقى من ملابسي، ونزلت إلى الطابق السفلي حيث أوقفت السيارة، ومن هناك انطلقت إلى مدينة باي.


■ ١٥ ■

مررت بتقاطع شارع ألتير مع شارع آخر يؤدي إلى حافة الوادي وينتهي في موقف للسيارات على شكل نصف دائرة، له رصيف ويحيط به سياج من الخشب الأبيض. جلست هناك في السيارة لفترة أفكّر وأنظر إلى البحر وأتأمل بإعجاب تلاقي سفوح التلال الرمادية بشاطىء المحيط. كنت أفكر في الأسلوب الذي يجب ان أتّبعه مع لايفري. هل أحافظ على هدوئي أم أستخدم ظاهر يدي وطرف لساني. قررت انني لن أخسر شيئاً بالتقرب منه. وإذا ثبت ان الأسلوب اللطيف غير مجد ـ وهذا ما أتوقّعه ـ فستأخذ الأمور مجراها الطبيعي وقد تتحطم بعض قطع الأثاث عنده.

على سفح التلة امتد شارع أمام البيوت وكان خالياً من المارة. وإلى الأسفل شارع آخر فيه إثنان من الصبية يلعبان بالبومرينغ(*)، ويقذفانها باتجاه السفح ويلحقان بها بالكمية المعتادة من اللّكمات والإهانات. وإلى الأسفل أيضاً بيت تحيط به الأشجار وسور من الآجر. هناك ثياب معلقة على حبل الغسيل في الفناء

(*) البومرينغ: قطعة خشب ملويّة أو معقوفة يتخذ منها سكان استراليا الأصليون قذيفة يرشقون بها هدفاً.

وحمامتان تتمشيان على السطح المنحني وتحركّان رأسيهما. مرّ باص أزرق اللون وتوقف، ترجّل منه عجوز لبث في مكانه لفترة ليركز وقفته وهو يستند إلى عصاه الغليظة، ثم بدأ يصعد الشارع إلى أسفل التلة.

الهواء منعش أكثر من البارحة، والصباح هادىء جداً. تركت السيارة في الموقف ومشيت في شارع ألتير حتى وصلت إلى الرقم ٦٢٣.

كانت الستائر المعدنية مسدلة على النوافذ الأمامية، ويبدو ان سكان البيت مازالوا نائمين. اجتزت الممر وضغطت على الجرس فانتبهت ان الباب لم يكن موصداً. كان شبه مغلق، والمزلاج عالق قليلاً على الجزء السفلي من لوحة القفل. تذكرت انني شددته بقوة حين أغلقته في المرة الأخيرة.

دفعت الباب، فانفتح نحو الداخل بطقطقة خفيفة. كانت الغرفة معتمة، لكن خيوط الضوء كانت تنساب من النوافذ الغربية. لا أحد ردّ على رنين الجرس. لم أحاول ثانية. دفعت الباب ودخلت.

للغرفة رائحة سكون دافئة، رائحة الصباح المتأخرة في بيت لم تفتح نوافذه بعد. زجاجة الشراب على الطاولة المستديرة قرب الأريكة كانت فارغة تقريباً وبجانبها واحدة أخرى ممتلئة. وعاء الثلج رست فيه كمية من الماء وهناك كوبان متسخان، ونصف قارورة من المياه الغازية.

أغلقت الباب كما وجدته ووقفت قليلاً. إذا كان لايفري غائباً سأنتهز الفرصة وأفتش البيت. ليس عندي الكثير لأخيفه به إذا رجع ووجدني في بيته، لكن ما أعرفه يكفي لكي لا يتصل بالشرطة.

الوقت يمر وأنا لا أسمع سوى رنين ساعة على الرف، وصوت نفير سيارة في الخارج، وأزيز طائرة فوق الوادي، وهدير محرك البراد في المطبخ الذي يعلو فجأة ثم يصمت.

مشيت في الغرفة وأخذت أتأمل ما حولي وأسترق السمع دون ان أسمع شيئاً عدا تلك الأصوات الثابتة للتجهيزات المنزلية، توجهت نحو الرواق في الجهة الخلفية.

رأيت يداً ترتدي قفازاً تمسك بالدرابزين المعدني الأبيض عند نهاية الرواق، حيث يوجد سلم يهبط إلى الطابق السفلي. ظهرت اليد ثم توقفت مكانها.

تحركت قليلاً فبرزت قبعة سيدة، ثم رأيت وجهها. كانت السيدة تصعد بهدوء، استدارت لتمشي في الرواق ولم يبد انها رأتني. كانت سيدة نحيلة يصعب تحديد عمرها، شعرها كستنائي بدون ترتيب، وتضع الكثير من المساحيق على خديها والظلال على عينيها. كانت ترتدي بذلة زرقاء من قماش التويد، وبدت مخيفة وهي تضع تلك القبعة الأرجوانية التي كانت تجاهد لكي تظل عالقة على جانب رأسها.

حين رأتني أمامها لم تتوقف ولم تتغير ملامحها على الإطلاق. دخلت ببطء إلى الغرفة وذراعها اليمنى بعيدة قليلاً عن جسمها. في يدها اليسرى كانت ترتدي القفاز البني اللون، الذي رأيته على الدرابزين. والقفاز الثاني كان مطوياً حول عقب مسدس أوتوماتيكي صغير تحمله بيدها اليمنى.

توقفت وأرجعت جسمها قليلاً إلى الوراء، ثم صرخت بصوت

بغيض، أطلقت من بعده ضحكة عصبية. رفعت المسدس وتقدمت نحوي بثبات.

أخذت أنظر إلى المسدس ولم أقل شيئاً.

اقتربت المرأة مني، وحين صارت على مسافة كافية لتبادل حديث حميميّ وجهت المسدس إلى بطني وقالت:

ـ أنا لا أريد سوى الإيجار. يبدو انه يعتني بالبيت جيداً. ليس هناك أثاث محطّم. انه مستأجر طيب ونظيف، لكنني أتضايق حين يتأخر كثيراً في دفع الإيجار.

قلت لها بصوت مشدود محاولاً ان أكون مهذّباً: وكم تأخر عن ذلك؟

ـ ثلاثة أشهر. مئتان وأربعون دولاراً. ثمانون دولاراً في الشهر مبلغ معقول جداً لبيت مفروش على هذا النحو. منذ فترة لم أستطع تحصيل الإيجار منه، وقد وعدني بإعطائي شيكاً بالمبلغ هذا الصباح. وعدني بذلك على الهاتف.

قلت: على الهاتف، هذا الصباح؟

تحركت قليلاً بحيث لا تلاحظ ذلك. كنت أفكر بالاقتراب منها كي أتمكن من توجيه ضربة جانبية إلى المسدس فيفلت من قبضتها ثم انقضّ عليها قبل ان تتمكن من التقاطه ثانية. لم يحالفني الحظ في السابق بأداء هذه الحركة، ولكن لا بأس بالمحاولة من حين لآخر، ويبدو الظرف مؤاتياً الآن.

تقدمت منها حوالى ستة انشات، لكن هذه المسافة لا تكفي. قلت لها: وأنت صاحبة الملك؟

لم أكن أنظر إلى المسدس مباشرة. لديَّ أمل، أمل بسيط جداً، في ان تكون غير متأكدة بأنها تصوب المسدس نحوي.

ـ بالطبع، أنا السيدة فالبروك. من تظنني؟

ـ إعتقدت انك صاحبة البيت، لأنك تتحدثين عن الإيجار والأثاث وغير ذلك. لكنني لا أعرف اسمك!

تقدمت منها أكثر. خطوة هادئة وناجحة من العار أن أضيّعها.

ـ ومن أنت، إذا سمحت لي بهذا السؤال؟

ـ أرسلتني الشركة التي أعمل فيها من أجل تحصيل قسط السيارة. كان الباب مفتوحاً وأنا دفعته ودخلت .

حاولت أن أبدو كرجل يعمل في قسم المحاسبة في شركة لبيع السيارات. لم يكن ذلك سهلاً، وفي كل لحظة يكاد ينكشف أمري بسبب ابتسامة مفاجئة.

قالت السيدة بقلق واضح: هل تقصد ان السيد لايفري تأخر في دفع أقساط سيارته؟

قلت محاولاً تهدئتها: قليلاً، لم يتأخر كثيراً.

صرت مستعداً للمحاولة الآن. المسدس في مرمى يدي ويجب ان أتحرك بسرعة. المطلوب هو توجيه ضربة قوية للمسدس والهرب باتجاه الباب. بدأت بتحريك رجلي اليسرى ووضعها خارج إطار السجادة.

قالت: أتعرف، هذا المسدس أمره عجيب. لقد وجدته على السلم. إنه آلة قذرة يكسوها الزيت، أليس كذلك؟ وسجادة السلم من نسيج قطني جميل رمادي اللون. إنها غالية الثمن.

وأعطتني المسدس.

رفعت يدي لآخذه، وكانت متصلبة وهشّة في الوقت نفسه، كقشرة البيضة. أخذت المسدس . شممت بامتعاض رائحة قفّازها الذي كان يحيط بعقب المسدس، وتابعت حديثها بالأسلوب الغبي نفسه. طقطقت ركبتيّ وأنا أقف بارتياح.

قالت: الأمر سهل بالنسبة لك، أقصد موضوع السيارة. تستطيع ان تستردها إذا أردت. لكن استرجاع بيت بأثاثه ليس مسألة سهلة. طرد المستأجر يتطلب وقتاً طويلاً. وفي جو الخلاف السائد قد ينتقم المستأجر ويخرّب أثاث البيت. هذه السجادة مثلاً ثمنها أكثر من مئتي دولار، وهي مستعملة. خيطانها من القنّب، وألوانها رائعة، ألا تعتقد ذلك؟ من الصعب ان تعرف انها من القنّب ومستعملة. وهذه مسألة سخيفة أيضاً لأن السجاد يصبح مستعملاً بعد ان ندوس عليه. وأنا جئت إلى هنا مشياً على قدميّ أيضاً، لأوفر دواليب سيارتي من أجل الحكومة. كان بإمكاني ان استقل الباص، لكن الباص الذي ننتظره لا يصل عادة في الوقت المناسب.

بالكاد سمعت ما قالته. كان صوتها كأمواج تتكسّر في الأفق البعيد. كنت مهتماً بالمسدس.

فتحت مخزن المسدس، كان فارغاً. أدرته في يدي ونظرت إلى البكرة، كانت فارغة أيضاً. شممت فوهته فانبعثت منها رائحة دخان.

وضعت المسدس في جيبي. إنه مسدس بست طلقات، أوتوماتيكي من عيار ٢٥، فارغ وجميع رصاصاته أطلقت منذ فترة

غير بعيدة. لكن هذا لا يعني ان ذلك حدث في نصف الساعة الماضية.

سألتني السيدة فالبروك بمرح: هل أطلقت به النار؟ أرجو ألا يكون حدث ذلك.

سألتها: هل من سبب يجعلك تعتقدين ان أحدهم أطلق النار منه؟

كان صوتي ثابتاً، لكن عقلي مازال مشوّشاً.

قالت: كان مرمياً على السلّم، والناس عادة يستخدمون المسدسات ليطلقوا بها النار.

قلت: هذا صحيح فعلاً. لكن ربما تكون جيب السيد لايفري قد ثقبت من رصاصة أطلقت من هذا المسدس. هو في البيت، أليس كذلك؟

هزّت رأسها وبدت متضايقة، آه، لا. لا أعتقد ان هذا تصرّف لطيف من جانبه. لقد وعدني بالشيك، وأنا جئت مشياً...

سألتها: متى اتصلت به؟

ردّت بانفعال منزعجة من كثرة الأسئلة: مساء البارحة.

قلت: ربما غادر البيت في حالة اضطرارية.

حدّقت في نقطة عينيّ العسليتين الكبيرتين.

قلت لها: اسمعيني يا سيدة فالبروك. يجب ان نضع حدّاً لهذا الحوار، وهذا لا يعني انه لا يعجبني، ولكنني أود أن أسألك، هل أنت أطلقت النار على لايفري لأنه مدين لك بإيجار ثلاثة أشهر؟

جلست ببطء شديد على حافة المقعد ومدت طرف لسانها على شفتها التي طلتها بلون قرمزي؛ ثم قالت غاضبة:

ـ هذا افتراض مخيف فعلاً. ولا أظن انك شاب مهذّب. ألم تقل ان النار لم تطلق من المسدس؟

ـ ليس هناك مسدس لم تنطلق منه النار. كل مسدس تتم تعبئته عادة بالرصاص، وهذا المسدس فارغ الآن.

ـ حسناً، وماذا؟... ورفعت يدها في حركة يائسة ثم شمت قفازها.

ـ قد أكون مخطئاً، أرجو ان تنسي هذا الأمر. أنت دخلت إلى البيت والسيد لايفري لم يكن موجوداً، يجب ان يكون عندك مفتاح آخر بما انك صاحبة البيت، هل هذا صحيح؟

قالت وهي تقضم ظفرها، لم أكن أقصد الخلاف معه، ربما أخطأت في الحضور إلى هنا، لكن لي الحق في إلقاء نظرة على ممتلكاتي.

ـ حسناً، وأنت فعلت ذلك وأنت متأكدة انه ليس موجوداً؟

قالت ببرود: لم أبحث عنه تحت السرير أو في الثلاجة. ناديت اسمه من أعلى الدرج لأنه لم يرد على جرس الباب. ثم نزلت إلى القاعة في الطابق السفلي وناديت ثانية. حتى انني اختلست النظر إلى داخل غرفة النوم.

أخفضت عينيها متظاهرة بالخجل، ووضعت يدها على ركبتها.

قلت: حسناً، وهذا كل ما حدث؟

أحنت رأسها باقتناع: أجل، هذا كل ما حدث. وما هو اسمك أنت؟

ـ فانس، فيلو فانس .

ـ وما اسم الشركة التي تعمل فيها يا سيد فانس؟

قلت لها: إنني حالياً عاطل عن العمل. إلى ان يحتاجني مفوض الشرطة ثانية.

بدت مذهولة وقالت: لكنك قلت انك جئت من أجل أقساط السيارة!

ـ هذا عمل جزئي. عمل وقتي .

وقفت تنظر إليَّ بثبات. قالت بشيء من البرود: في هذه الحالة من الأفضل ان تذهب الآن.

قلت: كنت أود أن ألقي نظرة على البيت أولاً، إذا كان ذلك لا يزعجك. ربما أعثر على شيء لم تنتبهي له.

قالت: لا أعتقد ان ذلك ضروري. هذا بيتي. وسأكون شاكرة لك لو خرجت الآن يا سيد فانس.

ـ وإذا لم أفعل ستأتين بشخص يجبرني على ذلك. ارتاحي، واجلسي ثانية يا سيدة فالبروك. سألقي نظرة على البيت، وتذكري أن موضوع المسدس يثير الريبة .

قلت لك أنني وجدته على السلم. لا أعرف شيئاً آخر عنه. لا أعرف شيئاً عن المسدسات أصلاً. أنا، أنا لم أطلق النار في حياتي.

فتحت حقيبة زرقاء كبيرة وتناولت منها محرمة مسحت بها أنفها.

قلت لها: هذه روايتك، لكنني لست مضطراً لتصديقها.

رفعت يدها اليسرى أمامي بحركة مثيرة للشفقة، ثم صرخت: آه، ليتني لم أفعل ذلك! يا له من تصرّف بشع. أعرف انه بشع وسيثير غضب السيد لايفري.

- ليتك لم تعطني المسدس لأكتشف انه فارغ. لأنك قبل ذلك كنت تمسكين بالموقف جيداً .

ضربت الأرض برجلها، وبتلك الحركة إكتمل المشهد التمثيلي الذي كانت تؤديه أمامي.

قالت وكأنها تشكو أمرها بصوت عال: أنت رجل كريه حقاً. لا تحاول ان تلمسني! لا تحاول ان تقترب مني! لن أبقى معك في هذا البيت دقيقة واحدة. كيف تجرؤ على إهانتي...

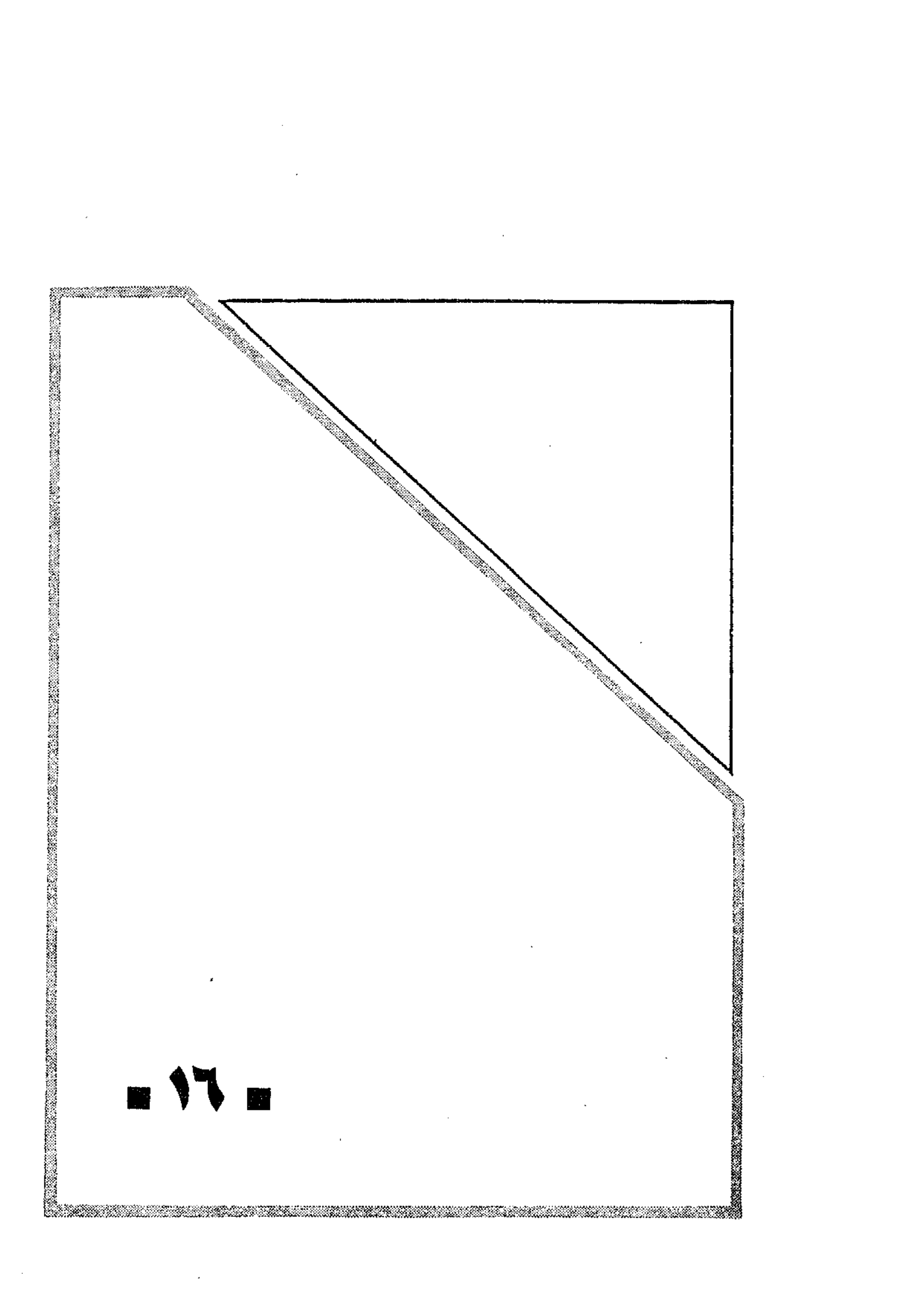
وشدت على نبرات صوتها محدثة صوتاً قوياً وحاداً كأنها تضرب بحبل من المطاط. ثم أخفضت رأسها، وركضت نحو الباب. حين مرت بقربي رفعت يدها تريد توجيه ضربة لي، لكنها لم تكن قريبة ما يكفي لذلك، وأنا لم أتحرك من مكاني. فتحت الباب بعنف وخرجت منه وانطلقت نحو الشارع. إنغلق الباب ببطء وسمعت صوت خطواتها المتسارعة وهي تبتعد.

مرّرت إصبعي ببطء على أسناني، ووضعت يدي على خدّي وأنا أسترق السمع. لا شيء. وفي جيبي مسدس أوتوماتيكي كان يحمل ست رصاصات وقد أطلقت جميعها.

قلت بصوت عالٍ: هناك خلل ما في هذا المشهد . صار سكون البيت غير عادي الآن. مشيت على السجادة ذات اللون المشمشيّ

وخرجت إلى الرواق ومنه إلى أعلى السلم. وقفت هناك قليلاً لأتنصت.

هززت كتفي ونزلت إلى الطابق السفلي.



■ ١٦ ■

عنـد طرفيْ القاعة السفلية بابان متقابلان واثنان في الوسط أحدهما باب خزانة للبياضات، والثاني كان مقفل. مشيت إلى طرف الغرفة فوجدت الباب يفتح على غرفة نوم إضافية ستائرها مسدلة ولا شيء يدل على انها استخدمت مؤخراً. عدت إلى الطرف الآخر من القاعة ودخلت إلى غرفة نوم ثانية فيها سرير واحد وسجادة بلون القهوة والحليب، وأثاثها من الخشب العادي وله زوايا بارزة. فوق طاولة الزينة مرآة لها إطار خشبي وفوقها مصباح طويل فلوري. وفي الزاوية طاولة يغطيها لوح زجاجي عليها كلب من الكريستال وعلبة سجائر من الكريستال أيضاً.

مسحوق الوجه كان منتشر على طاولة الزينة. وهناك لطخة من أحمر الشفاه الداكن على منشفة معلّقة فوق سلّة المهملات. على السرير مخدتان متلاصقتان ظهر من تحت واحدة منهما طرف محرمة نسائية. عند أسفل السرير ألقيت بيجامة سوداء شفافة. وفي الهواء بقايا عطر صنوبر. تُرى بماذا فكرت السيدة فالبروك حين رأت كل هذا؟

استدرت ونظرت إلى نفسي في مرآة طويلة تغطي باب الخزانة.

الباب مطلي باللون الأبيض وله مسكة من الكريستال. أدرت المسكة بمحرمتي ورأيت داخل الخزانة ثياباً رجالية، تصاعدت منها رائحة قماش التويد الدافئة. لم تكن الخزانة ملآنة تماماً بثياب رجالية.

رأيت بذلة نسائية بيضاء وسوداء، يطغى عليها اللون الأبيض، وحذاء أسود وأبيض، وقبعة لها شريط أسود وأبيض يلتف حولها. هناك ثياب نسائية أخرى لكنني لم أتفقدها.

أغلقت باب الخزانة وخرجت من غرفة النوم وأنا أحمل منديلي لكي لا ألمس شيئاً بيدي.

البـاب الآخر بجانب باب خزانة البياضات في القاعة هو باب الحمـام على الأرجـح. دفعته قليلاً، لايزال مقفلاً. انحنيت قليلاً فرأيت فتحة صغيرة وسط المسكة، كانت لمفتاح غير مُسنّن يُفتح به القفـل في حال أصيب من في داخـل الحمام بحالة إغماء، أو ان الأولاد أغلقوا الباب من الداخل ولم يعرفوا كيف يفتحونه.

يكون هذا المفتاح عادة على أعلى رفّ في خزانة البياضات. لكنني لم أعثر عليه. جرّبت نصل سكيني، لكنه كان رفيعاً جداً. عدت إلى غرفة النوم وتناولت مبرد أظافر مسطح عن طاولة الزينة. كان حجمه مناسباً وانفتح باب الحمام.

بيجاما رجالية بلون الرمل كانت ملقاة على سبت (سلة) بجانب الباب، وعلى الأرض خفّ بلون أخضر. على حافة المغسلة آلة حلاقة وأنبوب مفتوح من الكريم. نافذة الحمام مغلقة، وفي الداخل رائحة منفّرة ومميّزة.

على بلاط الحمـام الأخضر النيـلي ثلاث رصـاصات نحاسية

فارغة، وفي زجاج النافذة فتحة ظاهرة. إلى جهة اليسار، أعلى قليلاً من النافذة كان هناك ثقبان في الجصّ كأن رصاصتين اخترقتا الحائط.

ستارة الحوض خضراء وبيضاء من الحرير، وتتدلّى من حلقات من الكروم اللماع، وكانت تغطي الحوض خلفها. دفعتها جانباً فأصدرت الحلقات صوتاً حاداً شعرت انه عال جداً.

تقلصت عضلات رقبتي وأنا أنحني - ها هو ممدد أمامي في زاوية الحوض تحت حنفيتين برّاقتين، ونقاط الماء تتساقط ببطء على صدره من «الدشّ»، المصنوع من الكروم.

ركبتاه جمعتا لكنهما ظلّتا رخوتين. على صدره العاري ثقبان أزرقان داكنان. الإصابة القريبة من القلب تسبّبت في مقتله، ويبدو ان أثر الدم قد أزيل.

في عينيه نظرة برّاقة كأنه يترقب بفضول حدثاً معيناً، أو شم رائحة قهوة الصباح وأراد ان يتناولها على عجل.

عمل جيد التنفيذ. كان لايفري قد حلق ذقنه واستعدّ ليغتسل ووقف قليلاً ليفتح الحنفيتين ويختار درجة حرارة المياه المناسبة. دخلت عليه امرأة وفي يدها مسدس. التفت نحوها فأطلقت النار عليه.

أخطأته بثلاث رصاصات. هذا يبدو مستحيلاً لأن المسافة قصيرة، لكن الدليل موجود أمامي، وقد يحدث ذلك في معظم الأحيان.

لم يجد مهرباً أمامه. قد يحاول المرء في هذه الحالة الانقضاض

على مهاجمه لكنه يجب ان يكون مستعداً لخطوة كهذه. أما لايفري فإنه كان منحنياً فوق الحنفيتين. ويحاول إغلاق الستارة في الوقت نفسه، لذلك لم يكن من السهل عليه ان يحافظ على توازنه. ومن المحتمل ان تكون حركته تجمّدت من الخوف.

لم يكن أمامه سوى ان يبتعد قدر الإمكان، لكن الحوض صغير والحائط حاجز منيع. وجد نفسه والحائط من خلفه وأدرك ان الأمر قد انقضى. طلقتان إضافيتان وانزلق عن الحائط وتخلت عيناه عن تلك النظرة الخائفة. فارق الحياة وصارت عيناه فارغتين.

تقدمت السيدة وأغلقت مياه الدشّ . أقفلت باب الحمام وغادرت البيت ورمت بالمسدس الفارغ على سجادة السلم. لا شك انها كانت مضطربة. ربما يكون المسدس للايفري.

هل هذا التحليل صحيح؟ يجب ان يكون صحيحاً.

إنحنيت ولمست يده فوجدتها أبرد من الثلج، وأشد تصلباً منه. خرجت من الحمام وتركت الباب مفتوحاً. لا داعي لإغلاق الباب، فلا فائدة من ذلك سوى انه سيشكّل عملاً إضافياً لرجال الشرطة.

عدت إلى غرفة النوم وسحبت المحرمة من تحت المخدة، كانت من الكتّان وطرفها مُطرز باللون الأحمر. على الزاوية حرفان: «أ. ف».

قلت: «أدريان فرومسيت». ضحكت. كانت ضحكة وحشية إلى حد ما.

تفضت المحرمة كي أخفّف من رائحة عطر الصنوبر العالقة بها ولففتها في قطعة قماش ووضعتها في جيبي. صعدت إلى غرفة

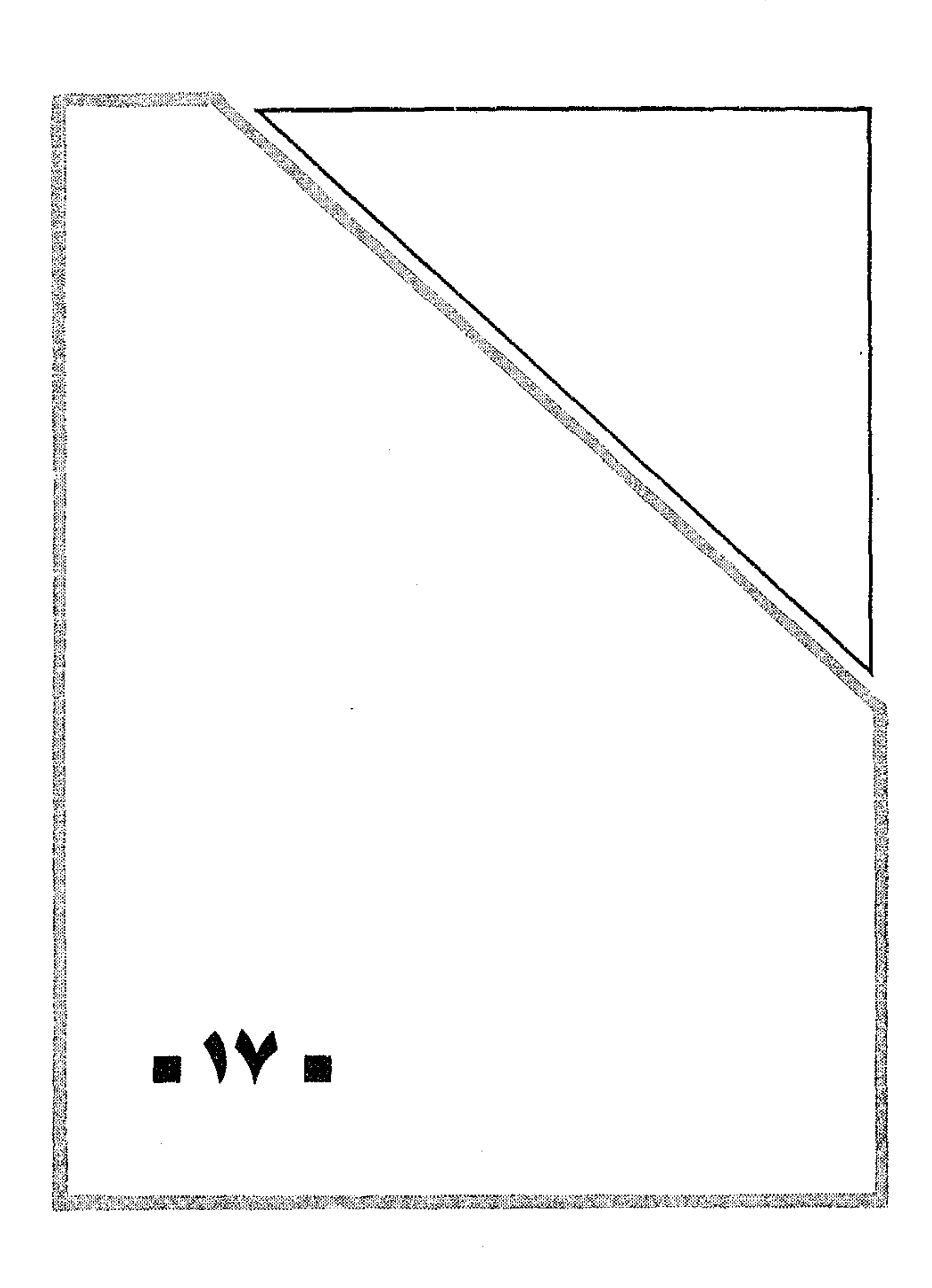
الجلوس وأخذت أفتش طاولة المكتب. لم أجد رسائل ذات أهمية أو أرقام تلفون أو أي شيء ملفت. وحتى لو كان هناك شيء من هذا القبيل فإنني لم أتمكن من العثور عليه.

رأيت التلفون على طاولة صغيرة بجانب المدفأة. كان مزوداً بشريط طويل كي يتمكن السيد لايفري من التحدث وهو مستلق على الكنبة يدخن سيجارة، وبقربه حسناء رشيقة القوام وأمامه متسّع من الوقت ليخوض في حديث هادىء ووديّ مع صديقة أخرى. حديث بسيط وبطيء فيه شيء من الغنج والمزاح، ليس شديد الرقّة وليس فظّاً في الوقت نفسه، أسلوب الحديث الذي يتقنه ويحبّه.

ضاع كل شيء الآن. توجهت نحو الباب وأدرت القفل بحيث أستطيع ان أدخل مرة ثانية، ودفعت الباب بشدة حتى سمعت طقطقة خفيفة. قطعت الممر ووقفت في الشمس أنظر إلى بيت الدكتور ألمور في الجهة المقابلة.

لم يصرخ أحد، ولم أر أحداً يهرب. ولم أسمع صفّارة رجل شرطة. كل شيء هادىء والشمس تغمر المكان بأشعتها اللطيفة. لا داعي للقلق. لكن مارلو وجد جثة ثانية. صار يتقن ذلك مؤخراً. سيطلقون عليه لقب «مكتشف الجرائم». سيجعلون سيارة المشرحة تتبعه لأنه يجد عملاً لها.

كان لايفري رجلاً طيباً وساذجاً إلى حد ما. مشيت حتى تقاطع الشارعين، وانطلقت بسيارتي بعيداً عن تلك الناحية.


١٧

عاد الخـادم في النـادي الرياضي بعد ثلاث دقائق وأشار إليَّ لأتبعـه بإيماءة برأسه. صعدنا إلى الطابق الرابع وانعطفنا حول زاوية ثم أشار إلى باب نصف مفتوح.

إلى الجهـة اليسرى يا سيدي. أرجوك ان تلزم الهدوء. بعض الأعضاء نائمين.

دخلت إلى مكتبة النادي، كانت تحتوي على كتب مرتبة خلف أبواب زجاجية وعلى مجلات وُضعت على طاولة وسط الغرفة وعلى الحائط عُلقت صورة لمؤسس النادي. لكن الغرفة كما يبدو كانت تستعمل للنوم. عدة مجموعات من رفوف الكتب كانت تقسم الغرفة إلى خلوات صغـيرة، وفي كل زاوية منها مقاعد جلدية وثيرة كبيرة الحجم ووافرة النعومة. على تلك المقاعد غطّ في نوم هادىء مجموعة من الرجال، وجوههم تميل إلى اللون البنفسجي من ارتفاع ضغط الدم، ومن أنوفهم يتصاعد شخير نحيل ومتعب.

تجـاوزت أقـدامـاً عديدة ثم اتجهت إلى اليسار. كان ديراس كينغسلي يحتل الخلوة الأخيرة في أبعد زاوية في الغرفة، وهي تضم مقعدين يواجهان الحائط. بدا رأسه فوق واحد منهما، جلست في

المقعد الشاغر أمامه وألقيت عليه التحية.

قال: اخفض صوتك لأن هذه الغرفة مخصصة لقيلولة بعد الظهر. ماذا تريد؟ إنني أستخدمك لكي تخفّف عني المتاعب، لا لتضيف إليَّ متاعب جديدة. بسببك ألغيت موعداً هاماً.

قلت له: أعرف ذلك ثم قربت وجهي منه وقلت: لقد أطلقت عليه النار.

اندهش وتحجّرت عيناه وشدّ على أسنانه. تنفّس بهدوء وفرك يده على ركبته.

قال بصوت منخفض: تابع كلامك.

نظرت إلى أقرب رجل فوجدته يغطّ في نومه وينفخ الزّغب المغبّر في منخريه إلى الخارج وإلى الداخل.

قلت له: لم يردّ عليَّ أحد في منزل لايفري. كان الباب نصف مفتوح. لكنني لاحظت البارحة انه لا ينغلق بسهولة عند العتبة. دفعته وفتحته، كانت الغرفة مظلمة، على الطاولة كوبان مستعملان، والبيت هادىء جداً. بعد قليل صعدت السلم سيدة نحيلة شعرها أسود اللون وتدعى فالبروك، وهي صاحبة البيت، تحمل قفازاً تلفّ به مسدساً قالت انها عثرت عليه مرمياً على السلم، وانها أتت لتحصيل إيجار ثلاثة أشهر مضت. استخدمت مفتاحها لتدخل، ويبدو انها استغلّت الفرصة لكي تتجوّل في أنحاء البيت. أخذت المسدس منها وعرفت ان النار أطلقت منه منذ وقت قريب، وقد نجحت في التخلص منها بإثارة مخاوفها فخرجت حانقة. قد تتصل بالشرطة، لكنني أرجّح انها ستنسى كل شيء وستخرج إلى البرية

لتصطاد الفراشات، مع انها بالطبع لن تنسى الإيجار المتأخر.

سكتّ قليلاً، كان كينغسلي ينظر إليَّ بانتباه شديد وبدا الضّيق في عينيه.

نزلت إلى الطابق السفلي. من الواضح ان امرأة قضت ليلتها هناك. وجدت بيجاما نسائية ومسحوقاً للوجه وعطراً وغير ذلك. باب الحمام كان مقفل، لكنني فتحته: ثلاث رصاصات فارغة على الأرض، واثنتان في الحائط، وواحدة اخترقت النافذة، ولايفري ممدد في الحوض عارياً وميتاً.

همس كينغسلي قائلاً: يا إلهي! هل تقصد ان المرأة التي قضت الليل معه قتلته هذا الصباح وهو في الحمام؟

سألته: وماذا كنت تظنّني أقول لك؟

قال متذمراً: اخفض صوتك! هذه صدمة لي بالطبع ولماذا في الحمام؟

قلت له: ولماذا لا يكون ذلك هناك؟ هل تستطيع ان تفكر في مكان مناسب أكثر منه يكون فيه الإنسان غير حذر على الإطلاق؟

قال: أنت لا تعرف ان امرأة هي التي قتلته. أعني انك لست متأكداً، أليس كذلك؟

قلت: لا، هذا صحيح. قد يكون المجرم استخدم مسدساً صغيراً وأفرغه عمداً بهذه الطريقة كي يبدو ما حدث من فعل امرأة. غرفة الحمام في الطابق السفلي وهي تطل على منحدر ولا أعتقد ان أحداً يستطيع سماع صوت الطلقات. قد تكون السيدة التي كانت برفقته

غادرت البيت ـ او انــه لم تكن هناك امرأة أبداً والأغراض التي رأيتها وُضعت للتمويه. قد تكون أنت القاتل.

كاد يقـول كلامـاً أحمق لشدة إنفعاله، أخذ يشد بعنف على ركبتيـه، لكنـه تمالك نفسه وقال: وما الذي يدفعني لإطلاق النار عليه؟ أنا رجل متمدن.

لم أجد مبرّراً لمناقشته في هذا أيضاً. فسألته، هل تملك زوجتك مسدساً.

إلتفت نحوي بوجه بائس وقال: يا إلهي! لا أظن انك تعني ما تقوله؟

ـ أرجوك، أجبني، هل تملك مسدساً؟

ردّ بكلمات بطيئة: "أجل ـ تملك مسدساً ـ مسدس أوتوماتيكي صغير.

ـ هل اشتريته من هذه المدينة؟

ـ لا، لم أشتره أبداً. لقد أخذته من رجل كان سكران في حفلة في سان فرنسيسكو منذ سنتين. كان يلوّح به، يظن ذلك نوعاً من المزاح، ولم أردّه له .

ضغـط على خديه حتى ابيّضت يداه، وأضاف يقول: إنه على الأرجح لا يذكر أين فقده ولا كيف. إنه سكّير من هذا النوع.

قلت له: الأمور جميعها تسير باتجاه سليم. هل تستطيع التعرّف على المسدس؟

استرسل في التفكير وعيناه نصف مغمضتين. ألقيت نظرة على المقـاعد الأخرى. أحد الكهول النائمين أيقظ نفسه بشخرة قوية

كادت توقعه عن كرسيه. سعل وحكّ أنفه بيده النحيلة، وتناول ساعة ذهبية من جيب سترته. نظر إليها بتكاسل ثم أرجعها إلى مكانها واستغرق في النوم ثانية.

أخرجت المسدس من جيبي ووضعته في يد كينغسلي حدق فيه بيأس وقال ببطء: لا أعرف، إنه يشبهه، لكني لست متأكداً.

قلت: هناك رقم تسلسليّ على جانبه.

ـ لا أحد يتذكر أرقام المسدسات .

ـ كنت أتمنى ألّا تتذكره، لأن قدرتك على تذكّره كانت ستثير مخاوفي .

وضع المسدس بجانبه على الكرسي وقال بهدوء: ذلك القذر! أعتقد انه كان يسعى للتخلي عنها.

قلت له: لم أعد أفهم كلامك! منذ قليل قلت انه ليس عندك دافع للقتل لأنك رجل متمدن، لكنك تعتبر الآن ان لزوجتك عذراً كافياً للقتل.

ردّ كما لو انه استعاد وعيه بصورة مفاجئة: الدافع مختلف في الحالتين، بالاضافة إلى ان النساء أكثر تهوّراً من الرجال.

ـ كما ان القطط أكثر تهوّراً من الكلاب .

ـ ماذا؟

ـ بعض النساء أكثر تهوّراً من بعض الرجال، هذا هو المعنى المقصود. يجب ان نتوصّل إلى دافع أفضل، إذا كنت تريد ان تكون زوجتك هي الجانية .

أدار رأسه لكي يوجّه إليَّ نظرة تدل على عدم رغبته بالمزاح في هذا الأمر. شدّ على شفتيه وقال:

ـ فكـرة الدافـع لإرتكـاب الجـريمـة ليست النقطة المناسبة لتدخّلنا: يجب ان لا نترك المسدس يصل إلى رجال الشرطة. لأن كريستال عندها رخصة والمسدس مسجّل رسمياً، وسيعرف رجال الشرطة بسهولة رقم مسدسها، وإذا افترضنا انه نفس المسدس الذي تحمله فيجب ان نخفيه عن الأنظار .

ـ لكن السيدة فالبروك تعرف ان المسدس معي .

هزّ رأسه بعناد قائلًا: يجب ان نخاطر في هذه المسألة. أعرف انـك أنت الذي تخـاطر ولكنني أنوي ان أعوّض عليك. إذا كان الوضع يوحي بالانتحار، أرجع المسدس إلى مكانه. لكن الوضع لا يبدو كذلك حسب روايتك.

ـ إذا افتـرضنـا انـه انتحـر يكون قد أخطأ إصابة نفسه بالرصـاصـات الثـلاث الأولى! لكنني لا أستطيع ان أتستر على جريمـة، حتى لو أعطيتني عشرة دولارات مكافأة. يجب ان أعيد المسدس إلى مكانه .

قال بهدوء: كنت أفكر في مبلغ أكبر، كنت أفكر في خمسمئة دولار.

ـ وماذا تنوي بالتحديد ان تشتري بها؟

انحنى مقترباً مني وفي عينيه إصرار وكآبة وقال: هل هناك في بيت لايفري، إلى جانب المسدس، ما يدل على ان كريستال كانت هناك مؤخراً؟

ـ بذلة بيضاء وسوداء وقبعة كالتي وصفها لي الخادم في سان

برناردينو ـ ربما تكون هناك أغراض أخرى لا أعرفها . بالتأكيد سيأخذون البصمات، أنت قلت لي سابقاً ان الشرطة لا تحتفظ بسجل لها، لكن هذا لا يعني انهم لن يتمكنوا من تحديد بصماتها والتحقيق فيما إذا كانت موجودة في بيت لايفري أم لا غرفة نومها في البيت مليئة ببصماتها، وكذلك الكوخ في بحيرة فون، وكذلك سيارتها .

قال: يجب ان نحضر السيارة...

فقاطعته قائلاً:

ـ لا داعي لذلك لأن البصمات موجودة في أمكنة أخرى عديدة. أي نوع من العطور كانت تستخدم؟

إرتبك قليلاً ثم قال ببرود: آه... جيلرلاين ريغال شمبانيا العطور، وفي بعض الأحيان عطر من شانيل.

ـ وماذا تستعمل أنت؟

ـ نوع من عطر الصنوبر قريب من رائحة الصّندل .

ـ غرفة لايفري تعبق بهذه الرائحة. شعرت انها رائحة رخيصة، لكنني لست واثقاً من حكمي في هذا المجال .

قال كمن أحسّ بلدغة: رخيصة؟ يا إلهي! رخيصة؟ نحن نشتريها بثلاثين دولاراً للأونصة الواحدة.

ـ حسناً، لكن الرائحة هناك تبدو كأن الغالون منها لا يتعدى ثمنه ثلاثة دولارات.

ألقى بيديه بحدّة على ركبتيه وهزّ رأسه قائلاً: ـ كنت أحدثك عن مبلغ من المال. خمسمئة دولار. سأعطيك شيكاً بالمبلغ في الحال.

تركت كلامــه يتساقط على الأرض كريشٍ وسخ. أحد الكهول خلفنا نهض واقفاً وجرّ قدميه بعناء ليخرج من الغرفة.

قال كينغسلي: إنني أدفع لك أجراً لكي تحميني من الفضيحة، ولكي تحمي زوجتي بالطبع، إذا كانت بحاجة لذلك. والآن أمامنا فرصة جيدة لنتحاشى الفضيحة. المسألة تتعلّق بمصير زوجتي. لا أعتقد انها قتلت لايفري. لا أستطيع ان أجد مبرراً لذلك. أي مبرر. ربما أمضت ليلة بكاملها معه، وهذا المسدس هو مسدسها، لكن هذا ليس إثباتــاً لإرتكــاب جريمة قتل. لا شك انها أهملت أمر المسدس، كما تهمل سائر أغراضها عادة، وأي انسان يستطيع ان يأخذه منها.

لن يجهد رجال الشرطة أنفسهم للتوصّل إلى هذا الاحتمال. إذا كان الذي زارني نموذجاً عنهم، فأنا أؤكد لك انهم سيلقون القبض على أول متهم يجـدونــه، وستكـون زوجتـك بالطبـع أول متهمة يكتشفونها عند إجراء تحرياتهم.

فرك يديه، لمأساته نكهة مسرحية، وكل مأســاة حقيقية تبـدو كذلك.

قلت: سأحاول الوصول معك إلى حل. الوضع في بيت لايفري ملفتاً للغاية، لأنها تركت ملابسها التي كانت ترتديها هناك، وتركت المسدس على السلم، لكن من الصعب ان تصدق انها غبية إلى هذا الحد.

قال كينغسلي مُجهداً. أنت تعطيني بعض الأمل.

ـ للأسف هذا لا يعني شيئــاً. لأننـا ننـظر إلى الأمـر بعين الشخص الذي يفكر ويحسب للظروف، لكن الذي يرتكب جريمة

بدافع الحب والغضب فإنه ينفّذ رغبته ويغادر مكان الجريمة. وأنا عرفت منك ان زوجتك متهوّرة وشبه مجنونة، وما رأيته في بيت لايفري يدل على عدم وجود تخطيط: كل الدلائل تشير إلى الغياب التام للتخطيط المسبق. وإذا افترضنا عدم وجود دليل ضد زوجتك هناك، فإن المحققين سيجدون الصلة بينها وبين لايفري، بعد إجراء تحريات عن ماضيه وعن محيطه وعن أصدقائه وعن نسائه، ولا شك ان اسمها سوف يبرز وحين يعرفون انها مختفية منذ شهر سيصفّقون حماساً لعثورهم على الشخص المطلوب. سيحاولون بالطبع معرفة صاحب المسدس، وإذا تبيّن لهم انه ملك لها...

مدّ يده إلى المسدس على المقعد بجانبه. قلت له: لا يا سيد كينغسلي، رجال الأمن يجب ان يجدوا المسدس. ربما يكون مارلو رجلاً ذكياً ومعجباً بك، لكنه لن يشارك في اخفاء دليل حساس هو أداة الجريمة. سأفعل ما بوسعي مع ان الشبهة تدور بشكل واضح حول زوجتك، سأحاول ان أثبت بأن هذا الوضوح قد يكون مضلّلاً.

مدّ يده وأعطاني المسدس متضايقاً. تناولته منه وقلت: أعطني محرمتك. لا أريد ان استخدم محرمتي لأنهم قد يفتشونني.

أعطاني محرمة بيضاء فمسحت المسدس بعناية ووضعته في جيبي ثم أعدت له المحرمة.

قلت: لا بأس في وجود بصماتي على المسدس، لكن لا أريدهم ان يجدوا بصماتك أنت. هذا ما أنوي فعله: سأرجع إلى بيت لايفري وأضع المسدس مكانه وأطلب الشرطة. سأكون صريحاً معهم وأجيب على أسئلتهم. سأروي لهم سبب وجودي هناك. الإحتمال الأسوأ

هو ان يعثروا عليها ويوجهوا إليها التهمة بالقتل. إذا وجدوها بسرعة أكثر مني سأستغل كل طاقتي لأثبت براءتها، وهذا بالطبع يعني ان شخصاً آخر قتله. هل أنت موافق على ذلك؟

أحنى رأسه ببطء وقال: أجل .. ولايزال عرض الخمسمئة دولار قائماً مقابل أن تثبت ان كريستال بريئة.

قلت: لا أعتقد انني سأحصل عليها. من الأفضل ان تكون لديك فكرة واضحة عن الوضع من البداية. ما مدى علاقة الآنسة فرومسيت بلايفري؟ هل كانت تلتقي به خارج المكتب؟

تصلّبت ملامح وجهه وشدّ براحتيه على فخذيه، ولم يقل شيئاً.

قلت: لاحظت تأثّرها حين سألتها عن عنوانه صباح البارحة.

تنفس بصعوبة.

قلت: كأنها أحست بطعم مرارة في حلقها من قصة حب غادرة. هل تعتبر كلامي فظّاً؟

إرتعش أنفه قليلاً وتنفّس بصوت مسموع، ثم ارتاح وقال بهدوء:

كانت ـ تعرفه جيداً ـ ذات مرة. انها فتاة وضعت حداً لما يرضيها بتلك الطريقة. كان لايفري، على ما أظن، جذاباً للغاية ـ بالنسبة للنساء.

قلت: يجب أن أتحدث معها.

ردّ بسرعة: ولماذا؟ وظهر احمرار على خديه.

ـ لا داعي لأن أشرح لك السبب. إن عملي يقتضي ان أطرح

أسئلة عديدة على العديد من الناس.

قال متضايقاً: تحدث إليها إذاً. وبالمناسبة هي تعرف عائلة ألمور. كانت تعرف زوجة ألمور التي انتحرت. ولايفري كان يعرفها أيضاً. هل تعتقد ان لهذا علاقة بالقضية؟

– لا أعرف. أنت تحبها، أليس كذلك؟

قال بإصرار: ومستعد لأن أتزوجها غداً صباحاً لو أستطيع.

أحنيت رأسي ووقفت. صارت الغرفة شبه فارغة الآن. في الزاوية البعيدة كهلان لايزالان يغطّان في النوم. سائر الرجال تركوا مقاعدهم لمزاولة أعمالهم.

قلت وأنا أنظر إليه: هناك مسألة أخرى. فرجال الشرطة يصبحون عدائيين عند التباطؤ بالاتصال بهم بعد اكتشاف جريمة ما. واليوم حصل هذا التباطؤ وسيستمر لفترة أطول. عند عودتي إلى بيت لايفري سأقول لهم ان تلك كانت زيارتي الأولى للبيت. أعتقد انني سأنجح في إقناعهم بذلك، هذا إذا نسينا موضوع السيدة فالبروك.

– فالبروك؟ قال مستغرباً ثم أضاف: من هي؟ آه، أجل، لقد تذكرت .

– لا داعي لأن تتذكّرها. إنني شبه متأكد بأنهم لن يعرفوا عنها شيئاً. وهي ليست من الناس الذين يتصلون بالشرطة عادة.

قال: فهمت قصدك.

– حاول إذاً ان تجيد التصرف. سوف يطرحون عليك أسئلة قبل إطلاعك على نبأ وفاة لايفري، وقبل ان يتسنى لي الاتصال بك

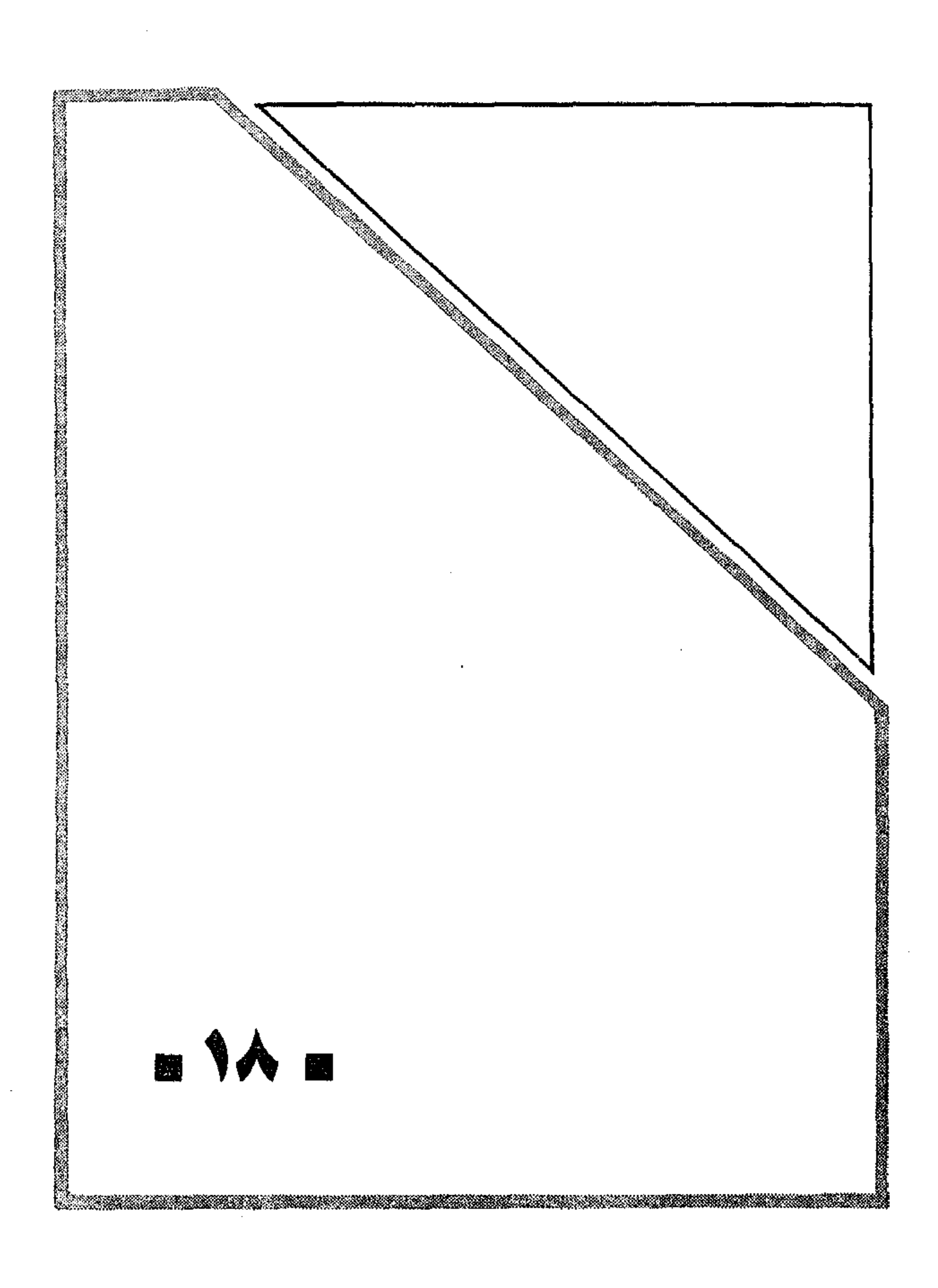
ـ هذا حسب اعتقادهم. لذلك لا تقع في أي فخّ ينصبونه لك. أما إذا نجحوا بالايقاع بك فإنني لن أفيدك في شيء لأنني سأكون في السجن .

قال متفهماً الموقف، اتصل بي من بيت لايفري عند وصولك، قبل الاتصال بالشرطة.

ـ من الأفضل ألّا أفعل ذلك. لأن أول أمر سيحقّقون فيه هو الاتصالات الهاتفية. وإذا اتصلت بك يكون من الأفضل ان أعترف بأنني جئت إلى النادي والتقيت بك .

قال ثانية: فهمت. تستطيع ان تثق بأنني سأعرف كيف أتدبر الأمر.

تصافحنا وتركته واقفاً في خلوته.



١٨

كان النـادي الرياضي عند زاوية الشارع الذي يقع فيه مبنى تريلور. اجتزت الشارع وتوجهت نحو مدخل المبنى. كانت الكتل المطّاطية قد انتشلت عن الرصيف لتحل مكانها طبقة من الإسمنت الوردي اللون. أحيـط الرصيف بسـور وتـرك للمشاة ممر ضيق للدخول وللخروج من المبنى. كان المدخل مزدحماً بالموظفين الذين يودون تناول الغداء.

قاعـة الانتـظار في شركـة جيلرلاين فارغة كما كانت في اليوم السابق. لاتزال الشقراء الصغيرة في زاويتها. ابتسمت لي بسرعة فرددت عليها بتحية مسلّح محترف، أشرت إليها بالسبابة وأصابعي الثـلاثـة مطويـة خلفهـا كما يفعل المسلح حين يهم بتحريك زند بندقيته: ضحكت من قلبها، دون ان تصدر صوتاً، وكما لو انها لم تضحك على هذا النحو منذ مدة طويلة.

أشرت إلى مقعد الآنسـة فرومسيت الخـالي، فأحنت رأسهـا وضغطت على زرّ أمامها وتكلمت، انفتح الباب خرجت منه الآنسة فـرومسيت برشـاقة وجلست إلى طـاولتهـا ونظـرت إليَّ بعينـين ملؤهما البرود والترقّب.

ـ سيد مارلو؟ السيد كينغسلي ليس موجوداً في مكتبه.

ـ كنت معه الآن، أين نستطيع ان نتحدث معاً؟

ـ نتحدث؟

ـ لديَّ أمر أريد إطلاعك عليه .

نظرت إليَّ بتمعّن وقالت: آه، حقاً؟ لا شك ان عدداً من الرجال اقترحوا عليها ذلك مرات عديدة، ولو ان الظروف مختلفة كنت سأحتال بدوري للتودّد إليها.

قلت لها: الأمر يتعلّق بالعمل. عملي مع السيد كينغسلي. وقفت وفتحت بوابة الدرابزين، وقالت: نستطيع في هذه الحالة ان تدخل إلى غرفته.

فتحت لي باب المكتب وحين مررت بقربها شممت عطر خشب الصندل.

ـ هل هذا عطر جيلرلاين ريغال، شمبانيا العطور؟ ابتسمت بشحوب وقالت: براتبي أنا؟

لم أقل انك تشترينه براتبك. لا يبدو لي انك فتاة تشتري عطرها.

قالت: إنه بالفعل هذا النوع من العطر، وإذا أردت ان تعرف المزيد فأنا أكره ان أضع عطراً أثناء الدوام. لكنه هو يجبرني على ذلك.

مشينا في الغرفة الطويلة المعتمة وجلست الآنسة فرومسيت في كرسي عند زاوية المكتب. بينما جلست أنا في المقعد الذي جلست فيه البارحة. نظر الواحد منّا إلى الآخر، كانت ترتدي بذلة تميل إلى الصفرة وتزيّن رقبتها بوشاح. بدت أكثر حيوية.

قدمت لهـا سيجـارة من علبـة كينغسـلي. أخذتها وأشعلتها بقداحته، ثم أسندت ظهرها.

قلت: لا داعي لأن نضيع الوقت، أنت تعرفين من أنا، وتعرفين طبيعة عملي. وإذا كان لم يخبرك بذلك البارحة فهذا لأنه يحب ان يلعب دور الرجل المهم.

أخفضت عينيها لتنظر إلى يدها التي ألقت بها على ركبتها، ثم رفعتهما وابتسمت بحياء.

قالت: إنه رجل عظيم، على الرغم من انه يحبّ ان يلعب دور مدير مؤسسة، وهو على أي حال الوحيد الذي ينخدع به. ولو تعرف مدى معـاناته مع تلك المومس... ولوّحت بسيجارتها ثم أضافت: حسناً، الأفضل ان أترك هذا الموضوع جانباً، ماذا تريد مني؟

- قال كينغسلي أنك تعرفين عائلة ألمور .

- كنت أعرف السيدة ألمور. لقد التقيت بها عدة مرات .

- أين؟

- في بيت صديق، لماذا؟

- في بيت لايفري؟

- لا أعتقد انك تحب ان تكون وقحاً، أليس كذلك يا سيد مارلو؟

- لا أعرف ما هو تعريفك للوقاحة. سوف أتحدث في مجال عملي فقط، وفيما يخص هذا العمل، ولن أخوض في الديبلوماسية الدولية .

أحنت رأسهـا قليلاً وقالت: حسناً، كان ذلك في بيت لايفري.

تعـوّدت على الذهـاب إلى ذلك البيت من حين إلى آخر. كان يقيم العديد من حفلات الكوكتيل.

ـ كان لايفري يعرف عائلة ألمور إذاً ـ أو يعرف السيدة ألمور .

إحمّرت وجنتاها قليلاً وقالت: أجل، معرفة وطيدة.

ـ ويعرف عدداً كبيراً من النساء ـ معرفة وطيدة أيضاً. لا أشك في ذلك هل كانت السيدة كينغسلي تعرفها أيضاً؟

ـ أجل. أكثر مني، كانت الواحدة منهما تنادي الأخرى باسمها الأول. السيدة ألمور ماتت كما تعلم. لقد انتحرت منذ حوالي سنة ونصف السنة .

ـ هل هناك شك في انتحارها؟

رفعت حاجبيها، لكن ردّة فعلها بدت مصطنعة بالنسبة لي، كما لو انها تتناسب والسؤال الذي طرحته من حيث الشكل.

قالت: هل عندك سبب لتطرح هذا السؤال بهذه الطريقة؟ أعني، هل له علاقة ـ بالمهمة التي تقوم بها؟

ـ لم أكن أفكر في الأمر من هذه الزاوية. حتى الآن مازلت لا أعـرف ما إذا كانت هناك علاقة بينهما أم لا. لكن الدكتور ألمور استدعى البارحة رجل شرطة لأنني كنت أنظر إلى بيته، وذلك بعد ان عرف اسمي من رخصة سيارتي. كان الشرطي عنيفاً معي فقط لوجودي هناك. لم يعرف ماذا كنت أفعل وأنا لم أقل له أنني كنت في زيارة لبيت لايفري. لكنني أعتقد ان الدكتور ألمور عرف ذلك لأنه رآني واقفاً أمام مدخل بيت لايفري. فلماذا شعر انه بحاجة إلى شرطي؟ ولماذا قال لي الشرطي بأن آخر رجل حاول الإيقاع بألمور

وجد نفسه مضطراً لمغادرة المنطقة؟ ولماذا سألني ما إذا كانت عائلة السيـدة ألمـور التي كلفتني بالقيـام بتلك المهمة؟ إذا استطعت الإجابة على أي من هذه الأسئلة سأعرف ما إذا كانت هناك علاقة بين وفاة السيدة ألمور والمهمة التي أقوم بها .

فكرت في الأمر قليلاً، ونظرت إليَّ بسرعة وهي تواصل التفكير. نظرت إلى البعيد وقالت ببطء:

- إلتقيت بالسيـدة ألمور مرتين فقط. لكنني سأجيب على كل أسئلتـك. آخـر مرة تقابلنا فيها كانت في بيت لايفري، كما قلت، وبحضـور عدد كبـير من الأشـخاص الذين يمرحون ويضـحكون بصوت عالٍ. نساء بدون أزواجهن ورجال بدون زوجاتهم، أو انهم غير متزوجين. من بين المدعوين رجل سكران يدعى براون ويل، وهو الآن يعمل في سلاح البحرية كما عرفت، أخذ يسخر من السيدة ألمـور بسبب عمل زوجها، لأن الفكرة السائدة عنه انه كان يقوم بجـولات ليليـة وحقيبتـه ملأى بالإبـر تلبية لاحتياجات المدمنين المحليين. قالت فلورنس ألمور انها لا تهتم كيف يحصل زوجها على المال طالما انه يحصل على الكثير منه وانها هي التي تنفقه. كانت ثملة بدورها وهي لم تكن لطيفة عادة حتى وهي في وعيها؛ إنها من النساء اللواتي يضحكن كثيراً ويتمدّدن أثناء جلوسهن للكشف عن قسم كبير من سيقانهن. كانت شقراء، تضع الكثير من المساحيق ولها عينان زرقاوان كبيرتان. قال لها براون ويل انه لا داعي للقلق لأن هذا العمل جيد دائماً. فزوجها يدخل إلى أحد البيوت ويمكث خمس عشرة دقيقة ليتقاضى ما بين عشرة دولارات وخمسين دولاراً على الإبرة الواحدة. وأضاف ان ما يثير إهتمامه هو حصول هذا الطبيب على تلك الكمية من المخدّر دون ان تكون له علاقة بمهربي

المخدّر وتجاره. وسأل السيدة ألمور ما إذا كانت تدعو بعض هؤلاء لتناول العشاء في بيتها. فألقت بكأسها في وجهه .

إبتسمت، لكن الآنسة فرومسيت لم تبتسم. ولكنها أطفأت سيجارتها في منفضة كبيرة من النحاس والزجاج، ونظرت إليَّ بهدوء.

قلت لها: ردة فعل طبيعية، لمن ليست له قبضة قوية يستطيع ان يوجهها إليه مباشرة.

ـ أجل، بعد بضعة أسابيع عثر على فلورنس ألمور ميتة في مرآب بيتها في ساعة متأخرة من الليل. كان باب المرآب مقفلاً ومحرك السيارة مداراً. سكتت قليلاً وبلّلت شفتيها ثم أضافت: كريس لايفري هو الذي وجد الجثة. كان عائداً إلى بيته في تلك الساعة فوجدها ممددة على الأرض وهي ترتدتي ثياب النوم، ورأسها تحت حرام كان يغطي أيضاً أنبوب الدخان البارز في مؤخرة السيارة. لم يكن الدكتور ألمور في البيت. أشارت الصحف إلى الحادثة واكتفت بالقول ان السيدة ألمور ماتت على نحو مفاجىء. وتمت لفلفة القضية .

رفعت يديها قليلاً ثم تركتهما تسقطان ببطء على حضنها.

قلت: هناك إخفاء لحقيقة ما إذاً؟

ـ ظن الناس ذلك، لكن الناس غالباً ما يميلون إلى الشكوك. بعد فترة عرفت الرأي السائد حول ما حصل، لأنني إلتقيت بالمدعو براون ويل في شارع فاين ودعاني للجلوس في أحد المقاهي. لم يكن يعجبني لكنني لم أرفض تضييع نصف ساعة

من وقتي. جلسنا في مقهى وسألني ما إذا كنت أتذكر السيدة التي رمت بكأسها في وجهه. قلت إنني أتذكرها. ودار بيننا حديث أذكره جيداً وسأرويه لك كما حدث.

قال براون ويل: صديقنا كريس لايفري يعرف كيف يدبر أموره، فهو وإن كان يخسر صديقاته يعرف كيف يحصل على المال.

قلت له: لا أظن انني فهمت قصدك.

فقال: ربما لا تريدين أن تفهمي. قبل موت السيدة ألمور في تلك الليلة، كانت تمضي وقتها في كازينو لو كوندي حيث خسرت جميع ما تملك في لعبة الروليت، غضبت وأخذت تصرخ وتقول بأن هناك تلاعباً في الآلة. قادها كوندي بصعوبة إلى غرفة مكتبه ومن هناك اتصل بالدكتور ألمور الذي حضر بعد قليل وأعطاها حقنة كالتي يقوم بتوزيعها؛ ثم ذهب تاركاً كوندي يعود بزوجته إلى البيت لأنه كان على ما يبدو مشغولاً بحالة طارئة. أخذها كوندي إلى البيت؛ فوجد ان الممرضة التي تعمل في عيادة الدكتور ألمور تنتظرهما، لأن الدكتور كان قد اتصل بها لتفعل ذلك. ساعدت الممرضة كوندي على حمل السيدة ألمور إلى سريرها، ورجع كوندي إلى مكان عمله. لكن السيدة ألمور التي كانت فاقدة الوعي في سريرها، نهضت في الليلة ذاتها ومشت حتى المرآب وانتحرت بتنشق الدخان الخانق، ما رأيكِ في ذلك؟

قلت له: لا أعرف شيئاً من هذه التفاصيل، فكيف عرفت أنت بها؟

قال: أعرف صحافياً يعمل في جريدة محلية هناك. قال لي ان رجال الشرطة لم يقوموا بالتحقيق اللازم ولم تشّرح الجثة. وإذا

كانت قد أجريت بعض الفحوصات على الجثة فإن نتائجها لم تُعلن. ليس عندهم في تلك البلدة محقّق في أسباب الوفيات المشتبه بها.

قال لي صديقي ان الحانوتيين يتولّون هذه المهمة بالدور، كل واحد منهم يكون محققاً لمدة اسبوع. وهؤلاء بالطبع يكنّون بالولاء التام لرجال السياسة المحليين. من السهل ترتيب قضية كهذه في بلدة صغيرة، إذا كان يرغب في ذلك أي شخص من أصحاب النفوذ. وكوندي كان له موقعه، وبما ان التحقيق فيه دعاية تسيء إليه سعى إلى توقيف اجراء أي تحقيق، ووافقه الدكتور ألمور على ذلك.

سكتت الآنسة فرومسيت وانتظرت ان أقول شيئاً وبما انني لم أفعل تابعت تقول: أعتقد انك تفهم ماذا يعني ذلك برأي براون ويل.

ـ بالتأكيد، انه يقصد ان ألمور قتلها وانه اتفق مع كوندي على تسوية. هذا أمر حدث مراراً وفي مدن أكثر أهمية من مدينة باي. لكن القصة ناقصة، أليس كذلك؟

ـ لا. يبدو ان والديَّ السيدة ألمور كلّفا مفتشاً بالتحقيق في القضية. كان هذا المفتش يقوم بمهمة حراسة تلك الليلة، وهو الشخص الثاني الذي وصل إلى مكان الحادث بعد لايفري. قال لي كريس براون ويل عنه ان لديه معلومات بدون شك، لكنه لن يتسنى له البوح بها. لقد ألقى رجال الشرطة القبض عليه بتهمة القيادة وهو في حالة السكر وصدر الحكم عليه بالسجن لقاء ذلك.

ـ هذا كل شيء؟

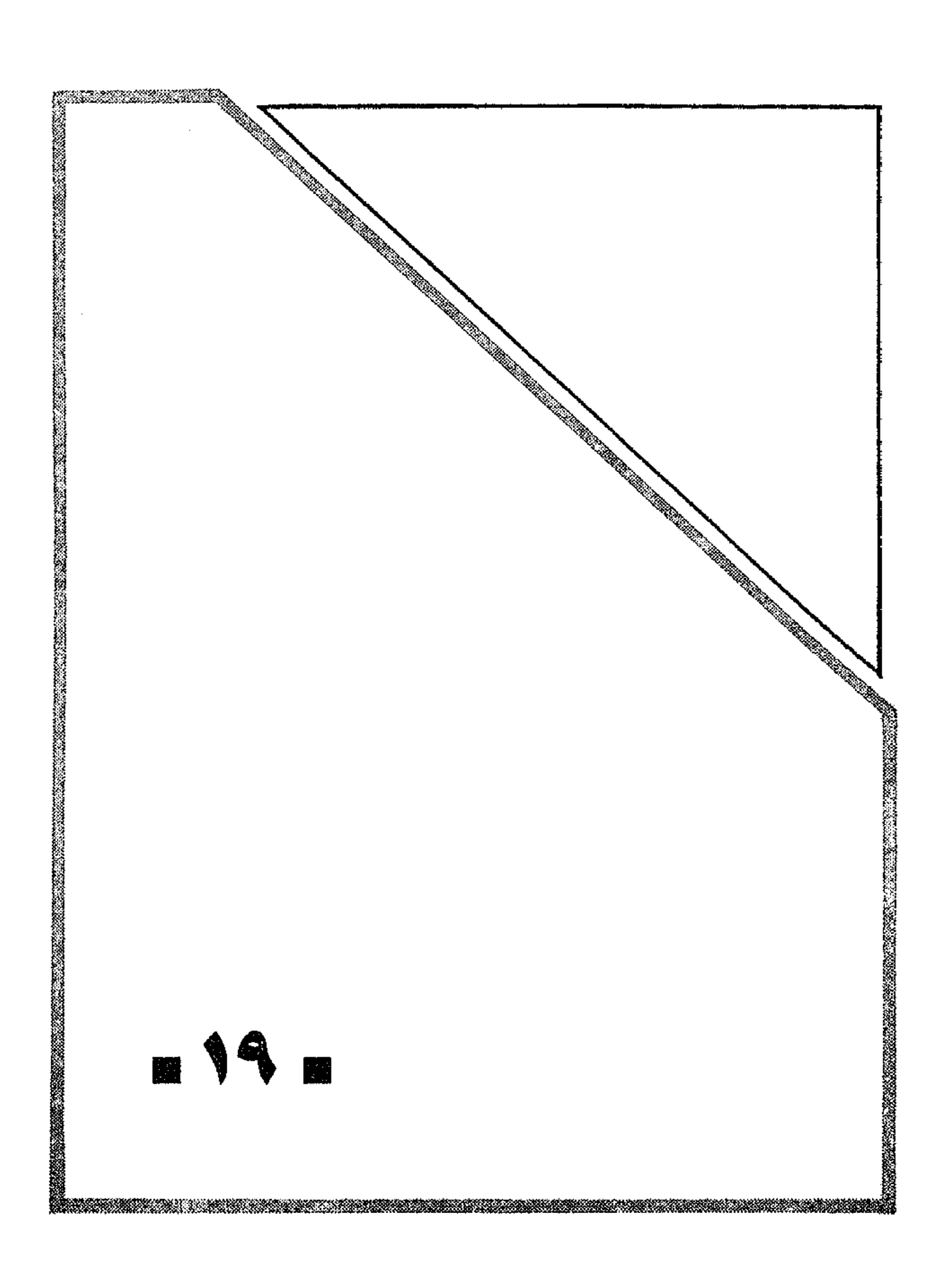
أحنت رأسها وقالت: إذا كنت تستغرب كيف أتذكر هذه التفاصيل فإن عملي يقضي بأن أتذكر كل ما يدور أو يقال أمامي.

ـ كنت أفكر ان هذا لا يفيد كثيراً. لا أجد مدى علاقته بلايفري حتى لو كان هو الشخص الذي وجدها. يبدو ان صديقك الثرثار براون ويل اعتقد ان الدكتور ألمور تعرّض بسبب الحادثة لعملية ابتزاز. لكن لا يوجد دليل على ان الدكتور كان مذنباً وهو بريء بنظر القانون لذلك سيكون من الصعب على الذي يريد ابتزازه ان يوقعه في شباكه .

قالت الآنسة فرومسيت: هذا صحيح، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن كريس لايفري لا يفكر بالابتزاز. هذا كل ما عندي يا سيد مارلو ويجب ان أعود إلى عملي.

هممت بالوقوف فقلت لها: لم ننته تماماً بعد، لديَّ شيء أريدك ان تريه.

تناولت المنديل الصغير من جيبي، ذلك الذي كان تحت المخدّة على سرير لايفري، وانحنيت قليلاً لأضعه على الطاولة أمامها.


١٩٠

نظرت إلى المنديل، ثم نظرت إليَّ، وتناولت قلماً ودفعت بطرفه تحت قطعة القماش القطنية الصغيرة.

سألتني: ما هذه الرائحة التي تحملها؟ مبيد للحشرات؟

ـ إنه نوع من رائحة خشب الصندل برأيي .

ـ نوع رخيص، وهو منفّر للغاية. ولماذا تريدني ان أرى هذا المنديل، يا سيد مارلو؟

أسندت ظهرها وتأملتني بعينيها الباردتين.

ـ وجدتها في بيت كريس لايفري، تحت المخدة، على سريره، إنها تحمل الحرفين الأولين من اسم صديقته .

فتحت المحرمة قليلاً بطرف القلم بدون ان تلمسها بيدها، وتغيرت ملامح وجهها وقالت بصوت غاضب لم يتخلّ عن بروده: هناك حرفان مطرّزان في زاويتها، وهما حرفا اسمي. هل هذا ما تودّ قوله؟

ـ صحيح. لكنه ربما يعرف نصف دزينة من النساء اللواتي يتشابه الحرفان الأولان من أسمائهن. ثم قالت بهدوء: أنت مصمّم ان تكون مؤذياً .

ـ هل هذا المنديل لك، أم لا؟ .

تردّدت، مدت يدها وتناولت سيجارة أخرى أشعلتها بعود ثقاب. هزّت العود برفق وهي تراقب اللّهب يمتد ليصل إلى الخشب.

قالت: أجل، انها محرمتي. يبدو انني نسيتها هناك. كان ذلك منذ فترة طويلة جداً. وأؤكد لك انني لم أنسها تحت مخدة على سريره. هل هذا ما أردت معرفته؟

لم أقل شيئاً.

أضافت تقول: ربما أعارها إلى سيدة ما، سيدة تحب هذا النوع من الرائحة.

قلت: لا يبدو لي ان صورة هذه المرأة، كما رسمتها في مخيّلتي، تتوافق مع لايفري.

تحركت شفتها العليا قليلاً: كانت ممتلئة وأنا أحب الشفة الممتلئة. وقالت: أعتقد ان عليك ان تجري بعض التعديلات على الصورة التي رسمتها لكريس لايفري. إذا كنت قد لاحظت أثراً للرفاهية في شخصيته فهذا بمحض الصدفة.

قلت لها: هذا ليس كلاماً لطيفاً تقولينه عن رجل ميت.

ظلت بضع دقائق جالسة في مكانها تنظر إليّ كأنني لم أقل شيئاً وتنتظر ان أقول المزيد. ثم بدأت حنجرتها ترتعش، وسرت الرعشة في كافة جسمها، تقلّصت يداها والتوّت السيجارة بين اصبعيها. نظرت إليها ورمتها في المنفضة بحركة سريعة.

قلت: قُتل بالرصاص في الحمام، ويبدو ان الجريمة ارتكبتها

سيدة أمضت الليلة معه. كان قد انتهى من الحلاقة ويريد ان يغتسل حين عاجلته السيدة برصاص مسدسها، وقد تركت منديلها على السرير والمسدس على السلم.

تحركت قليلاً في كرسيها، عيناها صارتا فارغتين تماماً، ووجهها بارد كوجه تمثال منحوت.

سألتني بمرارة: وأنت تتوقّع ان تكون لديّ معلومات عن هذه القضية؟

ـ إسمعيني يا آنسة فرومسيت، أنا أيضاً أفضّل ان أعالج هذا الموضوع بهدوء واتزان وتحفّظ. أتمنى لو أستطيع أن أمارس هذه اللعبة ولو مرة واحدة كما تحب امرأة مثلك ان تلعبها. لكن أحداً لا يترك لي حرية الاختيار ـ لا الزبائن، ولا رجال الشرطة، ولا الأشخاص الذين ألعب ضدهم.

أحنت رأسها كأنها لم تفهم تماماً ما قلته، وسألتني: متى قُتل؟ ثم انتابتها رعشة ثانية.

ـ أعتقد ان هذا حصل صباح اليوم. بعد نهوضه من فراشه بوقت قصير. قلت لك انه حلق ذقنه وكان يهم بالاغتسال.

قالت: ربما حدث ذلك في وقت متأخر نسبياً. أنا وصلت إلى المكتب في الثامنة والنصف.

ـ لم أكن أفكر انك انت التي أطلقت النار عليه.

ـ هذا من لطفك. لكن هذا منديلي أليس كذلك؟ مع انني لا أستخدم هذه الرائحة. لكنني لا أظن ان رجال الشرطة يميّزون بين أنواع العطور، أو في أي مجال آخر.

ـ لا ـ وهذا شأن المفتشين الخصوصيين أيضاً. هل تجدين متعة في هذا النقاش؟

ـ يا إلهي ! ووضعت يدها على فمها .

ـ أطلقت النار عليه خمس مرات أو ست مرات، ولم تصبه إلاّ رصاصتان. فوجيء بالأمر وهو واقف تحت رشاش المياه، كان المشهد مروّعاً. نفّذ المجرم جريمته بحقد دفين، أو ببرودة شديدة .

قالت بدون انفعال: كان من السهل على امرأة ان تكرهه، ومن السهل عليها أيضاً ان تقع في حبه، النساء ـ حتى المتزنات ـ يرتكبن أخطاء جسيمة في علاقاتهن بالرجال.

ـ أنت تقصدين انك اعتقدت ذات مرة بأنك تحبينه، لكنك اكتشفت انك لا تحبينه، ولم تطلقي النار عليه .

ـ أجل. قالت ذلك بخفة وجفاف كالعطر الذي لا تحب. وضعه في المكتب، وأضافت: وأنا متأكدة انك ستحترم سّرية هذا الحديث .

ضحكت قليلاً ثم أضافت بمرارة: مات! ذلك المسكين والأناني والسافل والقذر والوسيم والخائن. إنه الآن ميت وبارد وقد انتهى أمره. لا، يا سيد مارلو، أنا لم أقتله.

انتظرت لكي تستنفد جميع انفعالاتها. ثم سألتني بهدوء بعد قليل: هل عرف السيد كينغسلي بما حدث؟

أحنيت رأسي.

ـ ورجال الشرطة بالطبع؟

ـ لا، لم يعرف هؤلاء بعد. على الأقل لم يعرفوا مني. أنا الذي وجدته. لم يكن باب بيته موصداً باحكام، فدخلت ووجدته .

تنـاولت القلم مرة ثانيـة ورفعت به المنديل وقالت: وهل يعرف السيد كينغسلي شيئاً عن هذه «الخرقة» التي تفوح رائحتها الكريهة؟

ـ لا أحد يعرف شيئاً عنها سوانا، والذي وضعها هناك طبعاً .

قالت متـظاهرة بالهدوء: هذا لطف منك. ولطف منك أيضاً ان تفكر بذلك.

قلت لها: يعجبني فيك كبرياؤك وتحفّظك. لكن لا تبالغي في أدائك هذا. كيف تتصورين انني فكرت في الأمر؟ هل سحبت المنديل من تحت المخـدة وشممته وحملتـه بعيـداً!؟ قلت في نفسي: حسنـاً، حسناً، هذان حرفا اسم الآنسة أدريان فرومسيت، يبدو انها كانت تعرف لايفري، معرفة حميمة للغاية. ولنقل، وهذا جدير بالملاحظة، ان درجة الحميمية كانت كما يتصورها عقلي القذر. وهذه درجة متطورة فعلاً. لكن هذه رائحة رخيصة والآنسة فرومسيت لا تقبل الروائـح الرخيصـة، والمنديل كان تحت مخدة لايفري، والآنسة فرومسيت لا ترضى أبداً ان تترك منديلها تحت مخدة رجل. لذلك فإن هذا الأمر لا علاقة له إطلاقاً بالآنسة فرومسيت. هذه مجرد خدعة.

ـ أسكت أرجوك .

ابتسمت.

ردّت بحدة: أي نوع من الفتيات تظنني؟

ـ وصلت متأخراً لأجيبك على سؤال كهذا!

غطّت وجههـا كله هذه المرة مسحة من الاحمرار الطفيف. ثم

سألتني: هل لديك فكرة عن الذي ارتكب الجريمة؟

ـ إنهـا مجـرد أفكار، والذي يخيفني أن يجد رجال الشرطة القضية سهلة. بعض ملابس السيدة كينغسلي معلّقة في الخزانة في بيت لايفري. وحين يطّلعون على تفاصيل القصة ـ بالاضافة لما حدث في بحيرة فون الصغيرة البارحة، سيضعون القيد في الحال في يديها. عليهم ان يجدوها أولاً، ولن يكون هذا صعباً بالنسبة لهم.

ـ قالت بتجرد: كريستال كينغسلي، إنه يقع دائماً في مشاكل بسببها.

ـ قلت لها: لا يعني هذا انها هي القاتلة. ربما يكون الدافع لقتل لايفري مختلفاً تماماً، دافع لا نعرف عنه شيئاً حتى الآن. قد يكون القاتل شخصاً كالدكتور ألمور.

التفتت نحوي بسرعة وهزّت رأسها.

قلت بإلحاح: ربما يكون هو. نحن لا نملك أي دليل يبطل هذا الاحتمال. كان عصبياً جداً البارحة، وهذا انفعال ملفت عند رجل ليس لديه ما يخاف منه. المذنبون فقط هم الذين يخافون بالطبع.

وقفت وأخذت أضرب بيدي على حافة الطاولة وأنا أراقبها. لها عنق جميل. أشارت إلى المنديل وسألتني بفتور: وهذا؟

ـ لو انه منديلي كنت سآخذه وأغسله من بقايا تلك الرائحة.

ـ لكن وجوده هناك له معنى، أليس كذلك؟ ربما يكون دليلاً هاماً.

ضحكت وقلت: لا أعتقد انه دليل بأي حال. النساء يتركن غالباً مناديلهن. ولايفري كان يجمع مناديل صديقاته ويحتفظ بها في درج

إلى جانب كيس محشو بخشب الصندل. وقد تجد إحداهن هذه الكميـة من المنـاديـل فتتناول أحدها لتستخدمـه. أو انه يعيرها أحدها عن قصد كي يرى ردّة فعلها حين تقرأ الحرفين الأولين من اسم واحدة غيرها. أعتقد انه كان حقيراً إلى هذا الحد. إلى اللقاء يا آنسة فرومسيت وشكراً على هذا الحديث.

مشيت قليلاً ثم توقفت وسألتها: هل تعرفين اسم الصحافي الذي أعطى براون ويل معلوماته؟

هزت رأسها نفياً.

ـ ولا اسم والدي السيدة ألمور؟

ـ ولا هذا أيضـاً، لكنني قد أجده لك، وسأكون سعيدة إذا تمكّنت من ذلك.

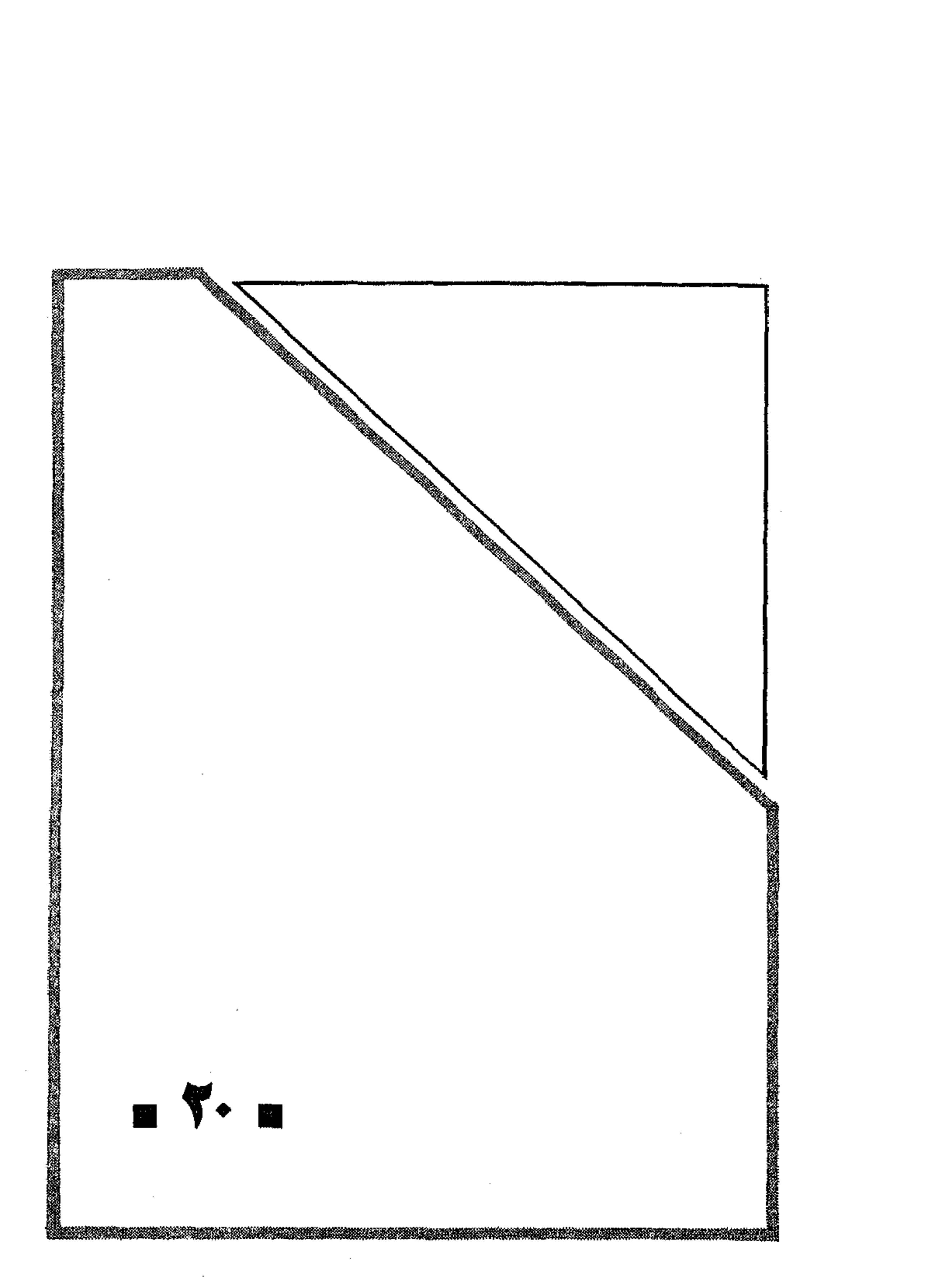
ـ كيف؟

ـ لا بد ان يكون مدوّناً في نبأ اعلان الوفاة، وعلى الأرجح سأجد الإعلان منشوراً في إحدى صحف لوس انجلوس.

ـ سأكون شاكراً لك. ومررت بإصبعي على حافة المكتب وأنا أتـأملها بطرف عيني. بشرتها عاجية وشاحبة وعيناها سوداوان وجميلتان، وشعرها هو الاشراق بعينه.

خرجت من الغرفة فوجدت الشقراء الصغيرة تنظر إليّ وكأنها تنتظرني، شفتاها المخضّبتان باللون الأحمر انفرجتا قليلاً تترقبان الابتسامة.

لم يعد عندي ما أعطيه، فتوجهت نحو الباب.


٣٠

ليست هناك أية سيارة للشرطة خارج بيت لايفري، ولا يوجد أحد في الممر، وحين دفعت الباب لأدخل لم أشم رائحة سيجار أو دخان سجائر في الداخل. كانت الشمس قد تراجعت عن النوافذ، وراحت ذبابة تطن وتحوم فوق كأس فيه بقايا شراب. مشيت حتى آخر الغرفة ووصلت إلى السلم الذي ينزل إلى الطابق السفلي، وضعت يدي على الدرابزين. لا شيء يتحرك في بيت السيد لايفري. لا صوت سوى صوت نقاط الماء وهي تتساقط ببطء على كتف القتيل.

توجهت نحو التلفون وبحثت عن رقم مركز الشرطة في الدليل. طلبت الرقم وبينما كنت أنتظر الردّ أخرجت المسدس الأوتوماتيكي الصغير من جيبي ووضعته على الطاولة قرب التلفون.

رد رجل فقال: شرطة مدينة باي ـ سمُوت يتكلم.

قلت له: حدث اطلاق نار في ٦٢٣ شارع ألتير. وقد قتل الرجل الذي يسكن البيت واسمه لايفري.

ـ ٦٢٣ شارع ألتير، من أنت؟

ـ اسمي مارلو .

ـ هل أنت موجود في هذا العنوان؟

ـ أجل!

ـ لا تلمس شيئاً إطلاقاً .

وضعت السماعة وجلست على الكنبة أنتظر.

لم يطل انتظاري. أنين جهاز الإنذار الذي تحمله سيارات الشرطة أخذ يقترب ويعلو وتموّجات الصوت تزداد حدة. استدارت سيارة عند الزاوية وأصدرت إطاراتها صريراً عالياً. صمت جهاز الإنذار ولم أعد أسمع سوى هدير المحرك. ثم ساد الصمت. وبعد قليل سمعت صرير الإطارات والسيارة تتوقف أمام المنزل. شرطة مدينة باي تحافظ على المطاط من أجل الحكومة! وقع خطوات عنيفة في الممر، مشيت نحو الباب وفتحته.

إقتحم الغرفة شرطيان بالزي الرسمي. كانت لكل منهما قامة رجل الشرطة المعروفة بضخامتها ووجهه المسفوع وعيناه اللتان تنظران بشكّ وريبة. أحدهما كان يضع قرنفلة خلف أذنه اليمنى وقد برزت من تحت قبعته. الثاني كان أكبر سنّاً وأكثر ميلاً للكآبة والتجهّم. وقفا ينظران إليَّ بحذر، ثم سألني الأكبر باختصار:

ـ حسناً، أين الجثة؟

ـ في الطابق السفلي، في الحمام، خلف الستارة .

ـ أبقَ معه يا إدي!

ونزل بسرعة فيما ظل الآخر يحدّق فيَّ بثبات وقال من زاوية فمه:

ـ لا تحاول القيام بأية حركة أيها السيد .

لزمت مكاني على الكنبة. أخذ الشرطي يتفحص الغرفة بعينيه.

أصوات وقع أقدام في الأسفل، وفجأة رأى الشرطي الذي يراقبني المسدس على الطاولة قرب التلفون. ركض نحوه في الحال، وسألني بصوت أشبه بالصراخ:

ـ هل هذا سلاح الجريمة؟

ـ أعتقد ذلك، لأنه استخدم من فترة قريبة .

ـ ها! وانحنى فوق المسدس مكشّراً عن أنيابه ووضع يده على عقب مسدسه الأسود.

ـ سألني مزمجراً: ماذا قلت؟

ـ قلت انني أعتقد ذلك .

ـ ردّ بصوت متخدّش ولكنه شديد الوضوح. هذا رائع جداً. هذا في غاية الروعة .

ـ قلت: ليس إلى هذا الحد .

تراجع قليلاً إلى الوراء، وبدا الحذر في عينيه وسألني:

ـ لماذا قتلته؟

ـ إنني أتساءل وأتساءل .

ـ آه، أنت تدّعي الفطنة .

ـ استرح قليلاً ولننتظر رجال قسم الجنايات، إنني أحتفظ بدفاعي لأقوله أمامهم .

ـ دع ألاعيبك هذه جانباً .

ـ هذه ليست ألاعيب. لو كنت أنا الذي أطلقت النار عليه، لما وجدتني هنا، وما كنت سأتصل بكم، وما كنت ستجد المسدس. لا

تجهد نفسك كثيراً في هذه القضية التي يبدو انك أنهيتها في عشر دقائق .

نظر إليَّ وكأنني أسأت إليه، ورفع قبعته فوقعت القرنفلة على الأرض. انحنى وأخذ يداعبها بين أصابعه، ثم رماها خلف حاجز المدفأة.

قلت له: من الأفضل ألَّا تتركها هناك، قد يظنّها الآخرون دليلًا ويضيّعون وقتاً طويلًا عليها.

ـ آه، اللعنة! ثم انحنى فوق الحاجز وأخذ القرنفلة ووضعها في جيبه .

قال: أنت تعرف الإجابة على جميع الأسئلة، أليس كذلك أيها السيد؟

عاد الشرطي الآخر وبدا مكتئباً. وقف وسط الغرفة ونظر إلى ساعته ثم دوّن ملاحظاته في دفتر خاص، وبعد ذلك رفع الستارة المعدنية بيده وألقى نظرة إلى الخارج.

قال الذي بقي معي: هل أستطيع أن أرى ذلك بنفسي؟

ـ من الأفضل ألّا تفعل ذلك يا إدي. هذا ليس في نطاق عملنا. هل طلبت المحقق لكي يحدد أسباب الوفاة؟

ـ أعتقد ان رجال المباحث الجنائية سيفعلون ذلك .

ـ أجل، هذا صحيح. النقيب ويبر سيكون مسؤولاً عن هذه القضية وهو يفضّل ان يقوم بكل شيء بنفسه .

نظر إليَّ وسألني: هل أنت المدعو مارلو؟

قلت له انني أنا المدعو مارلو.

قال إدي: إنه رجل ذكي ويعرف جميع الاجابات.

تأملني الشرطي الكبير وهو شارد الذهن، ونظر إلى إدي وهو في الحالة نفسها، لكنه انتبه للمسدس على الطاولة، وشاهده بوعي تام.

قال إدي: أجل، هذا هو سلاح الجريمة. أنا لم ألمسه.

أحنى الآخر رأسه وقال: رجالنا غير سريعين اليوم. ما هي علاقتك به ايها السيد؟ هل أنت صديقه؟

وأشار بإبهامه إلى الأسفل.

ـ رأيته البارحة للمرة الأولى. أنا مفتش خاص من لوس انجلوس .

قال بحدة: آه! ونظر إلى الآخر بارتياب شديد.

قال: كرايبس، هذا يعني ان الأمر سيزداد تعقيداً وتشوّشاً.

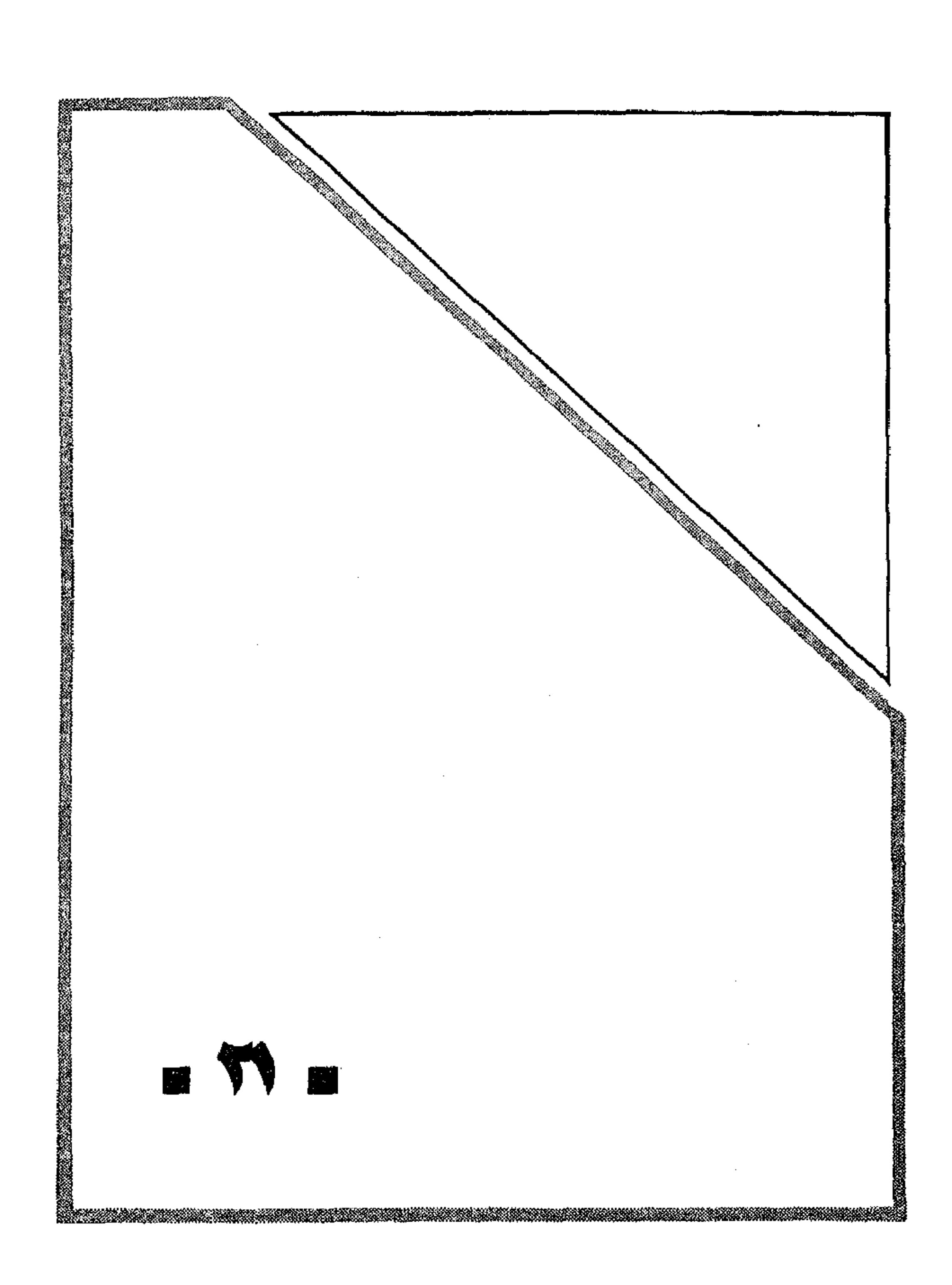
تلك كانت أفضل كلمات نطق بها. ابتسمت له بمودّة.

نظر الشرطي الكبير من النافذة مرة ثانية وقال: هذا بيت ألمور في الجهة المقابلة من الشارع يا إدي.

وقف إدي لينظر بنفسه وقال: بالطبع، اسمه مدوّن على اللوحة عند المدخل. هذا يعني ان الرجل في الطابق السفلي قد يكون الشخص...؟

ـ أصمت، أمره الآخر وترك الستارة. استدارا معاً ونظرا إليَّ بجفاء .

توقفت سيارة أمام البيت وسمعنا صوت وقع خطوات على الممر.
فتح الباب الشرطي الكبير لرجلين يرتديان ثياباً عادية، سبق لي ان تعرّفت إلى أحدهما.



٦

دخل أولاً رجل في خريف العمر، قصير القامة، تعلو وجهه النحيل ملامح تعب مزمن، أنفه حاد ومعقوف قليلاً، كأن أحدهم وجّه إليه ضربة لأنه أقحمه في قضية معيّنة. قبعته الزرقاء ضاغطة على رأسه وبدت من تحت أطرافها خصلات شعره البيضاء. كان يرتدي بذلة بنية شاحبة ويضع يديه في جيبي سترته، ويترك إبهاميْه ظاهريْن.

الرجل الثاني كان دغارمو، الشرطي الضخم الجثة بشعره الأشقر المغبّر وعينيه الزرقاوين القاسيتين ووجهه الشرس المتغضّن، الذي لم يعجبه وقوفي أمام بيت الدكتور ألمور.

نظر الشرطيان بالزي الرسمي إلى الرجل القصير ورفعا يديهما للتحية.

ـ الجثة في الطابق السفلي، أيها النقيب ويبر. الرجل مصاب برصاصتين ويبدو ان رصاصتين أخطأتاه أيضاً. وقد مضى وقت على وقوع الجريمة. هذا الرجل يدعى مارلو، وهو مفتش خاص من لوس انجلوس، ولم استجوبه أكثر من ذلك.

ردّ ويبر بحدة: حسناً. صوته فيه نبرة شك. تأمل وجهي بعين مرتابة وأحنى رأسه قليلاً، ثم قال: أنا النقيب ويبر، وهذا

الملازم دغارمو. سنلقي في البداية نظرة على القتيل.

اجتاز الغرفة. التفت دغارمو نحوي كـأنه لم يـرني من قبل. نزلا معاً، ورافقهمـا الشرطي الكبير، وظـل إدي معي في الغرفـة فمكثنا فترة يتأمل كل منا الآخر.

قلت له: أليس هذا بيت الدكتور ألمور في الجهة المقابلة من الشارع؟

- أجل، وماذا في ذلك؟

- لا شيء.

سكت ليستمع إلى أصوات زملائه التي وصلتنا مشوّشة وغير مفهومة في الطابق السفلي، ثم قال بصوت أكثر ودية:

- أتتذكر تلك الحادثة؟

- قليلاً.

ضحك وقال: لقد عرفوا كيف يتخلصون منها. وضّبوا الأوراق جيـداً وخبأوها على الرفّ العلوي في خزانة الحمام. رفّ لا يمكن الوصول إليه بدون الوقوف على كرسي.

- فعلوا ذلك حقاً، إنني أتساءل لماذا؟

نظر إليَّ وقال: كانوا مضطرين لذلك يا صديقي، بالتأكيد، كانت لديهم أسباب أجبرتهم على ذلك. هل كنت تعرف لايفري جيداً؟

- ليس جيداً.

- هل كنت تحقّق معه في قضية معينة؟

- إلى حد ما. وهل كنت أنت تعرفه؟

هزّ إدي رأسه وقال: لا، إنني أذكر فقط ان رجلاً كان يقيم في هذا البيت هو الذي وجد جثة زوجة الدكتور ألمور في المرآب.

قلت له: قد لا يكون لايفري إذاً؟

ـ كم مضى على إقامته هنا؟

ـ لا أعرف .

قال بعد تفكير: قد يكون ذلك منذ سنة ونصف تقريباً. هل أشارت صحف لوس انجلوس إلى الحادثة؟

قلت له لأحرّك فمي فقط: في مقطع صغير في الأحداث المحلية المتفرّقة.

حكّ أذنه وانتبه إلى وقع الأرجل وهي تصعد السلم. ارتبك قليلاً وجلس بعيداً.

أسرع النقيب ويبر إلى الهاتف، طلب رقماً وتحدث قليلاً ثم أبعد السماعة عن أذنه وقال:

ـ مَن هو المحقق في أمور الوفيات هذا الأسبوع يا آل؟

ردّ الملازم الضخم: إد غارلاند.

قال ويبر لمحدثه على الهاتف: «إتصل بإد غارلاند واطلب منه الحضور إلى هنا في الحال. واطلب من فرقة الطوارىء ان تتحرك بسرعة.

وضع السماعة وسأل بصوت كالهدير:

ـ من الذي لمس هذا المسدس؟

قلت له: أنا.

تقدم نحوي وقد ارتسمت على وجهه ملامح القسوة. أمسك المسدس بمنديل وقال:

ـ ألا تعرف انه لا يجوز ان تمد يدك إلى سلاح موجود في مكان الجريمة؟

ـ بالطبع أعرف ذلك. لكنني حين أمسكت بالمسدس لم أكن أعرف بوجود جريمة، ولم أكن أعرف ان هذا المسدس استخدم مؤخراً. لقد عثرت عليه مرمياً على السلم فاعتقدت انه وقع من شخص ما .

قال بمرارة: تبرير مُحتمل. هل قابلتك أحداث كثيرة مماثلة في عملك؟

ـ أحداث كثيرة من أي نوع؟

لم يرفع نظرته القاسية عني ولم يجبني.

قلت: كيف تريدني أن أروي لك ما حدث معي؟

شمخ بأنفه بغرور كأنه ديك صغير، وقال: بالاجابة الدقيقة على الأسئلة التي أطرحها عليك بأسلوبي أنا.

لم أقل شيئاً. استدار ويبر وقال للشرطيين: تستطيعان العودة إلى سيارتكما للبقاء قرب جهاز الاتصال.

ألقيا التحية وخرجا. أغلقا الباب بهدوء حتى علق بالعتبة، وانزعجا من ذلك كما يحدث لأي شخص آخر. ظل ويبر صامتاً حتى سمع هدير سيارتهما وهي تبتعد. ثم عاد يرمقني بعينه المتفحصة ثانية:

ـ دعني أر أوراقك!؟

أعطيته محفظتي فبدأ يفتش فيها. كان دغارمو جالساً أمامي يضع رجلاً فوق رجل ويحدّق في السقف. أخذ عود ثقاب من جيبه وراح يقضم طرفه. ردّ لي ويبر محفظتي فأرجعتها إلى جيبي.

قال: أنتم المفتشين تتسبّبون دائماً في الكثير من المتاعب.

- ليس بالضرورة .

رفع صوته مع انه لم يكن منخفضاً ولا هادئاً، وقال:

- قلت لك انهم يسبّبون المشاكل وأنا أعني ما أقول. لكن عليك ان تفهم منذ البداية انك لن تتمكن من إثارة أية متاعب في مدينة باي .

لم أجبه فأشار نحوي بإصبعه وتابع يقول:

- أنت من مدينة كبيرة، وتعتقد بأنك جريء وذكي. لكننا نعرف كيف نتعامل مع أمثالك. صحيح اننا نعمل في منطقة صغيرة لكننا نشكل فريقاً متماسكاً. ليس لدينا أي صراع سياسي عنيف هنا. نحن نعمل بشكل مستقيم ونعمل بسرعة، كن مطمئناً أيها السيد .

قلت له: لست قلقاً، وليس عندي ما يوجب القلق. إنني فقط أعمل لأكسب معيشتي بأسلوب نظيف.

قال ويبر: لا تخض معي في هذا النوع من الحديث أيضاً، فأنا لا أحبه.

أخفض دغارمو عينيه عن السقف وحرّك إصبعه ليتأمل ظفره. ثم قال بصوت عميق بدا عليه الضجر:

- أيها الرئيس، الرجل القتيل في الطابق السفلي يدعى لايفري، كنت أعرفه قليلاً؛ كان مولعاً بالنساء .

ردّ عليه ويبر دون ان يرفع عينيه عنّي: وماذا في ذلك؟

ـ كل الدلائل تشير إلى وجود سيدة. وأنت تعرف ان معظم هؤلاء المفتشين يعملون في قضايا الطلاق. لماذا لا نحاول ان نحصل منه على معلومات مفيدة بدلًا من تخويفه بحيث لا يعود ينطق بكلمة واحدة؟

ـ تقول انني أخيفه، ولكنني لا ألاحظ عليه أي أثر للخوف.

مشى نحو النافذة التي تطل على الشارع ورفع الستارة المعدنية. غمر الضوء الغرفة على نحو مفاجىء حتى كاد يبهر أبصارنا، بعد ان بقينا فترة طويلة في العتمة. عاد بخطى ثقيلة ليقف أمامي ويقول وهو يشير بإصبعه:

ـ تكلم!

قلت: كلّفني رجل أعمال من لوس انجلوس القيام بمهمة لا يريد الكشف عنها، ولهذا السبب اختارني. منذ شهر تركته زوجته ورحلت مع لايفري. لكن موكّلي إلتقى بلايفري منذ يومين وهذا الأخير أنكر الأمر برمّته. صدقه موكّلي وتضاعف قلقه. عرفت منه ان زوجته متهوّرة إلى حد ما، وقد تكون أوقعت نفسها في ورطة مع رفاق سوء التقت بهم. جئت إلى هذا البيت لأقابل لايفري، وأصرّ على انه لم يسافر معها. لم أصدّقه تماماً، وحصلت فيما بعد على معلومات تقول انه كان معها في فندق في سان برناردينو في الليلة التي غادرت فيها الكوخ الجبلي الذي كانت تقيم فيه طوال فترة غيابها عن البيت. عدت لكي أواجه لايفري مرة ثانية، لم يرد أحد على جرس الباب، ولم يكن الباب مغلقاً تماماً. دخلت وألقيت نظرة

من حولي، وجـدت المسـدس. وفتشت البيت، رأيت القتيـل كمـا وجدتموه الآن.

قال ويبر ببرود: لم يكن لديك الحقّ في تفتيش البيت.

قلت موافقاً معه: بالطبع لا، لكنني ما كنت سأفوّت فرصة كهذه أيضاً.

ـ ما اسم موكلك؟

ـ كينغسلي. وأعطيته عنوانه في بيفرلي هيلز.

ـ إنـه مدير شركة لتصنيع أدوات التجميل، مكاتبها في مبنى تريلور في شارع أوليف. اسمها شركة جيلرلاين .

نظر ويبر إلى دغارمو الذي كتب العنوان ببطء في دفتر ملاحظات. ثم عاد والتفت نحوي وسألني:

ـ وماذا أيضاً؟

ـ قصدت الكوخ الجبلي الذي يقع بجوار بحيرة فون الصغيرة، وهذه تقع بالقرب من بحيرة بوما، وتبعد ستة وأربعين ميلاً عن سان برناردينو .

كان دغـارمو يدوّن ما أقوله بتكاسل. توقفت يده قليلاً وكأنها أصيبت بتقلّص، ثم سقطت على الورقة لتواصل الكتابة.

تابعت أقول: منذ حوالى شهر حصل خلاف بين المسؤول عن الأرض هنـاك وزوجته، وقررت الزوجة الرحيل، كما كان الجميع يعتقدون. لكننا البارحة عثرنا على جثتها في قاع البحيرة.

كان ويبر يغمض عينيه وهو يتحرك أمامي ببطء، وسألني بصوت

خافت: لماذا تقول لي ذلك؟ هل تقصد ان هناك رابطاً بين الحادثتين؟

ـ هناك رابط زمني. لايفري زار الكوخ الجبلي في تلك الفترة. لا أعرف إذا كانت هناك روابط أخرى، لكنني تصوّرت انه من الأفضل ان أطلعكم على هذه الحادثة .

ظل دغارمو محافظاً على هدوئه وراح يتأمل أرض الغرفة. كان وجهه مشدوداً وبدا أكثر وحشية من المعتاد. قال ويبر: وتلك المرأة الغريقة، هل انتحرت؟

ـ انتحرت أو قُتلت. لقد تركت رسالة وداع، وقد تمّ إلقاء القبض على زوجها للاشتباه به. اسمه بيل تشيس وزوجته موريال تشيس .

قال ويبر متضايقاً: لا أريد المزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، ولنكتفِ بما حدث معك هنا.

قلت وأنا أنظر إلى دغارمو: لم يحدث شيء هنا. جئت مرتين، في الأولى تحدثت مع لايفري ولم أصل إلى شيء، وفي المرة الثانية لم أتحدث معه ولم أصل إلى شيء.

قال ويبر بتأنٍ: سوف أطرح عليك سؤالاً وأريد منك إجابة صريحة. أعرف انك لن ترغب في إعطائها، لكن الإجابة عليه الآن أفضل من أي وقت آخر، لأنك تعرف جيداً أنني سأحصل عليها: أنت فتشت البيت، وأعتقد إنك فعلت ذلك بدقة، هل رأيت ما يشير إلى ان السيدة كينغسلي كانت موجودة هنا؟

قلت له: هذا ليس سؤالاً مشروعاً لأنه يتطلّب تقديم استنتاج من قبَل الشاهد.

قال عابساً: أريد جواباً. لسنا هنا في قاعة محكمة.

قلت: أجـل هنـاك ملابس سيدة معلّقة في الخزانة في الطابق السفـلي، وقـد أعطاني أحدهم وصفاً لهذه الملابس يدلّ على ان السيـدة كينغسـلي كانت ترتـديهـا في سان برناردينو ليلة لقائها بلايفري. لكن الوصف لم يكن دقيقاً تماماً. والملابس كناية عن بذلة سوداء وبيضـاء، يغلب عليها اللون الأبيض، وهناك أيضاً قبعة كبيرة عليها شريط أسود وأبيض.

نقر دغارمو بإصبعه على الدفتر الذي يحمله وقال: لا شك ان أحداً لا يحسد موكلك على اختياره لك، أنت تضع زوجته في هذا البيت حيث وقعت جريمة قتل، وتقول انه من المفروض انها هربت مع هذا الرجل. لا أعتقد أيها الرئيس اننا بحاجة لأن نبحث كثيراً عن القاتل.

لم يرفع ويبر نظرته عني تاركاً وجهه بدون تعبير واضح ومكتفياً بالمراقبة الدقيقة. أحنى رأسه بدون انتباه لما قاله دغارمو.

قلت: إنني لا أفترض انكم مجموعة من الأغبياء. فهذه الملابس يسهل التعرف إلى صاحبتها لأنها أُعدت عند خياط معيّن، وأنا لم أوفّر عليكم أكثر من ساعة أو حتى أكثر من مكالمة هاتفية.

سألني ويبر بهدوء: هل لديك أقوال أخرى؟

ما كدت أبـدأ بالإجـابة حتى توقفت سيارة خارج البيت، ثم تبعتهـا سيارة أخرى. توجّه ويبر نحو الباب ليفتحه. دخل ثلاثة رجال، الأول قصير ومجعّد الشعر، والثاني ضخم يشبه الثور، وكل منهما يحمل حقيبة جلدية سوداء ثقيلة، ودخل خلفهما رجل طويل

ونحيل يرتدي بذلة رمادية داكنة ويضع ربطة عنق سوداء، عيناه تلمعان بحدة وله وجه لم يعد يعبّر عن أية مشاعر.

أشار ويبر إلى صاحب الشعر المجعّد وقال: في الطابق السفلي، في الحمام، يا بوزوني. أريد مجموعة كبيرة من البصمات من كافة أنحاء البيت، وبشكل خاص بصمات امرأة. سيكون عملاً شاقاً.

أجاب بوزوني بصوت عميق: سأفعل ذلك ونزل مع الرجل الذي يشبه الثور إلى الطابق السفلي.

قال ويبر للرجل الثالث: عندنا جثة يا غارلاند، فلننزل لتلقي نظرة على القتيل. هل طلبت العربة؟

أحنى رأسه قليلاً وتوجه مع ويبر إلى السلم.

وضع دغارمو القلم والدفتر وحدّق فيَّ بتمعن.

قلت له: هل أشير إلى الحديث الذي دار بيننا البارحة أم ان ذلك كان اجراء خاصاً؟

قال: تستطيع ان تتحدث كما تشاء، من واجبنا حماية المواطنين.

قلت: انت حدّثتني أكثر عن هذا الموضوع، لأنني أريد معرفة المزيد حول قضية ألمور.

علا وجهه إحمرار وبان الخبث في عينيه وقال: لقد ادعيت انك لا تعرف ألمور!

ـ لم أكن أعرفه أو أعرف أي شيء عنه، البارحة. لكنني بعد لقائنا علمت ان لايفري كان يعرف السيدة ألمور، التي انتحرت، وانه هو الذي عثر عليها بعد موتها، وعلمت ان لايفري تدور حوله

شبهة ابتزاز الدكتور ألمور، أو انه كان في موقع يؤهله لإبتزازه. وقد لاحظت أيضاً ان الشرطيين اللذين كانا هنا أظهرا اهتماماً واضحاً بأن بيت الدكتور ألمور يقع في الجهة المقابلة من الشارع. وقد أشار أحدهما إلى ان القضية لفلفت بعناية، أو قال عبارات مشابهة من حيث المدلول .

قال دغارمو بصوت بطيء وحانق: سأطرد إبن الزانية هذا من الخدمة. أمثاله لا يجيدون سوى الكلام. اللعنة على هؤلاء الأغبياء.

قلت: هذه رواية غير صحيحة إذاً؟

نظر إلى سيجارته وقال: غير صحيحة في أي مجال؟

ـ إن ألمور قتل زوجته وانه يتمتع بموقع جعله قادراً على تسوية الأمر .

وقف دغارمو ومشى نحوي، ثم انحنى فوقي وقال لي بهدوء: قلْ ذلك مرة ثانية.

فأعدت عليه ما قلته.

ضربني على وجهي بيده المفتوحة. إهتز رأسي إلى الوراء من شدة الصفعة، وشعرت انه صار حاراً ومنتفخاً.

ثم قال بهدوء: قل ذلك أيضاً.

فأعدت عليه ما قلته، فمد يده وصفعني ثانية بقوة.

ـ قل ذلك أيضاً .

ـ لا، المرة الثالثة تجلب الحظ. وقد تخطىء التصويب. ورفعت يدي لأفرك خدّي .

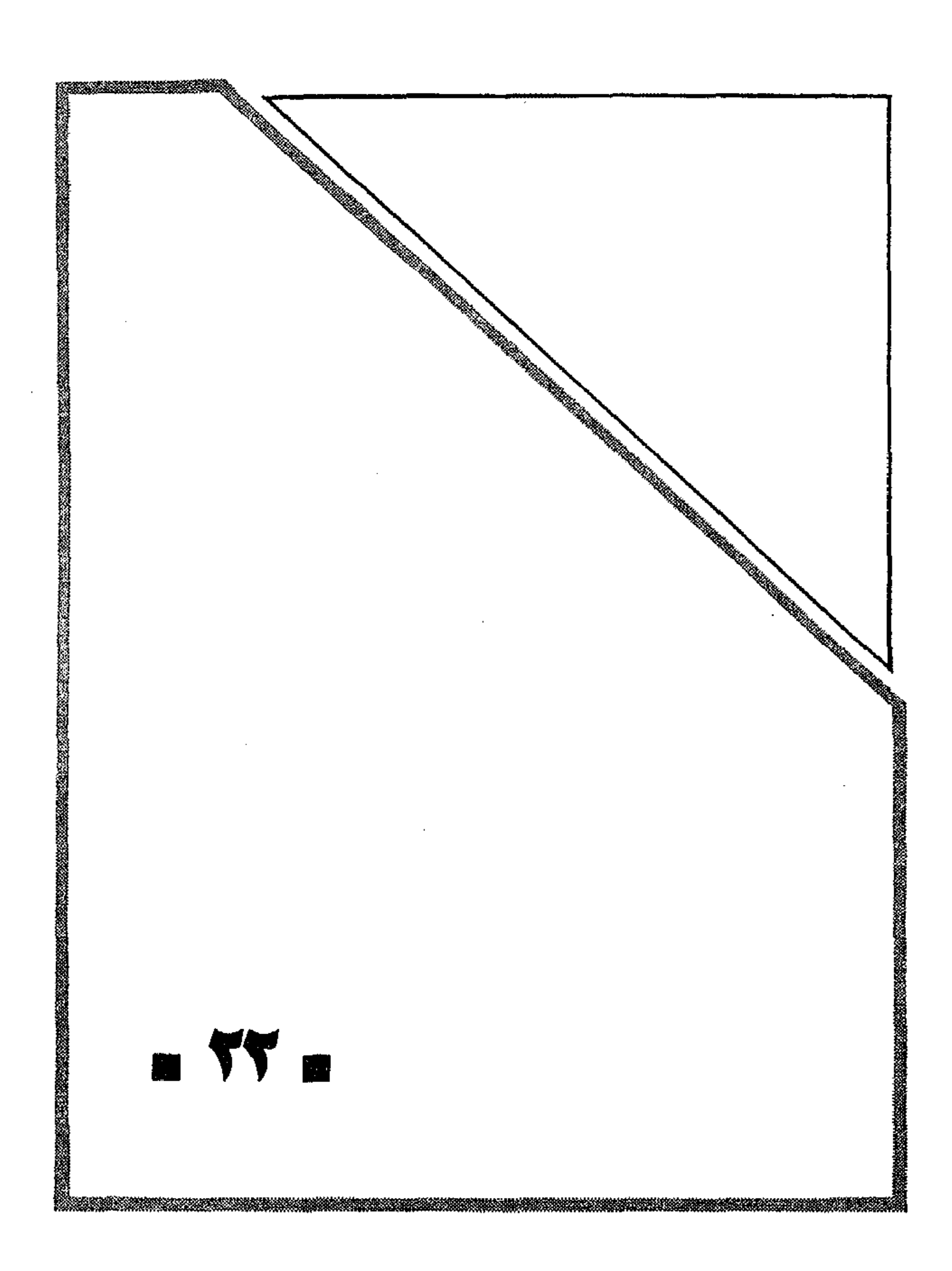
وقف منحنياً فوقي وقد كشّر عن أسنانه، وفي عينيه الزرقاوين نظرة حيوان شرس.

قال: الآن تعرف ما الذي سيحدث لك حين تتحدث إلى رجل شرطة بهذا الأسلوب. إذا حاولت مرة ثانية لن أستخدم معك يدي فقط.

عضضت على شفتي وأنا أدعك خدّي.

قال: إذا تدخّلت في عملنا ستجد نفسك مرمياً في شارع مهجور تتفرج عليك القطط.

لم أقل شيئاً. عاد إلى مقعده وهو يتنفس بصعوبة. أبعدت يدي قليلاً عن خدي وأخذت أحرّك أصابعي لأتأكد من صلابة قبضتي وقلت له: لا تقلق، سأتذكر هذا جيداً.


٣٢

وصلت إلى هوليوود عند أول المساء وصعدت إلى غرفة مكتبي. كان المبنى خالياً والممرات ساكنة. أبواب المكاتب الأخرى مفتوحة وعدة نساء ينظفن الغرف بالمكنسة الكهربائية والمسحة ومنفضة الغبار.

فتحت باب غرفتي وتناولت مغلّفاً وقع تحت الشق الخاص للبريد في أسفل الباب. وضعت المغلّف على الطاولة ولم أنظر إليه. رفعت الستائر ووقفت أتأمل أضواء النيون وأشمّ رائحة الطعام الساخن التي ارتفعت في ممر التهوئة من المطعم المجاور.

نزعت سترتي ورباط العنق وجلست إلى الطاولة وأخرجت وعاء القهوة من الدرج السفلي وملأت لنفسي كوباً منها. لم يفدني ذلك كثيراً. تناولت كوباً آخر، فلم يتغير شيء.

في هذه الفترة سيكون ويبر قد التقى بكينغسلي. سوف يتم تجهيز حملة للبحث عن زوجته بأسرع وقت ممكن، لأن الموضوع يبدو بالنسبة لرجال الشرطة واضحاً وجاهزاً. لا تتعدى القضية كونها حادثة وقعت بين رجل وامرأة يجمع بينهما سوء الطبع ويتبادلان الحب ويفرطان في تناول المشروب والتواصل وقد أدّى هذا كله إلى عدائية وحشية وإلى نزعة إجرامية.

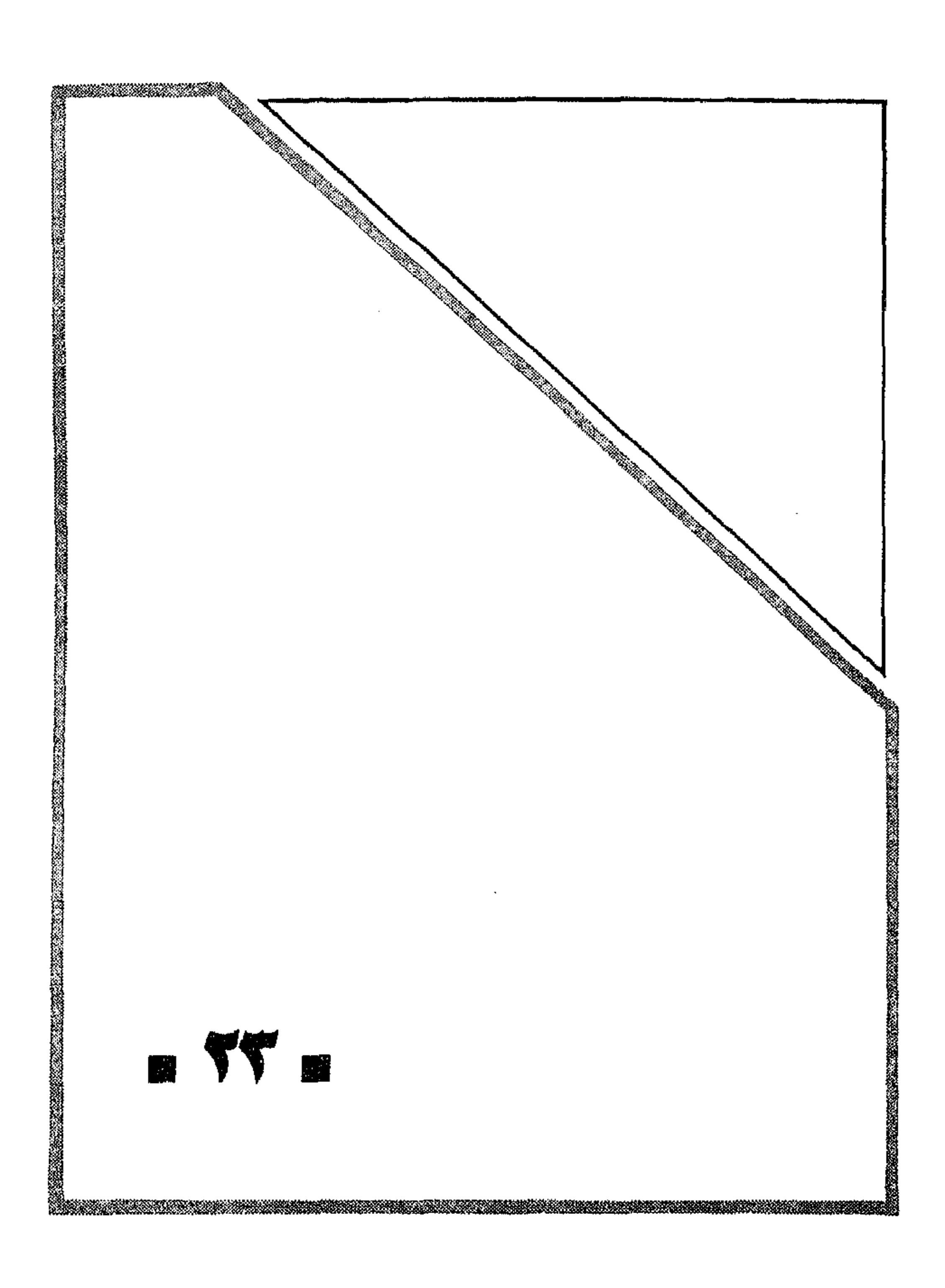
فتحت المغلف الذي لم يكن يحمل طابعاً وقرأت في داخله:
السيد مارلو: والدا فلورنس ألمور هما السيد والسيدة أوستاس غرايسون، وهما يقيمان حالياً في مبنى روسمور آرمز، ٦٤٠ شارع ساوث أوكسفورد. تأكدت من العنوان بالاتصال برقم الهاتف الموجود في الدليل. مع تحيات أدريان فرومسيت.

خطّ جميل، كاليد الجميلة التي كتبته. دفعت المغلف قليلاً ورشفت المزيد من القهوة. بدأت أشعر ببعض التحسن بانخفاض حدة توتري. أخذت أعبث بما تصل إليه يداي على الطاولة. شعرت أن يدي ازدادتا كثافة وسخونة وتنقصهما رشاقة الحركة. مرّرت اصبعي على حافة الطاولة وأخذت أتأمل الخط الذي رسمه وهو يمسح الغبار المتراكم. نظرت إلى الغبار على اصبعي ونفضته. نظرت إلى ساعتي، وإلى الجدار، وإلى لا شيء.

وضعت وعاء القهوة جانباً وقصدت المغسلة لأغسل الكوب. وحين انتهيت من ذلك غسلت يدي ووجهي بالماء البارد. بدا خدي في المرآة أقل إحمراراً، لكنه منتفخ قليلاً. وهذا كان كافياً لكي أشعر بالضّيق ثانية. رتبت شعري فلفت انتباهي الشيب الذي بدأ يخالطه وأخذ يزداد تدريجياً. كان المرض بادياً على وجهي، ولم يعجبني ذلك أبداً.

عدت إلى طاولتي وقرأت رسالة الآنسة فرومسيت مرة أخرى. ملّستها على السطح الزجاجي وشممتها ثم ملستها مرة أخرى وطويتها وخبأتها في جيب سترتي.

جلست بهدوء أستمع إلى سكون المساء الذي بدأ يغمر الأمكنة المجاورة. وببطء شديد أخذت أسترد معه سكوني.



٢٣

كان مبنى روسمور آرمز كتلة ضخمة وداكنة من القرميد الأحمر، وأمامه فسحة واسعة من الأرض. عند المدخل قاعة انتظار مترفة تضم إلى جانب الهدوء نباتات وقفصاً كبيراً بحجم بيت الكلب فيه كناريّ ضجر، ورائحة غبار سجاد قديم وبقايا رائحة غاردينيا.

شقة عائلة غرايسون في الطابق الخامس، في الجناح الشمالي. كانا يجلسان معاً في غرفة كأن أثاثها انتقي عن قصد على الطراز القديم. فهي تضم مقاعد كبيرة وللباب مسكة نحاسية تشبه البيضة، وعلى الحائط مرآة ضخمة لها إطار ذهبي، وقرب النافذة طاولة لها سطح من الرخام، والستائر من القماش الفاخر، الأحمر الداكن. رائحة تبغ تصاعدت في أرجائها مصحوبة برائحة طعام الغداء الذي تناولاه وكان كما يبدو من لحم الغنم المشوي والقرنبيط الأخضر.

زوجة غرايسون امرأة ممتلئة كانت لها في الماضي عينان زرقاوان واسعتان فيهما صفاء طفولي. وهما الآن شاحبتان وباهتتان وفيهما نتوء طفيف بسبب النظارتين، لها شعر أبيض مجعد ورجلان مكتنزتان بالكاد تلامسان الأرض. جلست ترتق الجوارب ووضعت

في حضنها سلّة كبيرة للوازم الخياطة.

كان السيـد غرايسـون طويل القامة، محدودب الظهر، أصفر الوجه، وله كتفان عاليتان، وحاجبان كثيفـان وذقن غير بـارزة. بدت نظرته صارمة لكن ملامحه تنمّ عن رغبة في التكاسل. كان يضع نظارتـين مزدوجتـين ويقرأ بتمعن جريدة المساء. حين فتشت عن اسمه في دليل المدينة عرفت انه كان يشغل منصب خبير حسابات في الحكومة، وكان يبدو عليه ذلك فعلاً. لاتزال هناك آثار حبر على أصابعه وفي جيب سترته أربعة أقلام.

قرأ بطاقتي بعناية للمرة السابعة ونظر إليَّ من رأسي حتى قدميّ وقال بتمهل:

ـ ما الموضوع الذي تريد التحدث إلينا فيه يا سيد مارلو؟

ـ إنني مهتم بقضية تدور حول رجل يدعى لايفري. وهو يقيم في منزل مواجه لمنزل الدكتور ألمور. وابنتك كانت زوجة هذا الأخير. لايفري هو الذي عثر على ابنتك ليلة... وفاتها.

كلاهمـا إنتبـه جيـداً حين تعمّدت التريث قبل النطق بالكلمة الأخيرة. نظر غرايسون إلى زوجته التي هزّت رأسها وقال بحذر: ليست عنـدنا رغبة في التحدث في هذا الموضوع، إنه مؤلم للغاية بالنسبة لنا.

انتظرت قليلاً حتى غمرت وجهي مسحة من الكآبة كوجهيهما ثم قلت:

ـ أنا لا ألومكما، ولا أريد إرغامكما على شيء. لكنني أريد فقط أن ألتقي بالرجل الذي وكّلتماه بالبحث في هذه القضية .

نظر كل منهما إلى الآخر، ولم تهزّ السيدة غرايسون رأسها هذه المرة.

سألني غرايسون: لماذا؟

ـ من الأفضل ان أروي لكما جزءاً من قصتي. وأخبرتهما بإيجاز عن المهمة التي أوكلت بها، دون ان أذكر اسم كينغسلي، وأخبرتهما بما حدث مع دغارمو أمام بيت ألمور منذ يومين، فأصغيا جيداً .

قال غرايسون بحدة: هل تريد القول انك شخص مجهول بالنسبة للدكتور ألمور، ولم تسبّب له أية مضايقة، وانه مع ذلك استقدم شرطياً لمجرد انتظارك أمام بيته؟

ـ هذا صحيح. مع انني لم أكن أقوم بأكثر من زيارة قصيرة، وكانت السيارة فارغة .

قال غرايسون: هذا غريب جداً.

هذا رجل عصبي المزاج برأيي، ولقد سألني دغارمو ما إذا كنت موكّلاً بإجراء تحقيق من قبل والدي زوجة ألمور، أي ابنتكما، وهذا يثير الشك في انه لا يشعر بالأمان حتى الآن. ألا تعتقدان ذلك؟

ـ بالنسبة لماذا؟ ولم ينظر إليَّ وهو يسألني. أعاد إشعال غليونه ببطء، ثم رصّ التبغ بأسفل قلم معدني كبير وأشعل الغليون مرة أخرى .

هززت كتفي ولم أجبه. نظر إليَّ بسرعة ثم التفت بعيداً، ولم تنظر إليَّ زوجته لكن أنفها كان يرتعش.

سألني غرايسون على نحو مفاجىء: وكيف عرف من تكون؟

ـ أخـذ رقم السيـارة واتصـل بالدائرة المختصة وبحث عن اسمي في الدليل. هذا ما كنت سأفعله لو كنت مكانه، وأنا بالإضافة إلى ذلك شاهدته يقوم بأعمال تدل على ما قلته وهو يجلس أمام النافذة .

قال غرايسون: رجال الشرطة يعملون في صفّه إذاً!؟

ـ ليس بالضرورة، لقد شعروا انهم ارتكبوا خطأ في ذلك الوقت وهم لا يرغبون في الكشف عنه الآن .

ضحك بصوت ثاقب: خطأ!

قلت: حسناً. الموضوع مؤلم لكن حديثاً بسيطاً لن يغير شيئاً في الأمر. أنتما منذ البداية تشكّان في انه هو قاتل ابنتكما، أليس كذلك؟ ولهذا السبب وكّلتما مفتشاً لتقصي الحقيقة.

رفعت السيدة غرايسون نظرها بسرعة ثم اخفضت رأسها ولفّت جورباً بعد ان انتهت من رتقه.

غرايسون لم يقل شيئاً.

قلت لهما: هل كان لديكما دليل؟ أم انكما فقط لا تحبّان هذا الدكتور؟

ـ هنـاك دليل. قالها غرايسون بمرارة وبوضوح مفاجىء في صوته كأنه قرّر أخيراً ان يبوح بما لديه:

ـ كان هناك دليل بالتأكيد لقد قالوا لنا ذلك. لكنهم لم يوضحوه لنا أبداً. الشرطة هي التي تولّت الأمر .

ـ سمعت انهم ألقوا القبض على المفتش وسجنوه بتهمة قيادة السيارة في حالة السكر .

ـ هذا صحيح .

ـ ألم يخبركما بما توصّل إليه من معلومات وفي أي إطار كان ينوي الإستمرار في تحرياته؟

ـ لا .

قات: هذا وضع لا يعجبني. يبدو ان هذا المفتش لم يكن قد قرّر ما إذا كان سيستخدم معلوماته لصالحكما أم انه سيحتفظ بها للضغط على الدكتور.

نظر غرايسون إلى زوجته التي قالت بهدوء:

ـ لا يبدو السيد تالي من هذا النوع. كان رجلاً قصير القامة وهـادئاً وغير مدّعٍ. لكنني أعرف انه لا يمكن الحكم على الإنسان حسب مظهره فقط .

قلت: اسمه تالي إذاً. هذا أحد الأمور التي وددت معرفتها منكما.

سألني غرايسون: وما هي الأمور الأخرى؟

ـ كيف أجد تالي ـ وما الذي غرس الشك في قلبيكما. كان لديكما ما تستندان إليه وإلاّ كيف أوكلتما تالي بالقضية لو لم تكن لديه نقطة انطلاق للبدء في تحرياته .

ابتسم غرايسون وهو يزمّ شفتيه على نحو متأنق، مد يده إلى ذقنه الصغيرة وأخذ يحكها بإصبعه المصفر.

قالت السيدة غرايسون: المخدرات.

قال غرايسون مباشرة وكأن كلمة واحدة كانت بمثابة ضوء

أخضر: إنها تعني ذلك لأن ألمور كان ولايزال دكتور مخدرات. إبنتنا كشفت لنا هذا الأمر بحضوره، وهو لم يعجبه ذلك بالطبع.

- ماذا تقصد يا غرايسون بقولك انه دكتور مخدرات؟

- أعني انه دكتور يعالج بشكل أساسي الأشخاص الذين يعيشون على حافة الانهيار العصبي من الإدمان أو الإنغماس في الملذّات. الأشخاص الذين يتناولون المهدئات والمسكنات باستمرار. وهؤلاء يصلون إلى مرحلة يرفض فيها الطبيب الشريف ان يمدّهم بالمزيد من هذه العقاقير خارج مصحة خاصة. لكن الدكتور ألمور لم يكن يرفض ذلك. يستطيعون ان يأخذوا منه ما يريدون طالما انهم يدفعون الثمن، وطالما ان المريض منهم لايزال على قيد الحياة وبالحد الأدنى من الوعي حتى ولو اقتنع الدكتور بأن حالته ميؤوس منها. هذا علاج مثمر وأعتقد انه لا يخلو من الخطر على الدكتور نفسه».

- بالتأكيد، لكنه مثمر جداً. هل تعرف رجلاً يدعى كوندي؟

- لا، لكنني أعرف من يكون، لأن فلورنس كانت تعتقد انه هو الذي يزوّد ألمور بالمخدرات .

- قد يكون ذلك صحيحاً. إنه بالتأكيد لا يريد ان يكتب الكثير من الوصفات الطبية. هل كنت تعرف لايفري؟

- لم أقابله لكنني أعرف من هو؟

- هل فكرت مرة ان لايفري يبتزّ ألمور؟

كانت تلك فكرة جديدة بالنسبة له. مرّر يده على شعره ثم وضعها على ركبته. هزّ رأسه وقال: لا، ولماذا يبتزّه؟

ـ كان أول من رأى الجثة. والذي بدا ملفتاً يتظر تالي لا بد ان يكون لايفري قد رآه أيضاً .

ـ هل لايفري من هذا النوع؟

ـ لا أعرف، ليست لديه وسائل واضحة للحصول على المال، وكـان بدون عمـل. إنه يميل إلى اللهو والعبث وله علاقات كثيرة بالجنس اللطيف .

قال غرايسون: يبقى هذا مجرد تخمين، هناك وسائل احتيال عديدة يتم التستر عليها تساعد على توفير المال. وابتسم تعبيراً عن استيائه وتابع يقول: صادفتني أثناء عملي حالات تلاعب كثيرة، أشخـاص يستطيعون الحصول على قروض غير مكفولة لفترات طويلة، أو ان البعض يعلنون عن توظيف أموالهم في مجالات تكون غير منتجة، ويكون من المعروف عن هؤلاء انهم لا يوظّفون أموالهم إلّا في مجـالات منتجـة. وآخرون عليهم ديون توجب استيفاؤها لكنهم لا يدفعونها مخافة تدقيق خبراء ضريبة الدخل في دفاترهم... أجل أساليب الاحتيال هذه يسهل تدبيرها.

نظرت إلى السيدة غرايسون. لم تتوقف يداها عن العمل. لقد رتقت دزينة من الجوارب. يبدو ان قدمي السيد غرايسون قاسيتان على الجوارب.

ـ ما الذي حدث لتالي، هل دُبرت له مكيدة؟

ـ لا شك في ذلك. كانت زوجته متضايقة جداً. قالت انه كان في حانـة يتنـاول شراباً مع أحد رجال الشرطة، وان مخدّراً وضع في كأسه. وقالت ان سيارة الشرطة كانت تنتظر في الشارع وانه اقتيد مباشرة إلى المركز، وأجروا له في السجن فحصاً روتينياً .

- هـذا لا يعني الكثير، لأنه قاله بعد إلقاء القبض عليه. من المؤكد انه سيقول ذلك، وبطريقة آلية .

قال غرايسون: إنني أكره ان يكون رجال الشرطة غير شرفاء، لكن هذه الأمور تحدث، وكل الناس يعرفونها.

قلت: إذا كانوا قد ارتكبوا خطأ غير مقصود بشأن وفاة ابنتك، فسيتضايقوا إذا حاول تالي الكشف عنه. لأن هذا يعني ان كثيرين من بينهم سوف يُطردون من الخدمة. ولو انهم كانوا يعتقدون فعلاً انـه يقصـد ابتزاز الدكتور ألمور لما تكبّدوا عناء تدبير مكيدة له للقبض عليه. أين يوجد تالي الآن؟ إذا افترضنا وجود دليل قاطع على ارتكاب جريمة القتل يبدو لي ان تالي كان يعرفه أو انه كان يعرف عما يبحث.

قال غرايسون: لا نعرف مكانه. حُكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر، لكنه خرج منذ فترة طويلة.

- وزوجته؟

نظر إلى زوجته التي قالت باختصار: $\frac{1}{2}$ ١٦١٨ شارع ويست مور في مدينة باي. لقد أرسلنا لها مبلغاً من المال لسوء حالها.

دوّنت العنوان وأسندت ظهري إلى مقعدي وقلت: هذا الصباح قُتل لايفري برصاص مسدس.

تصلّبت يدا السيدة غرايسون المكتنزتان على حافة سلّتها وجلس غرايسون فاغراً فاه، وهو يمسك بالغليون. سعل قليلاً ليجلو حنجرته وكأنه يرى جثة أمامه. ولم أر في حياتي شيئاً يتحرك ببطء غليونه الأسود العتيق وهو يعيده إلى فمه.

قال: بالطبع هذا الاحتمال بعيد . وسكت قليلاً تاركاً كلماته عالقة في الهواء ونفخ دخاناً باهتاً عليها ثم أضاف: ان يكون للدكتور ألمور أية علاقة بهذا الأمر.

قلت: إنني أميل للإعتقاد بوجود هذه العلاقة، فهو يسكن قريباً منه ورجال الشرطة يعتقدون ان زوجة موكّلي هي التي أطلقت النار على لايفري. ولدى هؤلاء تهمة واضحة سيوجهونها لها حين يعثرون عليها. ولكن إذا كانت ثمة علاقة للدكتور بالجريمة فإن بدايتها ستكون منذ مقتل ابنتك. لذلك أنا أحاول ان أعرف المزيد عن تلك الحادثة.

قال غرايسون: أي رجل يقتل مرة، لن يتردد كثيراً في ارتكاب جريمة أخرى. قال ذلك وكأنه درس الأمر دراسة وافية.

قلت: أجل، ربما تكون على حق. وما الدافع للجريمة الأولى؟

قال بكآبة: كانت فلورنس متهوّرة: فتاة متهوّرة وذات مزاج صعب. كانت مبذّرة ومتطرّفة، وتجد باستمرار أصدقاء جدداً غير جديرين بالثقة، وهي تتكلم كثيراً وبصوت مرتفع، وتتصرف عادة بعبثية. زوجة مثلها تكون مصدر خطر لرجل مثل الدكتور ألبرت ألمور. لكنني لا أعتقد ان هذا كان الدافع الأساسي، أليس كذلك يا عزيزتي؟

نظر إلى زوجته، لكنها لم تنظر إليه، أدخلت الإبرة في كتلة من خيطان الصوف ولم تقل شيئاً.

تنهّد غرايسون وتابع يقول: نحن نعتقد ان علاقة كانت تربطه بالمرضة التي تعمل في عيادته، وان فلورنس هدّدته بفضيحة، وهو

لا يحتمل فضيحة كهذه، لأن أية فضيحة قد تجرّ فضيحة أخرى.

ـ وكيف نفّذ جريمته؟

ـ بالمورفين طبعاً. هذه مادة يعرفها جيداً ويتقن استخدامها. وحين وقعت في الغيبوبة التامة حملها إلى المرآب وأدار محرّك السيارة. لم يشّرحوا الجثة، لو انهم شّرحوها كان سيتبين لهم انها أعطيت كمية كبيرة من المخدّر في تلك الليلة.

أحنيت راسي موافقاً على رأيه فأسند ظهره بارتياح ووضع يده على شعره ثم أسقطها على ركبته. يبدو انه أشبع هذا الأمر درساً.

نظرت إليه وإلى زوجته، كهلان يجلسان بهدوء ويغذيان تفكيرهما بالحقد، سنة ونصف السنة بعد الحادثة. سيكونان سعيدين لو يتبين ان ألمور هو قاتل لايفري. سيكونان سعيدين للغاية سيشفي هذا غليلهما.

بعد قليل من الصمت قلت: أنتما تصدقان ما تقولانه لأنكما تريدان ذلك. قد تكون انتحرت فعلاً، والطريقة التي أحاط بها رجال الشرطة بالموضوع كانت لحماية نادي القمار الذي يملكه كوندي وللحؤول دون تعرّض ألمور لاستجواب في جلسة محاكمة علنية.

ردّ غرايسون بحدّة: هذا هراء. لقد قتلها فعلاً. كانت نائمة في سريرها.

ـ لا تستطيع أن تثبت ذلك. ربما كانت إبنتك تتعاطى المخدرات ولم يعد جسمها يرفض هذه المواد السامة. في هذه الحالة لن يكون مفعول الإبرة لفترة طويلة. ربما تكون نهضت

في منتصف الليل ورأت نفسها في المرآة وشعرت أن الشياطين تُشير إليها، هذه أمور تحدث للعديد من الناس.

قال غرايسون: أعتقد انك أخذت ما يكفي من وقتنا.

وقفت وشكرتهما معاً ومشيت قليلاً نحو الباب ثم سألتهما: هل واصلتما البحث بعد إلقاء القبض على تالي؟

قال غرايسون بصوت عميق: اتصلت بمساعد المدعي العام في المنطقة ويدعى ليتش، لكن بدون فائدة فهو لم يجد مبرّراً لتدخله، ولم يهتم حتى لقضية المخدرات. لكنه أصدر أمراً بإقفال ملهى كوندي بعد شهر تقريباً، ربما يكون ذلك نتج عن إثارة القضية.

- رجال شرطة مدينة باي فعلوا ذلك للتمويه فقط. وستجد ان كوندي قد فتح ملهى في مكان آخر، إذا عرفت أين تفتش عنه، وكل معدّاته لاتزال صالحة للاستخدام .

توجهت نحو الباب ثانية ونهض غرايسون من مقعده ليتبعني وقد علا وجهه الأصفر إحمرار طفيف.

قال: لم أقصد ان أكون وقحاً معك. أعتقد انه لا يجوز ان نجلس أنا وزوجتي هنا ونفكّر في هذه القضية كما نفعل الآن.

- كنتما حتى الآن صبورين للغاية هل هناك شخص آخر له علاقة بالموضوع ولم نذكر اسمه بعد؟

هزّ رأسه، ثم نظر إلى زوجته، يداها أمسكتا ببيضة الرّتق والجورب ولم تتحركا. كانت تميل برأسها قليلاً، تريد ان تستمع لا أن تتكلم.

قلت: لقد عرفت ان ممرضة الدكتور ألمور هي التي وضعت

السيدة ألمور في سريرها تلك الليلة ـ فهل هي التي كانت على علاقة به؟

ردت السيدة غرايسون بحدة: نحن لم نر تلك الفتاة لكن إسمها يحمل جاذبية خاصة، انتظر قليلاً.

وانتظرنا قليلاً فقالت: اسمها ملدريد ولا أعرف اسم عائلتها.

تنفست بعمق وقلت: هل هو ملدريد هافيلاند يا سيدة غرايسون؟

ابتسمت وأحنت رأسها بالطبع، ملدريد هافيلاند. ألا تذكره يا أوستاس؟

لم يتذكره، ونظر إلينا كأنه حصان وجد نفسه في اسطبل لا يعرفه، فتح لي الباب وهو يقول: وهل هذا مهم؟

فتابعت أقول: قلت لي ان تالي صغير الجسم، فهل هو رجل فظ ويحاول ان يفرض نفسه بالقوة على الآخرين؟

قالت السيدة غرايسون: لا، السيد تالي كان متوسط القامة وفي خريف العمر، شعره كستنائي وصوته هادىء جداً. يبدو على ملامحه القلق، أعني انه يبدو كأنه يعيش حالة قلق منذ فترة طويلة.

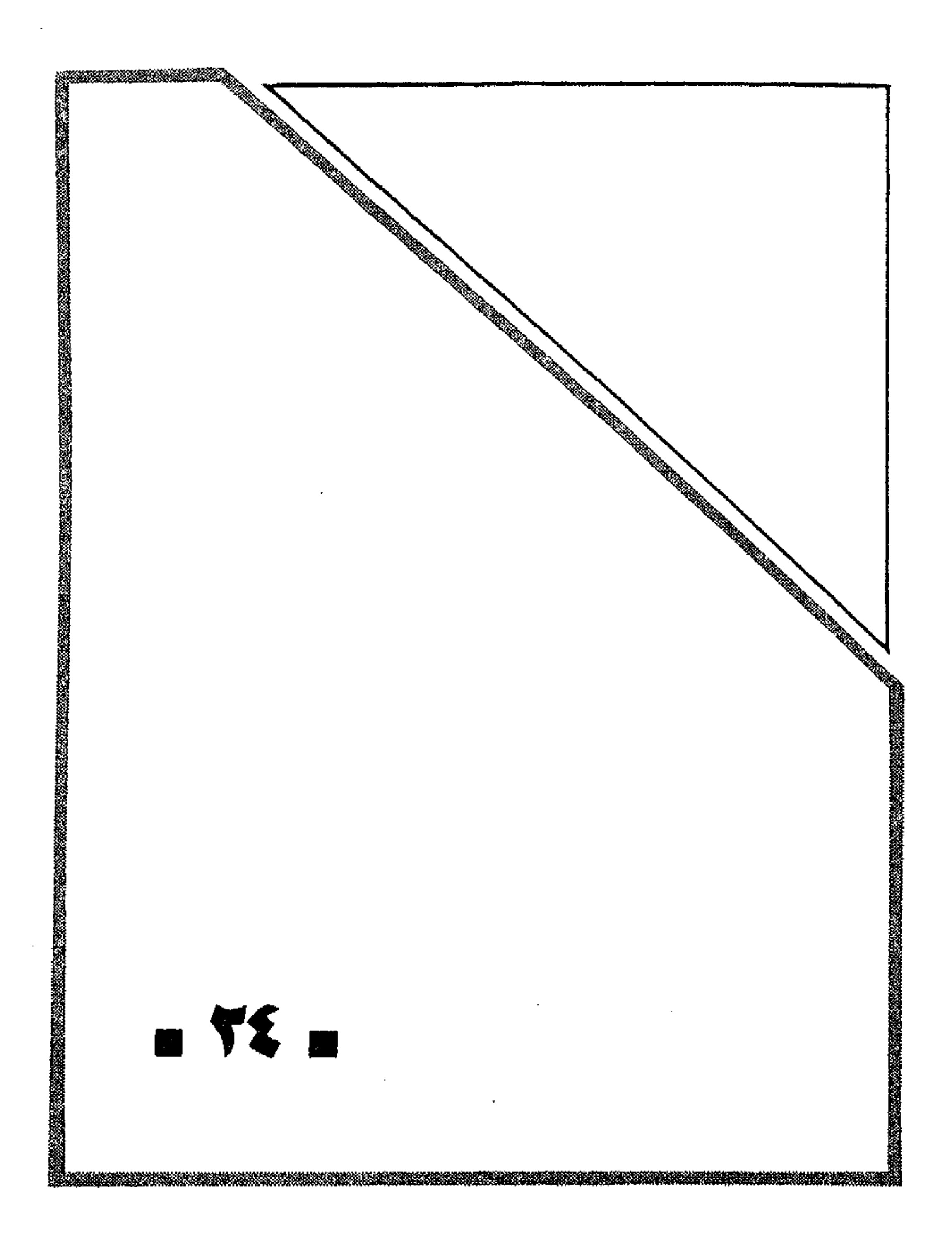
قلت: يبدو عليه انه يشعر بحاجة لذلك.

مدّ غرايسون يده فتصافحنا.

قال وهو يضغط بأسنانه على غليونه: إذا ألقيت القبض عليه عُدْ إلينا ومعك فاتورة بالمبلغ الذي تطلبه أعني إذا استطعت الإيقاع بألمور طبعاً.

قلت له انني أعرف انه يقصد ألمور، وانني لن أتقاضى منه شيئاً.

مشيت في الممر الهادىء ونزلت في المصعد الذي تغطي أرضه سجادة حمراء جميلة. كانت لها رائحة عتيقة كأن ثلاث أرامل يشربن الشاي في داخله.


٣٤

كان البيت الذي يقع في شارع ويست مور كوخاً خشبياً صغيراً أمامه بيت كبير. لم يكن الكوخ الصغير يحمل رقماً واضحاً، لكنني رأيت لوحة مضاءة على جدار البيت الكبير تحمل الرقم ١٦١٨، ورأيت ممراً يقود إلى بيت خلفي له شرفة صغيرة عليها مقعد واحد. وقفت على الشرفة وضغطت على زرّ الجرس.

سمعت رنينه في الداخل. كان الباب الداخلي مفتوحاً خلف حاجز الشريط، لكنني لم أر ضوءاً.

من داخل العتمة صرخ صوت يسأل: من هناك؟

قلت: هل السيد تالي موجود؟

صار الصوت عادياً: من الذي يريده؟

ـ صديق.

انه صوت امرأة تجلس في العتمة. سعلت قليلاً لتجلو حنجرتها أو لأنها تستمتع بذلك، وقالت: حسناً، كم هي الفاتورة؟

ـ أنا لا أحمل فاتورة يا سيدة تالي، أعتقد انك السيدة تالي؟

- إذهب من هنا ودعني وشأني. السيد تالي ليس هنا، ولم يكن هنا، ولن يكون .

وضعت أنفي على الشريط محاولاً النظر إلى الداخل. رأيت أثاثاً غير واضح وكنبة كبيرة كانت السيدة مستلقية عليها. كانت ممددة على ظهرها تنظر إلى السقف، بدون حراك تقريباً.

قالت لي: أنا مريضة، وقد عانيت ما فيه الكفاية. إذهب ودعني أرتح.

قلت: كنت عند عائلة غرايسون منذ قليل. لم تقل شيئاً ولم تتحرك ثم تنهدت وقالت: لم أسمع بهذا الإسم من قبل.

أسندت ظهري إلى الشريط وأخذت أنظر إلى الممر الضيق الذي يفضي إلى الشارع. كانت هناك سيارة متوقّفة ومضاءة وبجانبها عدة سيارات أخرى.

قلت لها: بل تعرفينه يا سيدة تالي. إنني وكيلهما في القضية التي لم تنته بعد. وماذا عنك؟ ألا تريدين شيئاً مقابل ما عانيته؟

قالت: أريد أن تتركوني وشأني.

- أريد بعض المعلومات، وسوف أحصل عليها، بهدوء إذا استطعت، وبصوت عالٍ إذا لم أتمكن من ذلك .

- أنت شرطي أيضاً، أليس كذلك؟

- تعرفين جيداً انني لست شرطياً يا سيدة تالي. فالسيد والسيدة غرايسون لا يقبلان التحدث مع شرطي، إطلبيهما وأسأليهما .

- لم أسمع بهذا الإسم من قبل، وليس عندي تلفون. إذهب

بعيداً أيها الشرطي. أنا مريضة. مريضه منذ شهر .

قلت: اسمي مارلو. فيليب مارلو. وأنــا مفتش خاص من لوس انجلوس. كنت عند عائلة غرايسون وتوصلت إلى معلومات جديدة، وأريد ان أتحدث إلى زوجك بهذا الخصوص.

ضحكت السيدة بصوت منخفض بالكاد سمعته وقالت: توصلت إلى معلومــات جديدة! هذه الجملة سمعتها من قبل. يا إلهي كم سمعتها! وجورج تالي أيضاً كان يتوصل إلى معلومات جديدة دائماً.

ـ يستطيع الآن ان يعوّض ما فاته إذا عرف كيف يلعب الأوراق بالطريقة الصحيحة .

ـ إذا كان هذا المطلوب تستطيع ان تشطب اسمه منذ الآن .

أسندت ظهري إلى إطار الباب وفركت خدي قليلاً. في الشارع أمامي أنير ضوء قوي ثم انطفأ. لم أعرف لماذا، ولكنه بدا قريباً من سيارتي.

أدارت المرأة وجهها إلى الحائط فلم أعد أرى سوى شعرها.

قالت بصوت غير واضح لأن الحائط كان أمامها: أنا متعبة. أنا متعبة جداً. اذهب أرجوك. كن لطيفاً واذهب من هنا.

ـ هل أستطيع ان أقدم لك بعض المال؟

ـ ألا تشم رائحة السيجار؟

لم أشم رائحة دخان فقلت: لا.

ـ كانوا هنا. كانوا هنا منذ ساعتين. يا إلهي لقد تعبت من كل شيء. اذهب بعيداً .

ـ اسمعيني يا سيدة تالي ...

استدارت على الكنبة ثانية فرأيت وجهها دون ان أتبين ملامحها بوضوح.

قالت: اسمعني أنت، أنا لا أعرفك، ولا أريد ان أعرفك، وليس عندي ما أقوله لك. ولو كانت لديَّ معلومات لن أقولها لك. إنني أعيش هنا كما ترى أيها السيد، ولا أريد سوى بعض الهدوء والأمان، إذهب الآن واتركني.

ـ دعيني أدخل لكي نتحدث في هذا الأمر، أعتقد انني أستطيع ان أشرح لك...

ضربت الأرض برجليها فجأة وقالت بنبرة غاضبة:

ـ إذا لم ترحل سأبدأ بالصراخ، سأصرخ في الحال!

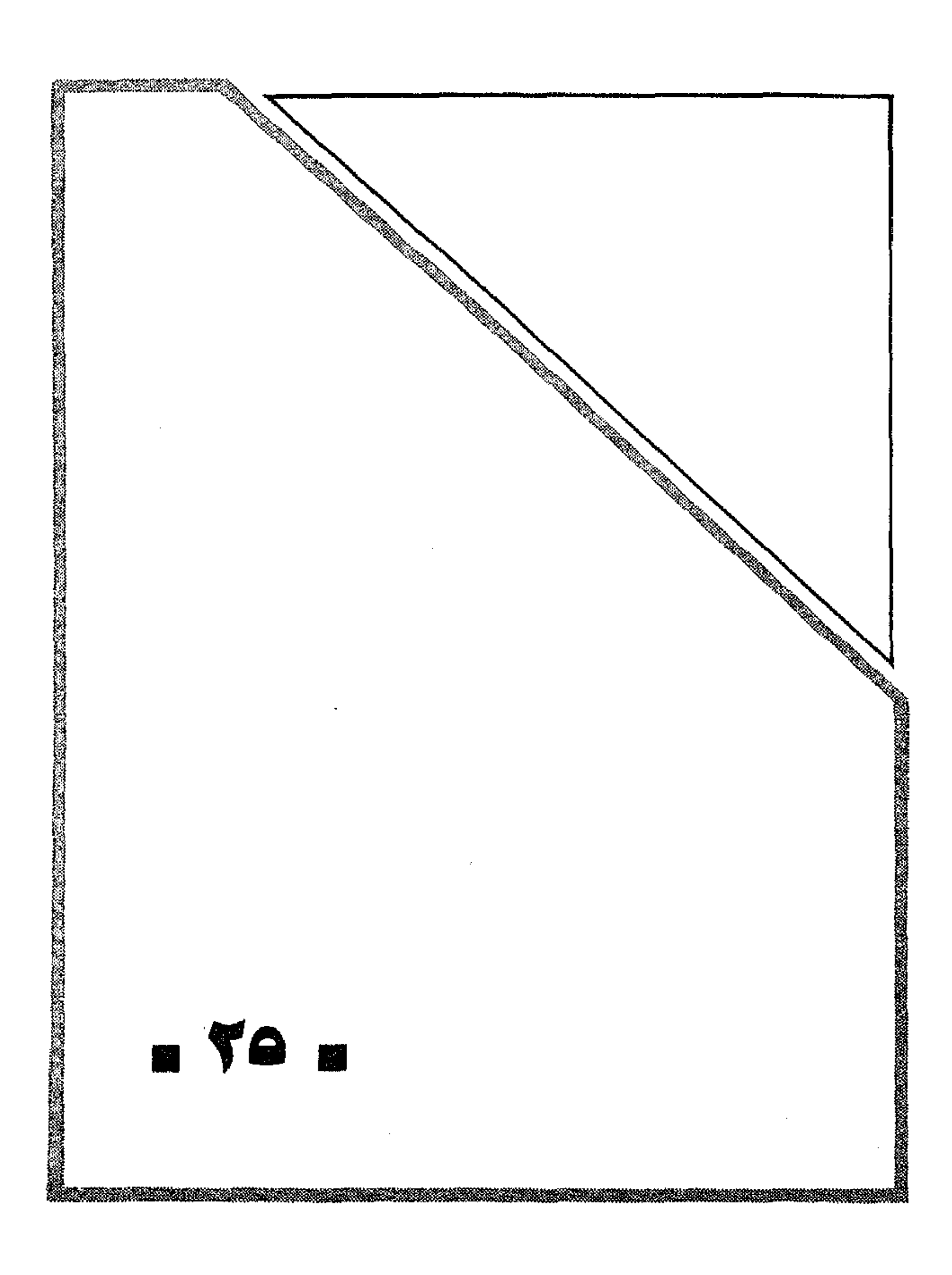
ـ حسناً، سأترك لك بطاقتي كي لا تنسين اسمي. قد تغيرين رأيك.

تناولت بطاقة من جيبي وأدخلتها بين الحاجز والإطار الخشبي وقلت: ليلة سعيدة يا سيدة تالي.

لم تجبني، مع انها كانت تنظر إليَّ بعينين بدا بريقهما باهتاً في الظلام. نزلت عن الشرفة ومشيت نحو الشارع.

أدير محرك السيارة التي تركت مصابيحها مُضاءة، لكنني لم أعتبر ان هذه المصادفة غير عادية.

صعدت في سيارتي وانطلقت بها.


■ ٢٥ ■

شارع ويست مور يمتد من الشمال إلى الجنوب في الضاحية البائسة للمدينة. توجهت نحو الشمال. أخذت السيارة تتخبّط فوق طرقات ضيّقة ومهملة، ووصلت إلى منطقة لرمي الخردة. خلف أسوار خشبية كانت هياكل السيارات العتيقة مكوّمة بأشكال مخيفة، كأنها في ساحة معركة. أكوام مكدّسة من القطع الصدئة كانت تلمع في ضوء القمر. أكوام تصل إلى ارتفاع مبانٍ عالية وبينها ممرات عديدة.

إلتمعت مصابيح سيارة ورائي في المرآة. وصار الضوء أكثر وضوحاً. ضاعفت السرعة وفتحت الصندوق الصغير أمامي وتناولت منه مسدسي ووضعته على المقعد بجانبي.

خلف أكوام الخردة معمل للآجر. لم يكن الدخان يتصاعد من المدخنة العالية للأتون، وخلف المصنع أرض خالية. قرب الأتون تكدّس بلاط الآجر وأقيم مبنى خشبي تعلوه يافطة باسم المصنع، لكن المكان كان خالياً، لا أحد يتحرك، ولا نور مضاء، ازدادت سرعة السيارة خلفي وسمعت صوتاً خافتاً لصفّارة سيارة شرطة. يبدو ان أحدهم ضغط قليلاً على الزر ثم رفع يده. انتشرت تموجات الصوت

فوق ملعب غولف مهجور إلى الجهة الشرقية وفوق معمل الآجر إلى الجهة الغربية. حاولت ان أزيد السرعة، ولكن دون فائدة، فالسيارة الثانية صارت بمحاذاة سيارتي ورأيت ضوءاً أحمر يكشف فجأة الطريق الممتدة أمامنا.

حاولت السيارة ان تقطع عليَّ الطريق. أوقفت الكرايزلر مباشرة وأدرت وجهتها وانطلقت بسرعة في الاتجاه المعاكس. سمعت ورائي صوت فرامل قوية، وهدير محرّك يعمل بأقصى طاقته، واستدار الضوء الأحمر ليغمر عدة أميال خلف مصنع الآجر.

لم تكن محاولة الهروب ناجحة لأن السيارة الثانية لحقت بي. لم تعد أمامي أية فرصة للنجاة سوى الوصول إلى منطقة مأهولة فيها بيوت وأشخاص قد يرون ما سيحدث ويتذكرونه.

لكنني لم أفلح في ذلك. صارت سيارة الشرطة بمحاذاة سيارتي وسمعت صوتاً شرساً يصرخ بي قائلاً: توقّف وإلاّ نطلق النار عليك!

أوقفت السيارة قرب حاجز حجري وأرجعت المسدس إلى الصندوق وأغلقت بابه. وقفت سيارة الشرطة أمامي إلى الجهة اليسرى. خرج رجل بدين منها وهو يزمجر قائلاً:

- ألا تعرف صوت صفّارة سيارة الشرطة حين تسمعها؟ أخرج في الحال!

خرجت من سيارتي ووقفت في ضوء القمر. كان الرجل البدين يحمل مسدساً في يده.

قال بصوت يشبه ضربة المجرفة: أعطني رخصة القيادة!

أخرجت الرخصة من محفظتي. نزل الشرطي الآخر الذي كان

يقود السيارة ووقف بجانبي وأخذ الرخصة من يدي. أضاء مصباحاً يحمله وقرأ:

ـ إسمه مارلو. إنه مفتش خاص، تصوّر يا كُوني .

قال كُوني : هل هذا كل شيء؟ لا أظن انني سأحتاج لهذا المسدس. وأعاد المسدس إلى حزامه وقال: أعتقد انني أستطيع تسوية الأمر بيدي.

قال الآخر: القيادة بسرعة غير مسموح بها، أنت سكران بدون شك.

قال كوني: إقترب منه لتشم أنفاسه، هذا اللعين.

انحنى الآخر بتهذيب وقال: هل تسمح لي ان أشم أنفاسك أيها المفتش؟

تركته يشم أنفاسي.

قال بعد قليل: حسناً، لا يبدو سكران، يجب ان أقرّ بذلك.

ـ هذه ليلة صيف باردة، قدّم له شراباً أيها الشرطي دوبز .

قال دوبز: إنها فكرة جيدة. وعاد إلى السيارة ليتناول من داخلها زجاجة شراب حملها بيده. كانت ملآنة حتى ثلثها فقط.

قال: لا داعي لأن تشرب كثيراً ودفع لي الزجاجة قائلاً: تفضل!

ـ ولنفترض انني لا أريد ان أشرب .

قال كوني بصوت فيه أنين: لا تقل ذلك، إلاّ إذا كنت تريد ان ترى آثار أقدامنا على بطنك.

تناولت الزجاجة منه وفتحتها وشممت ما بداخلها. كانت رائحته رائحة شراب عادي، ليس فيه مادة أخرى.

قلت: لا تستطيعان القيام باللعبة نفسها مرتين.

قال كوني: الساعة الثامنة وسبع وعشرون دقيقة أكتب ذلك أيها الشرطي دوبز.

عاد دوبز إلى السيارة وانحنى ليدوّن تلك الملاحظة في التقرير الذي سيكتبه. حملت الزجاجة وقلت لكوني: هل أنت مصر على ذلك..
- لا، قد أنقضّ على بطنك إذا لم تفعل .

ترشفت قليلاً منها، دون أن أبتلع شيئاً، تقدم كوني وعاجلني بضربة على معدتي. بصقت الشراب وانحنيت أسعل، ووقعت الزجاجة من يدي.

انحنيت لأرفعها فرأيت رجل كوني الضخمة ترتفع إلى وجهي. ابتعدت قليلاً ووقفت لأضربه على أنفه بكل ما استطعت من قوة. رفع يده اليسرى إلى وجهه وهو يزمجر ويضع يده اليمنى على حزام مسدسه. ركض دوبز نحوي وضربني بالهراوة خلف ركبتي اليسرى، انثنيت من شدة الألم وجلست على الأرض وأنا ما أزال أبصق الشراب.

رفع كوني يده عن وجهه وهي ملطخة بالدماء. صرخ بصوت مرعب: يا إلهي! هذا دم! دمي أنا! وزمجر بصوت وحشي وحرك قدمه نحو وجهي.

ابتعدت قدر الإمكان فأصاب كتفي، ولم يكن احتمال الإصابة سهلاً حتى هنا.

وقف دوبز بيننا وقال: هذا يكفي يا شارلي. الأفضل ألّا نتمادى في ضربه.

رجع كوني بضع خطوات إلى الوراء وأسند ظهره إلى السيارة ويده على وجهه. تناول منديلًا وأخذ يمسح أنفه برفق.

قال والمنديل يغطي وجهه: إصبر عليَّ دقيقة! إصبر دقيقة واحدة! إصبر عليَّ دقيقة واحدة فقط!

قال له دوبز: إهدأ، هذا يكفي. سنتوقف عند هذا القدر. وحمل الهراوة بمحاذاة رجله، نهض كوني فجأة وتقدم، وقف دوبز في طريقه ودفعه قليلاً إلى الوراء. حاول كوني ان يبعده عنه وهو يقول: أريد أن أرى دماء، أريد ان أرى المزيد من الدماء.

قال دوبز بحدّة: لن تفعل شيئاً. إهدأ. لقد حصلنا على ما نريد.

استدار كوني ومشى بخطى ثقيلة إلى الناحية الثانية من السيارة. أسند نفسه إليها وهو يلعن بينما المنديل على فمه.

قال لي دوبز: قف يا صديقي.

وقفت وأنا أفرك ركبتي من الخلف، والعصب ينتفض في رجلي كأنه سعدان غاضب.

قال دوبز: إصعد في السيارة، سيارتنا.

مشيت وصعدت في سيارة الشرطة.

قال دوبز: ستتولى أنت قيادة سيارته يا شارلي.

قال كوني مزمجراً: سأجعلها تنطلق بأقصى سرعتها.

رفع دوبز الزجاجة عن الأرض ورماها من فوق السور، وصعد في السيارة بجانبي.

قال لي: ستدفع ثمن مواجهتك له، لم يكن يجدر بك ان تضربه.

- ولِمَ لا أفعل ذلك؟

- إنه رجل طيب مع انه كثير الصراخ .

- لكنه لا يُطاق أبداً .

- لا تقل له ذلك .

وبدأت السيارة تتحرك فأضاف يقول: سوف تجرح مشاعره.

صعد كوني في الكرايزلر وأدار المحرك وداس على جهاز التعشيق كأنه يريد ان يحطمه. أدار دوبز بهدوء سيارة الشرطة وتوجه نحو الشمال بمحاذاة مصنع الآجر.

قال: سوف تحب سجننا الحديث.

- أية تهمة ستوجهون لي؟

فكر قليلاً وهو يقود السيارة متمهلاً ويراقب كوني في المرآة وهو يتبعنا في سيارتي.

قال: السرعة، ومقاومة رجال الشرطة وتناول الشراب المسكر.

- وما رأيك بالضرب في البطن والرّفس على الكتف، وتناول الشراب المسكر تحت وطأة التهديد، ورفع السلاح بدون سبب، والضرب بالهراوة؟ ألا تستطيع فبركة تهمة أخرى من كل هذا؟

قال متعباً: هل تعتقد ان هذا يعجبني وأنني كنت أمضي وقتاً ممتعاً؟

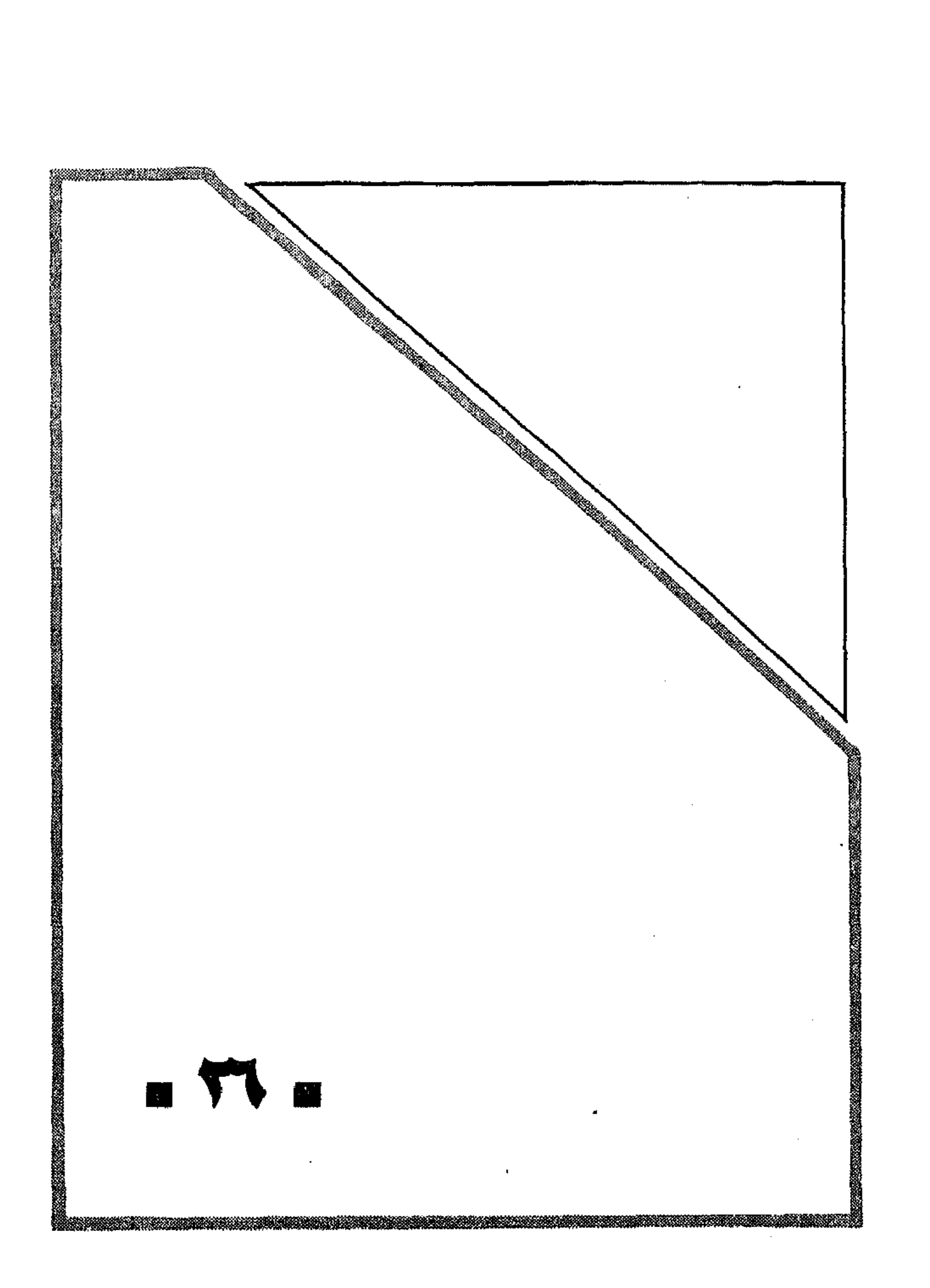
قلت: كنت أعتقد ان البلدة صارت نظيفة بحيث يستطيع أي رجل شريف ان يمشي في الشوارع ليلاً بدون ان يرتدي سترة واقية من الرصاص.

قال: نظفوها قليلاً، وهم لا يريدونها نظيفة تماماً. فهذا يخيف من يحبّون إنفاق الدولارات بشكل غير مشروع.

- لا تقل ذلك، لأنك ستخسر بطاقة العضوية في الإتحاد .

ضحك وقال: اللعنة عليهم، سألتحق بالجيش بعد أسبوعين.

بالنسبة له الحادثة انتهت، ولم تعد تعني شيئاً. اعتبرها حدثاً عادياً وقد انتهى. ولم يشعر حتى بالمرارة لأجل ما حدث.


٣٦

كانت الزنـزانة حديثة البناء. الطلاء الرمادي الذي يُستخدم للسفن الحـربية يكسو القضبان والأبواب، وفيه عدة خدوش من قطع التبـغ المعلوكة التي تُبصق عليه. المصباح ملاصق للسقف تحت لوحة زجاجية مبرغلة.

في الزنزانة سريران ملاصقان للحائط، في السرير الأعلى سجين يشخر وقد لفّ نفسه بحرام رمادي داكن. لقد نام باكراً كما يبدو فلم تتصاعد منه رائحة الشراب: ولأنه اختار السرير العلوي قلت في نفسي أنه نزيل قديم.

جلست على حافـة السريـر أفكر في وضعي. لقد فتشوني لكي يتأكدوا انني لا أحمل سلاحاً، ولم يأخذوا ما أحمله في جيوبي. تناولت سيجارة وفركت الورم خلف ركبتي، وكان الألم يمتد حتى الكاحل. الشراب الذي تناثر على سترتي صارت له رائحة منفّرة، رفعت القمـاش بيـدي ونفخت الدخان فيه، فتصاعد الدخان في الغرفة ووصل إلى المصباح المضاء في السقف. كان السجن هادئاً للغاية. علا صراخ امرأة في قسم آخر من السجن.

صراخها بدا نحيلاً وحاداً وغير حقيقي كأنه صراخ الذئاب في

ضوء القمر وان خلا من نبرة العويل البارزة في أصواتها. وبعد فترة ساد الصمت.

دخّنت سيجارتين على التوالي ورميت عقبيهما في المرحاض الصغير عند الزاوية. كان الرجل الآخر لايزال يشخر. لا يظهر منه سوى خصلات شعره الوسخ التي تبدو عند حافة الحزام. كان ينام بعمق على بطنه، إنه أفضل نائم رأيته.

جلست على حافة السرير ثانية. كان مصنوعاً من لوحات معدنية مسطحة وعليها فراش قاس، وعند حافة السرير بطانيتان رماديتان مطويتان بعناية وترتيب. إنه سجن لطيف بالفعل، ويقع في الطابق الثاني عشر من مبنى البلدية الجديد والجميل. مدينة باي جميلة أيضاً والناس الذين يعيشون فيها مقتنعون بذلك. لو كنت أعيش هنا كنت سأفكر مثلهم على الأرجح. سوف أرى الخليج الأزرق الجميل والمنحدرات ومرفأ اليخوت والشوارع الهادئة والبيوت العتيقة القابعة في سكينة تحت الأشجار العتيقة، والبيوت الجديدة التي تحيط بها المروج الخضراء والأسلاك المعدنية والشجيرات التي تزين الشوارع العريضة أمامها. كنت أعرف فتاة تسكن في الشارع الخامس والعشرين. كان شارعاً جميلاً. وكانت الفتاة جميلة. وكانت تحب مدينة باي.

لم تكن تفكّر بالأحياء الفقيرة التي يسكن فيها المكسيكيون والسود في مبانٍ قذرة تنتشر على طرقات الضاحية الجنوبية الضيّقة. ولا بالحانات السيئة السمعة التي تمتد على طول الشاطىء إلى الجنوب من المنحدرات الصخرية، وقاعات الرقص الصغيرة على التلال، والملاهي الوضيعة حيث يدخنون الماريجوانا، والمحتالين

الذين يتربصون ضحاياهم في قاعات الفنادق الهادئة جداً حيث يجلس واحدهم وبيده صحيفة يبرز وجهه النحيل من فوق صفحاتها. ولم تكن تلك الفتاة تفكر بالنشالين ولا بالذين يكسبون المال بوسائل غير مشروعة، ولا بالمخادعين ولا بالسكارى ولا بالقوّادين وبالمومسات اللواتي تعجّ بهن الطريق البحرية.

نظرت إلى ساعتي. إنها التاسعة وأربع وخمسون دقيقة. وقت العودة إلى البيت، لانتعال الخفّ المريح ولعب الشطرنج. وقت تناول كوب كبير من الشراب البارد والاستمتاع بتدخين غليون هادىء. وقت يفضل فيه الإنسان ان يرفع رجليه ولا يفكّر في شيء. وقت لقراءة صحيفة، وقت يمارس فيه الإنسان حقّه في ان يكون إنساناً، وصاحب بيت، ورجلاً ليس لديه ما يشغله سوى ان يرتاح ويتمتع بنسيم الليل ليستعيد صفاء ذهنه للغد.

أخذ يقترب مني رجل يرتدي زي موظفي السجن وهو يقرأ الأرقام على الزنزانات المجاورة. توقف أمام زنزانتي وفتح الباب وحدّق فيّ بقسوة كما يفعل أمثاله عادة وهم يفكرون انهم سيرتدون هذه البذلة دائماً وأبداً. تلك النظرة التي تقول لك: إنتبه يا عزيزي أنا شرطي وشرس، فكن حذراً وإلّا سأعرف كيف أتدبر أمرك وأجعلك تمشي على يديك وركبتيك. فالأفضل لك ان تقول الحقيقة مباشرة وألّا تنسى انك بين أيدٍ لا تعرف الرحمة، وان رجال الشرطة يفعلون ما يشاؤون بالمستهترين أمثالك.

قال لي: أخرج.

خرجت من الزنزانة فأقفل الباب ورائي وأشار لي بإصبعه لأسير بجانبه. مشينا حتى وصلنا إلى بوابة معدنية كبيرة فتحها ثم أغلقها

بعـد مرورنـا، فراحت المفاتيح ترنّ وهي تضرب بالحلقة المعدنية الكبيرة. بعد ذلك وصلنا إلى باب آخر عليه طلاء بلون الخشب من الخـارج وطلاء رمـادي كطلاء السفن الحربية من الداخل. كان دغارمو واقفاً هناك قرب الطاولة يتحدث إلى الرقيب المسؤول.

إلتفت نحوي بعينيه الرماديتين المعدنيتين، وقال: كيف حالك؟

ـ جيد .

ـ هل أعجبك سجننا؟

ـ جيد .

ـ النقيب ويبر يريد التحدث إليك .

ـ هذا جيد .

ـ ألا تعرف كلمة أخرى غير كلمة جيد؟

ـ لا أعرف غيرها في هذا الوقت وفي هذا المكان .

ـ أنت تعرج قليلاً هل تعثرت بشيء؟

ـ أجل تعثّرت بهراوة. والهراوة قفزت وضربت ركبتي اليسرى من الخلف .

ـ هـذا سيء جداً. قال ذلك وعينـاه خاليتـان من أي تعبـير، وأضاف: خذ أغراضك من عند الكاتب .

قلت له: كل أغراضي معي، لم يأخذوا مني شيئاً.

ـ حسناً، هذا جيد .

ـ إنه جيد فعلاً .

رفع الرقيب رأسه الذي يعلوه شعر أشعث ونظر إلينا مطوّلاً ثم

قال: يجب ان تشاهدا أنف كوني الصغير إذا كنتما تريدان رؤية شيء «جيد»، إنه منبسط على وجهه وكأنه شراب يغطي قطعة حلوى.

قال دغارمو بدون تركيز: ما الذي حدث له؟ هل تعارك مع أحد؟

قال الرقيب: لا أعرف، ربما حصل له ذلك بسبب الهراوة نفسها التي قفزت وضربت هذا الموقوف.

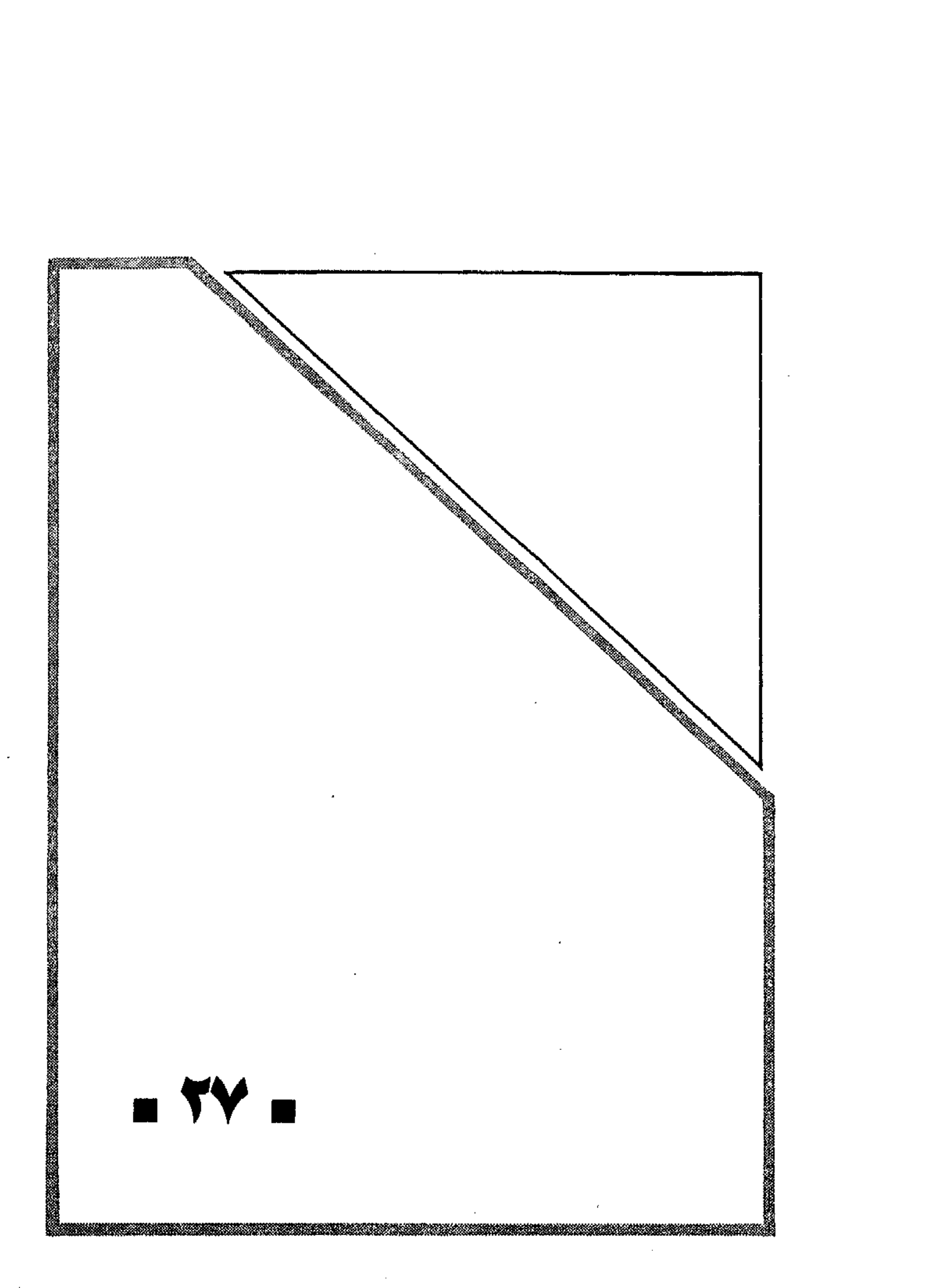
- أنت تتكلم كثيراً وعملك لا يتطلب ذلك.

قال الرقيب: انني لا أتوقف عن الكلام، ربما من أجل ذلك لا أشغل منصب ملازم في قسم الجنايات.

قال لي دغارمو: أترى كيف نتعامل هنا، نحن نشكل عائلة كبيرة متماسكة وسعيدة.

قال الرقيب: وجوهنا مبتسمة وأيدينا ممتدة للترحيب. وكل منا يحمل حجراً في يده.

هزّ دغارمو رأسه وخرجنا من تلك الغرفة.



■ ٢٧ ■

رفع النقيب ويبر رأسه وقد برز فيه أنفه الحادّ وقال لي: إجلس.

جلست في مقعد خشبي له ظهر مستدير ومددت رجلي اليسرى بعيداً عن حافة المقعد القاسية. الغرفة فسيحة ونظيفة. جلس دغارمو عند زاوية الطاولة وأخذ يحكّ كاحل قدمه وهو يفكر وينظر من النافذة.

تابع ويبر يقول: أنت الذي سعيت للمتاعب وقد حصلت عليها. كنت تقود سيارتك بسرعة خمسة وخمسين ميلاً في الساعة في منطقة مأهولة وحاولت الهرب من سيارة الشرطة التي تنبهت لوجودها من النفير الخاص والضوء الأحمر الكاشف، وكنت بذيئاً بعد توقفك وضربت شرطياً على وجهه.

لم أقل شيئاً. تناول ويبر عود ثقاب عن الطاولة وكسره من وسطه ورمى بقسميْه خلف مقعده.

سألني: أم انهما يكذبان كما جرت العادة؟

ـ لم أطّلع على تقريرهما. ربما كنت أقود بسرعة خمسة وخمسين ميلاً في منطقة سكنية، أو داخل حدود المدينة. كانت سيارة الشرطة متوقّفة خارج بيت كنت أزوره. وقد تبعتني حين

انطلقت بسيارتي ولم أكن أعرف في ذلك الوقت انها للشرطة. لم يكن لديها مبرر لملاحقتي، ولم أكن مرتاحاً للأمر. لذلك قدت سيارتي بسرعة لأنني كنت أحاول الوصول إلى شوارع أفضل إنارة داخل المدينة .

إلتفت دغارمو نحوي محدّقاً دون ان تحمل نظرته معنى واضحاً وشدّ ويبر على أسنانه متضايقاً وقال: حين عرفت انها سيارة للشرطة إستدرت بسيارتك وسط الطريق وحاولت الهرب ثانية، هل هذا صحيح؟

قلت: أجل. يبدو انه من الأفضل ان نتحدث بصراحة أكثر لشرح الموقف.

- أنا لا أخاف من الحديث الصريح، حتى انني صرت أميل إلى التخصص في مجال الأحاديث الصريحة .

قلت: الشرطيان اللذان لحقا بي كانا متوقفين ينتظرانني خارج البيت الذي تسكن فيه زوجة جورج تالي. كانا هناك قبل وصولي. وجورج تالي هو مفتش خاص يعمل في هذه المدينة. أردت رؤيته ودغارمو يعرف سبب رغبتي هذه.

تناول دغارمو عود ثقاب من جيبه وأخذ يعضّ على طرفه بهدوء. أحنى رأسه بدون انفعال ظاهر، ولم ينظر إليه ويبر.

قلت: أنت رجل غبي يا دغارمو. كل ما تفعله غبي، وتقوم به بأسلوب غبي. حين قصدتني البارحة وأنا واقف أمام بيت الدكتور ألمور كنت عنيفاً معي والموقف لم يكن يستدعي العنف. أنت أثرت فضولي في الوقت الذي لم أكن فيه منتبهاً لأي شيء. لقد نطقت بكلمات جعلتني أبحث عن طريقة لإرضاء فضولي هذا. لم يكن عليك

لكي تحمي صديقك سوى ان تلزم الصمت، وتنتظر حتى أقوم بالخطوة الأولى. وبما انني لم أكن أنوي ان أفعل ذلك، كنت وفّرت علينا جميعاً كل هذه المتاعب.

قال ويبر: وما دخل هذا بإلقاء القبض عليك في شارع ويست مور عند مجموعة البيوت ذات الرقم ألف ومئتين؟

قلت له: هذا له علاقة بقضية ألمور. لأن جورج تالي كان يتحرى حول هذه القضية حين أوقفه رجال الشرطة بتهمة قيادة السيارة في حالة السكر.

قال ويبر: لم أكن مسؤولاً عن التحقيق في قضية ألمور، ولا أعرف أيضاً من الذي طعن يوليوس قيصر الطعنة الأولى! ألا تستطيع ان تركّز في كلامك حول قضية محدّدة؟

- إنني أركّز حول مسألة واحدة. دغارمو يعرف تفاصيل قضية ألمور ولايترك لأحد المجال للخوض فيها. ولقد لاحظت ان الشرطيين اللذين كانا يلاحقانني يعرفان هذه الحقيقة عنه. كوني ودوبز لم يكن عندهما أي مبرر لملاحقتي إلّا لأنني كنت أزور زوجة رجل كان يحقق في ملابسات قضية ألمور. لم أكن أقود سيارتي بسرعة خمسة وخمسين ميلاً منذ البداية. كنت أرغب في الإفلات منهما لأنني كنت متأكداً انني سأنال جزائي من أجل تلك الزيارة. دغارمو هو الذي أوحى لي بتلك الفكرة .

نظر ويبر بسرعة إلى دغارمو. إلتفت دغارمو وأخذ يتأمل الحائط أمامه.

قلت: وأنا لم أضرب كوني على أنفه إلّا بعدما أجبرني على تناول

الشراب المسكر، ثم ضربني على معدتي كي أبصق ما تجرّعته على سترتي وتفوح مني رائحته المميّزة. ليست هذه بالتأكيد المرة الأولى التي تسمع فيها عن خدعة كهذه أيها النقيب.

كسر ويبر عود ثقاب آخر، وأسند ظهره وهو يتأمل يديه، ثم نظر إلى دغارمو وقال:

ـ إذا استطعت الحصول على ترقية، لا تنس ان تقول لي!

ـ «قال دغارمو: اللعنة، لم ينل هذا المفتش سوى ضربتين وكان ذلك بدافع المزاح. إذا كان الشخص لا يتقبل مزحة...

ـ قال ويبر: هل أنت كلّفت كوني ودوبز القيام بتلك المهمة؟.

ـ حسناً، أجل. لقد كلفتهما بذلك، ولا أعرف لماذا علينا ان نتحمل وجود هؤلاء المتطفلين. الذين يأتون إلى بلدتنا ويبدأون بإثارة المتاعب فقط لكي يجد الواحد منهم عملاً ويُقنع أحد الأغبياء بأن يدفع له أجراً كبيراً مقابل ذلك. أمثال هؤلاء يجب ان نلقّنهم درساً لا يُنسى.

ـ قال ويبر: أهكذا تفهم ما حدث؟

ـ ردّ دغارمو: أجل انني أفهمه على هذا النحو تماماً.

ـ انني أتساءل ما الذي يحتاج إليه شخص مثلك. الآن أعتقد انك تحتاج إلى الهواء الطلق. هل تتفضل أيها الملازم وتتمشى قليلاً في الهواء الطلق؟

فتح دغارمو فمه ببطء وقال: تقصد انك تريدني ان أخرج من هذه الغرفة؟

انحنى ويبر إلى الأمام فجأة وبدا ذقنه الصغير البارز كأنه

يقطع الهواء مثل مقدمة سفينة، وقال: هل تسمح بذلك؟

وقف دغارمو ببطء وقد احمرّت وجنتاه ووضع يداً قاسية على الطاولة ونظر إلى ويبر. ساد صمت مشحون لفترة، ثم قال:

ـ حسناً أيها النقيب، لكنك مخطيء في هذه اللعبة .

لم يجبه ويبر، فمشى دغارمو نحو الباب ثم خرج. وانتظره ويبر حتى أغلق الباب قبل ان يقول لي:

ـ هل قادك تفكيرك إلى الربط بين قضية ألمور التي مضى عليها سنة ونصف وبين حادثة القتل هذه؟ أم انك تحاول فقط إثارة دخان للتمويه لأنك تعرف جيداً ان زوجة كينغسلي هي التي قتلت لايفري؟

ـ كانت لتلك القضية علاقة بلايفري قبل مقتله، علاقة تبدو غير متينة وموجودة في نقطة واحدة، لكنها تكفي لكي تشغل التفكير .

ـ قال ويبر ببرود : لقد خضت في هذه المسألة أكثر مما يتبادر إلى ذهنك. مع انني لم تكن لي علاقة بقضية وفاة زوجة ألمور، ولم أكن في ذلك الحين المسؤول عن المفتشين. أنت تقول انك لم تعرف ألمور قبل صباح البارحة لكن يبدو انك سمعت الكثير عنه منذ ذلك الوقت؟!

أخبرته بدقة ما سمعته من الآنسة فرومسيت ومن السيد والسيدة غرايسون.

ـ هل حاول لايفري في تصوّرك ابتزاز الدكتور ألمور؟ وهل تعتقد ان لذلك علاقة بالجريمة؟

ـ ليس هذا تصوّراً إنه مجرد احتمال. ان الرابط بين لايفري

وبين ألمور قد يكون عميقاً وخطيراً، وقد يكون مجرّد تعارف سطحي، أو حتى قد لا يكـون موجـوداً. حسب معلوماتي ربما لم يتبادل الرجلان أي حديث بينهما. لكن لنفترض انه ليس في قضية ألمور ما يثـير الريبــة، ما هو مبرّر الرد العنيف على كل شخص يبدي اهتماماً بها؟

قد يكون بفعل الصدفة ان يُلقى القبض على جورج تالي بتهمة قيادة السيارة في حالة السكر في الوقت الذي كان فيه يعمل في هذه القضية. وقد يكون صدفة أيضاً ان يتصل ألمور بالشرطة لأنني وقفت أتأمل بيته، وان لايفري قتل قبل ان أتمكن من التحدث إليه للمرة الثانية. لكن ليس صدفة ان يقوم اثنان من رجالك بمراقبة بيت تالي تلك الليلة، وهما مستعدان ومصمّمان على إلحاق الأذى بي إذا اقتربت منه.

- هذا صحيح، وأنا لم أقل كلمتي بعد بالنسبة لما حدث. هل تريد توجيه تهمة لهما؟

- الحياة قصيرة جداً وليس عندي وقت لأوجه التهم ضد رجال الشرطة الذين يستحقون ذلك .

جفل قليـلاً ثم قال: سنـدع كل هذا جانباً إذاً ونقبل بحكم التجربة. وكما علمت انت غير موقوف وتستطيع ان تذهب إلى بيتك متى تشاء. ولو كنت مكانك سأترك للنقيب ويبر الاهتمام بقضية لايفري وبأي رابط يظهر بينها وبين قضية ألمور.

- وبأي رابط بينها وبين قضية موريال تشيس التي وجدت غريقة في بحيرة جبلية قرب بحيرة بوما البارحة؟

رفع حاجباه قليلاً وسألني: هل تظن ذلك؟

ـ لعلّك لا تعرفها باسم موريال تشيس. قد تكون سمعت عنها فهي تدعى ملدريد هافيلاند، وهي التي كانت ممرضة في عيادة الدكتور ألمور. هي التي مدّدت السيدة ألمور على سريرها ليلة العثور عليها ميتة في المرآب، والتي لو تبين ان في القضية تلاعباً قد تكون عرفته ونالت رشوة للتكتم عليه وان أحدهم هدّدها فغادرت البلدة بعد الحادثة بفترة قصيرة .

تناول ويبر عودين من الثقاب وكسرهما. عيناه السوداوان الصغيرتان حدّقتا في وجهي لكنه لم يقل شيئاً.

قلت: وفي هذه المرحلة نصل إلى أول صدفة حقيقية حصلت. وهي الصدفة الوحيدة التي أعترف بوجودها في سياق الأحداث. ملدريد هافيلاند قابلت رجلاً يدعى بيل تشيس في ملهى في ريفر سايد ولأسباب لا أحد يعرفها سواها تزوجته وذهبت لتعيش معه في كوخ يقع قرب بحيرة فون الصغيرة. وكان بيل مسؤولاً عن مساحة من الأرض يقع عليها كوخ خشبي يخص رجلاً كانت لزوجته علاقة حميمة بالمدعو لايفري، الذي وجد جثة السيدة ألمور. هذه صدفة فعلاً. ولا يمكن ان تكون شيئاً آخر؛ لكنها وقائع أساسية وفي غاية الأهمية، وكل الأحداث الأخرى تبدو مرتبطة بها.

نهض ويبر عن كرسيه وتوجه نحو براد الماء وشرب كوبيْن من الماء البارد. ضغط على الكوب المصنوع من الورق بيده وجعله على شكل كرة ثم ألقى به في سلّة معدنية بنية اللون وضعت تحت البراد. مشى نحو النافذة ووقف ينظر إلى الخليج. كان الليل يغمر المكان وبضعة أضواء تنير مرفأ اليخوت.

عاد ببطء إلى مكتبه وجلس. رفع يده وحكّ انفه كأنه يحاول ان يتخذ قراراً في مسألة ما.

قال ببطء: لا أجد مبرراً منطقياً للمزج بين ما حدث البارحة وبين شيء حدث منذ سنة ونصف .

ـ كما تشاء، وشكراً لأنك أعطيتني هذا القدر من وقتك .

وقفت لأذهب فسألني وأنا أنحني لأفرك ركبتي: هل تؤلمك كثيراً؟

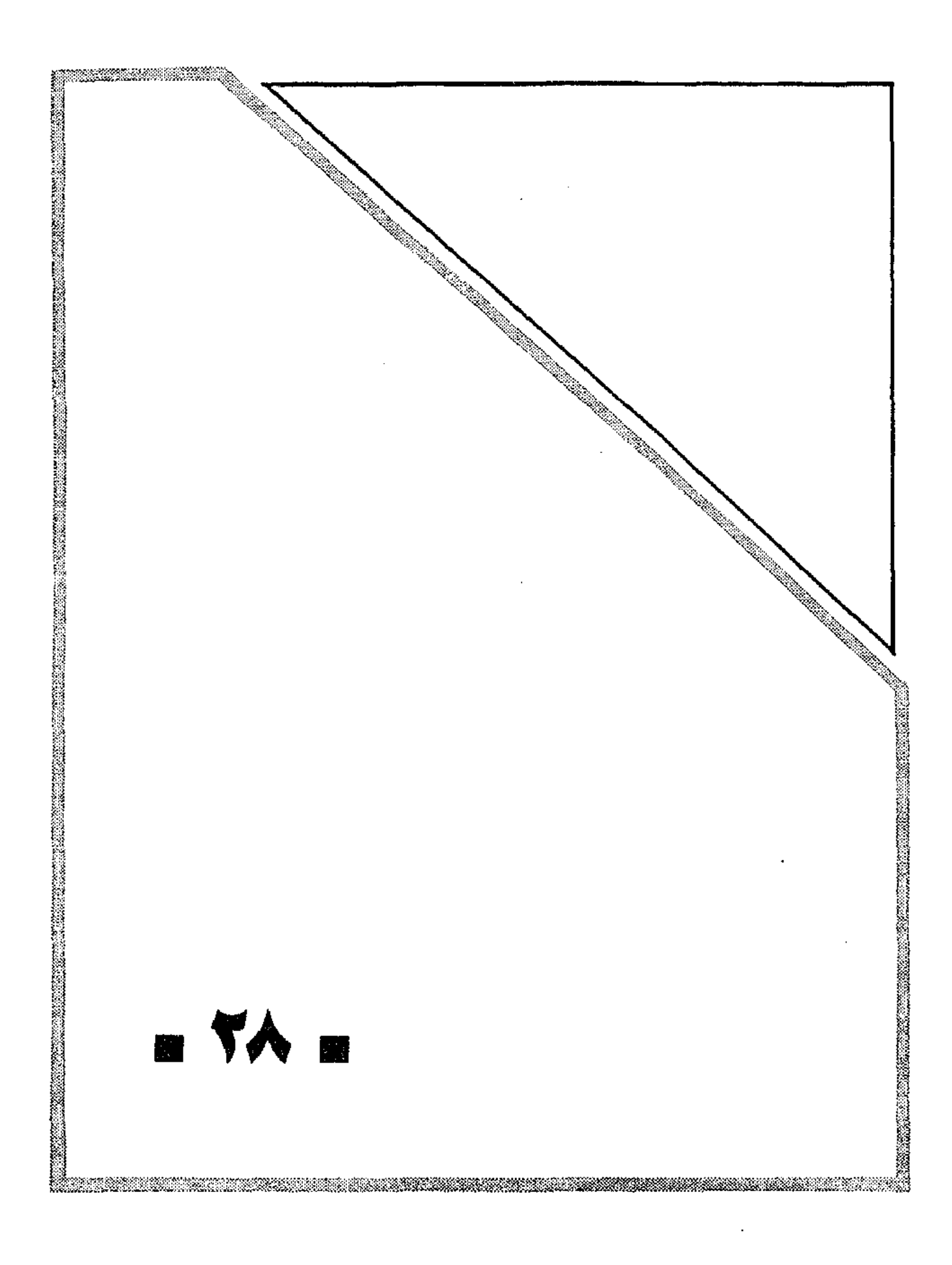
ـ أجل، لكنها تتحسن .

قال بصوت لطيف: هذه مشكلة العمل في الشرطة. انه يشبه العمل في ميدان السياسة إلى حد بعيد. فهو يتطلب أفضل أنواع الرجال، وليس فيه ما يجذب أفضل أنواع الرجال. لذلك يجب علينا ان نقبل بمن لدينا ـ ولدينا أشخاص كالذين تعرفهم.

ـ أعرف ذلك منذ فترة طويلة. وهذا لا يضايقني ليلة سعيدة أيها النقيب ويبر .

ـ انتظر قليلاً. إجلس. إذا افترضنا ان لقضية ألمور علاقة بما حدث سنحاول ان نطّلع عليها ونحدّد جميع تفاصيلها الآن .

ـ حان الوقت لكي يقوم مسؤول بهذه الخطوة. وجلست مرة ثانية .


٣٨

قال ويبر بهدوء: أعرف ان بعض الناس يعتقدون اننا مجموعة من المحتالين. إنهم يتصوّرون ان رجلاً يقتل امرأته ثم يتصل بي ويقول: مرحباً أيها الشرطي، عندي جثة مكوّمة في الغرفة وهناك خمسمئة عامل في المنجم متعطلين عن عملهم بسببي، فأقول له: حسناً، سأحضر حالاً ومعي بطانية!

قلت له: ليس الأمر سيئاً إلى هذا الحد.

ـ ماذا كنت تريد من تالي حين قصدت بيته الليلة؟.

ـ تالي وضع يده على بداية خيط يكشف خفايا مقتل فلورنس ألمور. والداها وكّلاه بمتابعة التحقيق في هذا الاتجاه، لكنه لم يخبرهما شيئاً عما يدور في فكره .

قال ويبر هازئاً: وأنت تصوّرت انه سيقول لك؟

ـ كل ما أستطيعه هو المحاولة .

ـ أم ان قسوة دغارمو بالتصّرف معك جعلتك تشعر بالرغبة في توجيه ضربة قاسية له؟

ـ لم يكن الأمر يخلو من ذلك أيضاً .

ـ تالي كان مبتزاً حقيراً. قال ويبر ذلك بازدراء وتابع: وهذا ما حدث في أكثر من مناسبة. التخلص منه كان عملاً جيداً في جميع الأحوال. سأقول لك ماذا كان عنده، كان عنده خفّ سرقه من قدمي فلورنس ألمور .

ـ خفّ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة وقال: أجل، عثرنا عليه في بيته. إنه خفّ من المخمل الأخضر كأنه حذاء للرقص وتزين كعبه الخفيض أحجار صغيرة ملوّنة. وهو مصنوع في هوليوود عند شخص متخصص في صناعة الأحذية للممثلين وغيرهم. والآن، إسألني ماذا يلفت الانتباه في هذا الخف؟

ـ ما الذي يلفت الانتباه فيه أيها النقيب؟

ـ كان عندها زوجان منه، متشابهان تماماً، وقد طلبتهما معاً، ويظهر ان هذا الطلب لم يكن غريباً، لأن أحد الخفين قد يبلى أو قد يدوس رجل سكران على قدم السيدة مرة .

توقف قليلاً وابتسم ثم أضاف: والخفّ الثاني لايزال جديداً.

ـ أعتقد انني بدأت أفهم قصدك .

أسند ظهره وأخذ يضرب بأصابعه على ذراعي الكرسي وأنتظر.

قلت له: الممر الذي يصل بين الباب الجانبي للبيت وبين المرآب مكسو بالإسمنت الخشن، اسمنت خشن جداً. سنفترض انها لم تقطعه مشياً على قدميها بل كانت محمولة، وسنفترض أيضاً ان الذي حملها من غرفتها وضع في قدميها خفّاً ـ الخف الذي لم تستخدمه بعد.

ـ أجل؟

ـ ولنفترض ان تالي لاحظ ذلك حين كان لايفري يحاول الإتصال هاتفياً بالدكتور الذي كان يقوم بإحدى جولاته. فأسرع تالي ونزع الخفّ الجديد ليحتفظ به كدليل ان فلورنس ألمور ماتت مقتولة .

أحنى ويبر رأسه وقال: كان هذا الخف دليلاً لو انه تركه في قدمي القتيلة لكي تعثر الشرطة عليه. لكنه حين أخذ الخف صار هذا دليلاً على قذارته فقط.

ـ هل أجري لها فحص للدخان الخانق؟

وضع يديه على طاولته ونظر إليهما وقال: أجل، ووجدوا آثاره في دمها. جميع رجال الشرطة الذين شاركوا في التحقيق كانوا مرتاحين لنتائج الفحص. لم يكن على الجثة أي أثر للعنف. إرتاحوا لأن الدكتور ألمور لم يكن متهماً بقتل زوجته. ربما أخطأوا في ظنّهم هذا، وأنا أعتقد ان التحقيق كان سطحياً إلى حد ما.

ـ ومن كان المسؤول عنه؟

ـ أعتقد انك تعرف الإجابة على هذا السؤال .

ـ عندما وصل رجال الشرطة إلى البيت هل لاحظوا اختفاء الخفّ؟

ـ حين وصل رجال الشرطة لم يكن هناك خفّ مفقود. يجب ان تتذكر ان الدكتور ألمور كان قد عاد إلى بيته بعد إتصال لايفري به، وقبل الإتصال بالشرطة. نحن لا نعرف شيئاً عن الخفّ المفقود إلاّ من تالي نفسه. وقد يكون تالي أخذ الخفّ الجديد من البيت، لأن الباب الخلفي كان مفتوحاً. والخدم كانوا نائمين. لكن هذا الإحتمال صعب لأنه لا يعرف بوجود خفّ جديد لكي يأخذه. وأنا لا أستبعد

ان يكـون قد فكر في الأمر، فهو ملعون وحادّ الذكاء. ومع ذلك لا أستطيع ان أؤكد معرفته بذلك .

جلسنا ينظر الواحد منا إلى الآخر ويفكر في هذه المسألة.

قال ويبر ببطء: إلّا إذا افترضنا ان ممرضة ألمور كانت متفقة مع تالي لتنفيذ خطة للإيقاع بألمور. وهذا ممكن. لدينا ما يعزّز وجهة النظر هذه. ولدينا أيضاً إثباتات أكثر لاستبعادها. ما الذي جعلك تعتقد ان الفتاة التي غرقت في البحيرة هي الممرضة؟

- عندي سببان يبرران هذا الاستنتاج، إذا تناولنا كل واحد منهما على حدة لن نجده مقنعاً، لكنهما مقنعـان معاً. لقـد زار المنطقة الجبلية منذ عدة أسابيع رجل يشبه دغارمو ويتصّرف مثله، وكان يحمل صورة لملدريد هافيلاند تبدو فيها وهي تشبه موريال تشيس. الشعر مختلف والحاجبان أيضاً، ولكن الشبه واضح بينهما. لم يساعده أحد في الوصول إليها. كان يطلق على نفسه اسم دوسوتو وادعـى انـه شرطي من لوس انجلوس. لا يوجـد في شرطة لوس انجلوس شخص يدعى دوسـوتـو. حين سمعت موريـال تشيس باسمـه ارتبكت وخـافت. لو يتبـين انه دغارمو لكانت ردة فعلها مفهومة. والسبب الآخر هو العثور على سلسلة ذهبية وقلب صغير، مخبـأين في علبـة السكر في كوخ تشيس. تمّ العثور عليهما بعد وفـاتها، وبعد إلقاء القبض على زوجها. والقلب عليه نقش يقول: «من آل إلى ملدريد ١٨ حزيران/يونيو مع حبي».

قال ويبر: قد يكون شخص آخر يدعى آل، وامرأة أخرى تدعى ملدريد.

- أنت بالتأكيد لا تعتقد ذلك أيها النقيب .

إنحنى إلى الأمام ورسم دائرة في الفراغ وقال: ما الذي تريد الوصول إليه من كل هذه الأمور بالتحديد؟

- أريد اثبات ان زوجة كينغسلي لم تقتل لايفري، وان مقتله له علاقة بقضية ألمور، وبما حدث للدريد هافيلاند، وربما له علاقة بالدكتور ألمور أيضاً. أريد ان اثبت ان زوجة كينغسلي اختفت عن الأنظار لأنها خافت من حدث معين، ربما كانت لديها معلومات عنه، وربمـا لم تكن، لكنها لم تقتل أحداً. إذا نجحت في مهمتي هذه سأنال خمسمئة دولار والمحاولة مشروعة .

أحنى رأسه وقال: بكل تأكيد، وأنا سأحاول مساعدتك لو تبين لي وجود مبرر مقنع، لم نعثر على السيدة كينغسلي بعد ولم يمض وقت طويل على بدء التحريات. لكنني في الوقت نفسه لن أساعدك في توجيه تهمة إلى أحد رجالي.

- سمعتك تدعو دغارمو باسم آل. وأنا فكّرت ان آل هو الدكتور ألمور، لأن اسمه الأول ألبرت .

نظر ويبر إلى إبهامه وقال بهدوء: لكن الدكتور لم يتزوج الفتاة، دغـارمو هو الذي تزوجها.. وكانت شديدة التأثير عليه، حتى ان معظم سلوكه السيء يعود إلى هذا التأثير.

جلست بهدوء وبعد قليل قلت: بدأت أرى أموراً لم أكن أعرف انها موجودة. كيف كانت هذه الفتاة؟

- ذكية وهادئة وغير متزنة. تعرف كيف تجمع الرجال من حولها. تستـطيـع ان تجعلهم يزحفون أمامها. وهذا الضخم المعتوه قد يحطّم لك رأسك لو قلت شيئاً يسيء إليها. طلبت منه الطلاق، ومع ذلك ظل مولعاً بها .

ـ هل يعرف انها ماتت؟

لزم ويبر الصمت فترة قبل ان يقول: كلامه لا يدل على انه يعرف ذلك. لكنه سيعرف بالتأكيد طالما انها هي القتيلة.

وقفت وانحنيت قليلاً فوق الطاولة وقلت: إنه لم يعثر عليها في الجبل على حد علمنا. قل لي أيها النقيب، أرجو ألا تكون تريد خداعي فيما أفضيته لي.

لا، على الإطلاق. لكن إذا كنت تعتقد ان دغارمو قصد المنطقة الجبلية ليبحث عنها لأنه ينوي إيذاءها، يجب ان تتخلى عن هذه الفكرة.

ـ لم أفكّر في ذلك، مع ان الاحتمال وارد إذا كان دغارمو يعرف المنطقة جيداً. فالذي قتل الفتاة كان بالتأكيد يعرف المنطقة .

ـ أرجو ان يظل هذا الحديث بيننا، فأنا أريد ان يبقى هكذا .

أحنيت رأسي لكنني لم أعده بشيء. تمنيت له ليلة طيبة ومشيت نحو الباب. أخذ يتأملني وأنا أخرج من الغرفة وبدا منزعجاً وكئيباً.

* * *

كانت سيارة الكرايزلر في الموقف المخصص لسيارات الشرطة بمحاذاة المبنى. المفتاح وُضع في مكانه ولم أجد فيها شيئاً محطماً. لم ينفّذ كوني تهديده. عدت إلى هوليوود وصعدت إلى شقتي في مبنى البريستول. كان الوقت متأخراً، منتصف الليل تقريباً.

الممر المطلي بالأخضر والعاجي كان خالياً من أي صوت سوى من رنين متواصل لجرس التلفون. وازداد الصوت وضوحاً حيث

اقتربت من باب شقتي. فتحت الباب، وعرفت ان التلفون عندي هو الذي يرنّ.

مشيت في الغـرفة المظلمة إلى موضعه على رفّ فوق طاولة من خشب السنديان قرب الحائط، ورفعت السماعة فوجدت ان الذي يطلبني هو ديراس كينغسلي.

بدا صوتـه مشـدوداً ومتوتراً، قال: يا إلهي! أين كنت؟ إنني أحاول الاتصال بك منذ عدة ساعات.

قلت: حسناً، وها أنذا، ما الأمر؟

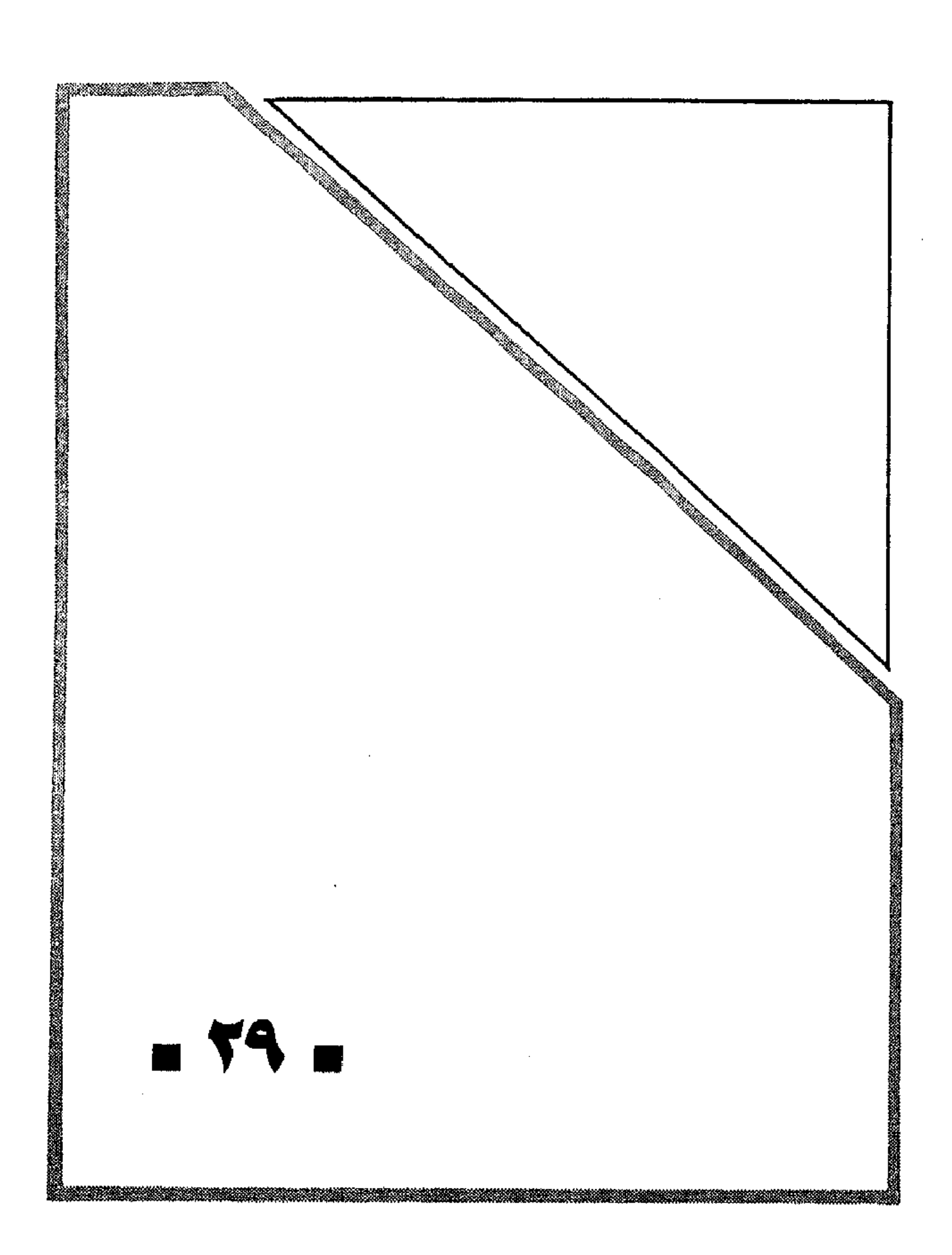
ـ لقد إتصلَتْ بي .

ضغـطت على السمــاعة وتنشقت الهواء ثم زفرته ببطء وقلت: أكمِلْ حديثك.

ـ لست بعيـداً عن بيتك، سأصل لعندك بعد خمس أو ست دقائق. كن جاهزاً للتحرك .

وأقفل الخط.

وقفت والسماعة في يدي في منتصف المسافة بين أذني والجهاز، ثم وضعتها ببطء شديد ونظرت إلى اليد التي كانت تحملها. كانت نصف مفتوحة ومتصلبة كما لو انها لاتزال تمسك بالسماعة.


٣٩

طرقات خجولة على الباب، توجهت إليه وفتحته. كان كينغسلي ضخماً كالحصان في سترته الرياضية ذات اللون الأصفر الشاحب، وقد أحاط عنقه بلفاح أصفر وأخضر وبدت من فوقه قبة قميصه. على رأسه قبعة حمراء قاتمة تغطي جبينه، وعيناه مثل عينيْ حيوان مريض.

الآنسة فرومسيت كانت برفقته. كانت ترتدي بنطلوناً وسترة بلون أخضر قاتم وتنتعل صندلاً، ولم تكن تضع قبعة وكان في شعرها لمعان في غاية الروعة. تدلَّى من أذنيها حلق على شكل زهرتيْ غاردينيا الواحدة منهما أعلى من الأخرى. وحين دخلت فاحت في الغرفة رائحة عطر جيلرلاين ريغال، شمبانيا العطور.

أغلقت الباب وأنا أشير إليهما بالجلوس، وقلت: سأحضر قليلاً من الشراب المنعش.

جلست الآنسة فرومسيت ووضعت رجلاً فوق رجل وأخذت تنظر من حولها تبحث عن سيجارة، وحين وجدت سيجارة أشعلتها بتأنّق مطوّل وارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وهي تنظر إلى زاوية في السقف.

وقف كينغسلي وسط الغرفة متضايقاً، تركتهما لأحضر الشراب، وعدت بعد قليل بالكؤوس الثلاثة. جلست قرب طاولة الشطرنج لأسمع كينغسلي يقول: ماذا كنت تفعل، وما بها رجلك؟

- هذه رفسة شرطي. إنها هدية من شرطة مدينة باي. هذه إحدى الخدمات التي يقدمونها هنا. أما أين كنت، فلقد كنت في السجن لقيادة سيارة في حالة السكر. والملامح التي أراها على وجهك تجعلني أعتقد انني سأعود إليه قريباً.

قال باختصار: لا أعرف ماذا تقصد. لم أفهم شيئاً. ليس هذا وقت للمزاح.

- حسناً، لا تمزح. ماذا عرفت وأين هي؟

جلس والكأس في يده وحرّك أصابع يده اليمنى قليلاً ثم مدّها إلى جيب سترته وتناول مغلّفاً كبيراً.

قال: يجب ان تعطيها هذا المغلف، فيه خمسمئة دولار. لقد طلبت أكثر من هذا المبلغ لكنني لم أتمكن من الحصول نقداً على أكثر من خمسمئة دولار استطعت تحصيلها مقابل شيك دفعته في أحد الملاهي الليلية، ولم أتمكن من إقناعهم بسهولة للقبول بالشيك. انها بحاجة ماسة للمال لمغادرة المدينة.

- أية مدينة؟

- مدينة باي. ولا أعرف عنوانها فيها. ستقابلك في حانة الطاووس في جادة أرجلّو في المنطقة الثامنة، أو بالقرب من هذا المكان.

نظرت إلى الآنسة فرومسيت. لاتزال تتأمل زاوية في السقف كما لو انها جاءت لمرافقته فقط.

رمى كينغسلي المغلّف فوقع على طاولة الشطرنج. فتحته فرأيت الأوراق النقدية بداخله. هذا الجزء من قصته يبدو معقولاً. تركت المغلف على الطاولة الصغيرة المصقولة والتي تزينها المربعات البنية والذهبية، وقلت:

ـ ولماذا لم تحصل على المبلغ الذي تريده من حسابها الخاص؟ إذا قدمت شيكاً في فندق أو مطعم سيوافقون بالتأكيد على تسديد قيمته نقداً لها. معظم المحلات تقدّم هذه الخدمة للزبائن. هل حسابها المصرفي يعاني من أزمة صحية؟.

قال كينغسلي بانزعاج: كفّ عن هذه السخرية، انها واقعة في ورطة. مع انني لا أعرف كيف أدركت انها واقعة في ورطة. هل أذيع النبأ عبر جهاز الإرسال الذي يستخدمه رجال الشرطة؟

قلت له انني لا أعرف. لم يكن عندي وقت لأستمع لنداءات رجال الشرطة، لأنني كنت مشغولاً بالاستماع لهم مباشرة.

قال كينغسلي هي لا تريد المخاطرة بأن تعطي شيكاً مصرفياً لأحد الآن. كان ذلك ممكناً من قبل، وليس الآن.

رفع عينيه ببطء فرأيت فيهما فراغاً لم أشهد له مثيلاً من قبل.

قلت له: حسناً، دعنا لا نحاول ان نعطي معنى منطقياً لما ليس له معنى. ولنبدأ بأنها موجودة في مدينة باي. هل تكلمت معها؟

ـ لا، الآنسة فرومسيت تكلمت معها. هي اتصلت بمكتب الشركة بعد قليل من انتهاء الدوام، لكن النقيب ويبر كان عندي في

تلك الساعة، وبالطبع لم تحاول الآنسة فرومسيت ان تحوّل الخط إليّ، فطلبت منها ان تتصل ثانية لأنها رفضت إعطاءها أي رقم لنتصل نحن بها.

نظرت إلى الآنسة فرومسيت، فأخفضت عينيها عن السقف وصوّبتهما إلى نقطة أعلى من رأسي. لا انفعال في عينيها كأنهما نافذتان أسدلت ستائرهما.

تابع كينغسلي يقول: لم أكن أرغب في التحدث إليها، ولا هي كانت ترغب في التحدث إليّ. لا أريد ان أراها، وأعتقد انها هي التي قتلت لايفري. حتى ويبر يبدو متأكداً من ذلك.

- قول ويبر هذا قد لا يعني شيئاً، لأن ما يقوله يختلف في معظم الأحيان عما يفكر فيه. أنا لا يعجبني أنها عرفت ان رجال الشرطة يلاحقونها. لا أحد يدير جهاز الراديو عنده على الموجة القصيرة ويستمع لإتصالات رجال الشرطة. إذاً، لقد اتصلت بك مرة ثانية، ماذا حدث؟

قال كينغسلي: كانت الساعة حوالى السادسة والنصف. لم نغادر المكتب بانتظار تلك المكالمة. أخبريه بما حدث. والتفت نحو الفتاة.

قالت الآنسة فرومسيت: كنت في غرفة السيد كينغسلي وكان يجلس بقربي حين رفعت السماعة لأرد عليها، لكنه لم يتكلم معها. طلبت إرسال المال إليها في حانة الطاووس وتحديد هوية الشخص الذي سيحمل المال إليها.

- هل بدت خائفة؟

- على الإطلاق. كانت هادئة تماماً. وأستطيع ان أقول هادئة ببرود شديد. كانت قد فكرت في الأمر، فحسبت ان شخصاً لا تعرفه سيحمل المال إليها. يبدو انها تعرف طبع ديري... لن يقبل السيد كينغسلي بالقيام بهذه المهمة.

قلت لها: تستطيعين ان تناديه باسم ديري، فأنا سأحزر لوحدي من تقصدين؟

ابتسمت قليلاً وقالت: ستذهب إلى المقهى كل ساعة وبعد مضي ربع ساعة من الساعة المحددة لتلقي نظرة على الموجودين. لقد افترضْتُ انك أنت الذي ستذهب لملاقاتها لذلك فقد قدمت لها وصفاً عنك، وقلت لها انك ستضع لفاح ديري، وقد وصفته لها أيضاً. إنه يحتفظ ببعض الملابس في المكتب وهذا من بينها وهو مميّز جداً.

وافقت على هذا الترتيب، مع ان اللفاح فاقع اللون ويشبه حبات لوبياء خضراء كبيرة وضعت على صفار بيض. وحين أدخل الحانة واللفاح حول رقبتي سألفت الأنظار كما لو انني أدفع عربة حمراء وبيضاء وزرقاء وأدخل بها.

قلت: بالنسبة لعقلها الساذج تبدو تصرفاتها مقبولة.

قال كينغسلي بحدة: ليس هذا وقتاً للتهريج.

قلت له: سبق ونبهتني إلى ذلك من قبل. وأنت تبدو واثقاً تماماً من انني سأوافق على إيصال مبلغ من المال لزوجتك وأساعدها على الهرب وأنا أعرف ان رجال الشرطة يلاحقونها.

حرّك يده على ركبته وارتسمت على وجهه ابتسامة خففت من

حدة مزاجه وقال: أنا أوافق معك ان هذا غير مقبول، لكن ما رأيك أنت؟

ـ إنه يجعل منا نحن الثلاثة متسترين على مجرم ونحن نعرف انه مجرم. وهذه التهمة قد لا تكون قاسية جداً على الزوج وسكرتيرته وقد يتفهم المحققون موقفهما، لكن لا أحد يستطيع ان يقدر ما سيفعلون بي أنا .

ـ سأجعل تضحيتك هذه تستحق ما ستبذله. وإذا كانت زوجتي بريئة لن توجّه لأي واحد منا تهمة التستر على مجرم ومساعدته .

قلت له: أريد ان أصدق أولاً انها بريئة، وإلاّ لما بحثت معك هذا الموضوع. وإذا تأكدت من انها ارتكبت جريمة القتل سوف أقدمها بنفسي إلى الشرطة.

قال لي: لن تقبل ان تتحدث معك.

حملت المغلف ووضعته في جيبي وقلت: سوف تقبل إذا كانت تريد الحصول على المغلف. سأذهب في الحال، وقد أصل إلى هناك في الواحدة والربع. من المؤكد انهم يعرفونها الآن جيداً في تلك الحانة بعد مرور ساعات عديدة وهي تتردد عليهم، وهذا أفضل.

قالت الآنسة فرومسيت: لقد صبغت شعرها باللون البني الداكن وهذا قد يساعدك قليلاً.

قلت: لا يساعدني أبداً أن أراها على هيئة عابرة سبيل بريئة.

تناولت ما تبقى في كأسي ووقفت. كينغسلي تجرّع كأسه دفعة واحدة ووقف أيضاً، ونزع اللفاح عن رقبته وأعطاني إياه.

سألني: ماذا فعلت حتى جعلت رجال الشرطة يلاحقونك؟

- كنت أستخدم معلومات أعطتني إياها الآنسة فرومسيت مشكورة. وهذه أوصلتني إلى البحث عن رجل يدعى تالي كان يجري تحرياته حول قضية ألمورن. وهذا أوصلني إلى السجن. كان رجال الشرطة يراقبون البيت لأن تالي كان المفتش الذي كلّفه السيد والسيدة غرايسون بالتحقيق في قضية موت ابنتهما .

نظرت إلى الفتاة الطويلة أمامي وقلت لها: تستطيعين ان تشرحي له التفاصيل، فأنا ليس لديَّ وقت لذلك. هل تريدان البقاء هنا؟

هزّ كينغسلي رأسه وقال: سنذهب إلى بيتي، وننتظر منك مكالمة هاتفية.

تنهّدت الآنسة فرومسيت قليلاً وقالت: لا يا ديري، أنا متعبة، أريد الذهاب إلى بيتي وسأنام في الحال.

قال بحدة: ستجيئين معي، وجودك معي يساعدني على عدم الاستسلام للجنون.

سألتها: ما هو عنوان بيتك يا آنسة فرومسيت؟

- برج برايسون في ساحة سان سيت، شقة ٧١٦، لماذا؟ وتأملتني وهي تفكّر في الأمر .

- قد أحتاج إلى الاتصال بك .

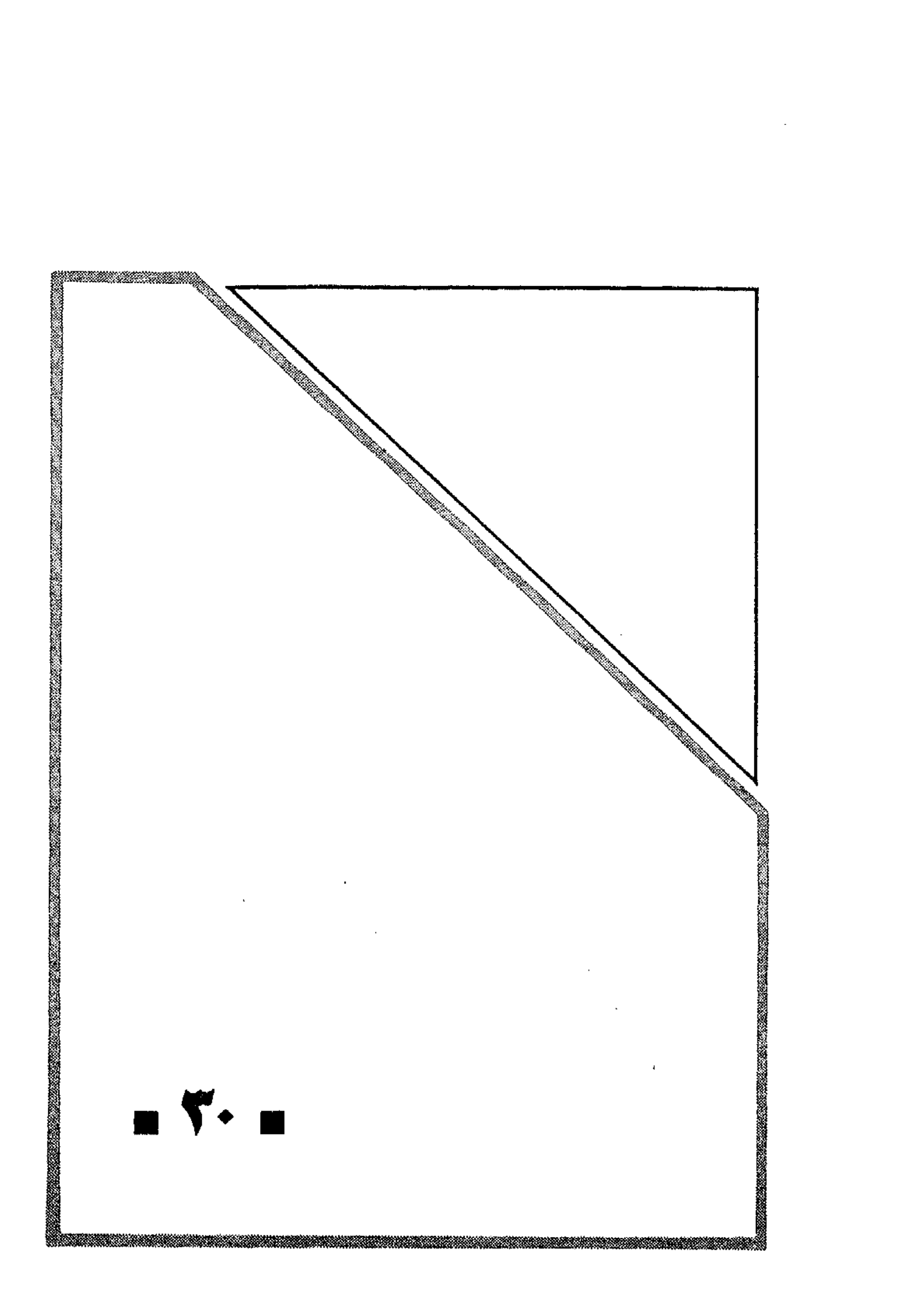
بدا الاضطراب على وجه كينغسلي لكن عينيه لاتزالان عيني حيوان مريض. وضعت اللفاح حول رقبتي وقصدت المطبخ لأطفىء المصباح، حين عدت كانا ينتظرانني عند الباب. كان كينغسلي يضع يده حول كتفيها، بدت متعبة جداً وضجرة إلى حد ما.

ـ حسناً، أتمنى... بدأ بقوله هذا ثم أشار بيده بسرعة وقال: أنت رجل رصين يا مارلو؟

قلت لهما: هيا، إذهبا من هنا. إذهبا بعيداً جداً.

نظر إليَّ مستغرباً، وابتعد معها في الممر.

انتظرت حتى سمعت المصعد يتوقف والباب ينفتح، ثم ينغلق، ويبدأ بالهبوط. نزلت على السلم إلى الطابق السفلي وأيقظت الكرايزلر من نومها مرة أخرى.


■ ٣٠ ■

واجهـة حانـة الطاووس ضيّقـة وهي تقع قـرب محلّ لبيـع الهدايا عرضت واجهته مجموعة من الحيـوانات الكـريستاليـة الصغيرة التي كانت تتألق تحت ضوء مصابيح الشارع. واجهة الحانة من الزجاج والآجر، وفي وسطها طاووس متعدد الألـوان مرسوم على الزجاج ويشع من جوانبه ضوء شاحب. استـدرت من وراء ستـارة صينيـة ودخلت وألقيت نظـرة عـلى البـار ثم جلست في إحدى الزوايا. الضوء كهرمانيّ والمقـاعد من الجلـد الأحمر والطاولات من البلاستيك المصقـول. في ركن آخر جلس أربعـة جنود يتنـاولون الشراب بمـزاج متقلّب، نظرات عيـونهم شاحبة وبدا فيها الضجر. إلى جانبهم جلست فتاتان يـرافقهما رجلان يلفتان الإنتباه بالضجيج الذي يثـيرانه من حـولهما. لم أر أية سيدة تشبه كريستال كينغسـلي كما أتخيلها.

خادم ذو جسم ذابل وعينين شريرتين ووجه كأنه عظم منخور، وضع أمامي على الطاولة فوطة عليها رسم الطاووس وقدم لي شراباً بارداً. رشفت منه قليلاً والتفت نحو الساعة فوق البار. إنها الواحدة وخمس عشرة دقيقة.

في الركن الذي يجلس فيه الرجلان والفتاتان وقف أحد الرجلين

فجأة ومشى نحو الباب وخرج.

قال الآخر: لماذا أهنتهِ؟

ردّت الفتاة: أهنته؟ كان يحاول إقناعي بتمضية الليلة معه.

تابع الرجل بنبرة شاكية: وماذا في الأمر؟ لم يكن هناك مبرّر للإهانة.

استغرق أحد الجنود بالضحك، ثم مسح الضحكة عن وجهه بيد سمراء وشرب القليل من كأسه. أخذت أفرك ركبتي من الخلف. كانت لاتزال حارة ومنتفخة لكنني لم أعد أشعر انها مشلولة.

دخل الحانة صبي مكسيكي نحيل له عينان سوداوان واسعتان ومعه جرائد الصباح؛ أخذ يقترب من كل ركن محاولاً ان يبيع بضع جرائد قبل ان ينتبه الخادم لوجوده ويطرده. اشتريت منه جريدة وبدأت أبحث في صفحة الأحداث لأرى ما إذا كانت هناك جرائم تثير الانتباه. لم أجد شيئاً.

طويت الجريدة ورأيت أمامي فجأة فتاة نحيلة، شعرها بني وترتدي بنطلوناً أسود وقميصاً أصفر وسترة رمادية طويلة: مرّت بالقرب من مقعدي ولم تنظر إليَّ. حاولت ان أتذكر ما إذا كان وجهها مألوفاً أو انها واحدة من اللواتي يتمتعن بجمال ظاهر، من المؤكد انني لمحته آلاف المرات. استدارت حول الستارة وخرجت إلى الشارع. بعد قليل عاد الصبي المكسيكي ونظر بسرعة إلى الخادم وتقدم نحوي.

قال: أيها السيد وكانت عيناه الكبيرتان تنمّان عن شيء من المكر.

أشار لي بيده وخرج من الحانة.

تناولت ما بقي من الشراب في كأسي وخرجت وراءه. كانت الفتاة التي ترتدي السترة الرمادية والقميص الأصفر والبنطلون الأسود تقف أمام واجهة محل الهدايا، تنظر إلى المعروضات. التفتت نحوي حين خرجت، فتقدمت ووقفت بجانبها.

نظرت إليَّ ثانية. وجهها شاحب من الإرهاق، وشعرها يميل إلى السواد. أدارت وجهها عني وقالت:

- أعطني المال أرجوك. وتكوّنت على زجاج الواجهة سحابة صغيرة من بخار أنفاسها .

قلت: يجب ان أعرف من أنتِ.

ردّت بهدوء: أنت تعرف من أنا، كم هو المبلغ الذي تحمله؟

- خمسمئة دولار .

- غير كافٍ. أعطني إياه في الحال. انتظرت ما فيه الكفاية .

- أين نستطيع ان نتحدث؟

- لا داعي لأن نتحدث. أعطني المال واذهب في سبيلك .

- ليس الأمر بهذه البساطة. إنني أقوم بمهمة لا تخلو من المخاطرة، لذلك أريد أن أتأكد مما يحدث وان أعرف موقفي جيداً.

ردّت بنبرة لاذعة: اللعنة عليك. لماذا لم يأتِ بنفسه؟ لا أريد التحدث مع أحد. أريد فقط ان أرحل عن هذه المدينة.

- أنت لم ترغبي في حضوره. وقد فهم انك لا تريدين حتى التحدث معه على الهاتف .

رفعت رأسها بحركة مفاجئة وقالت: هذا صحيح.

ـ لكنك ستتحدثين معي، أنا لست سهلاً مثله. ستتحدثين معي، أو مع رجال الشرطة. لا خيار آخر لديك. أنا مفتش خاص ويجب أن أحمي نفسي أيضاً.

قالت بسخرية: يا له من رجل رائع! أرسل لي مفتشاً خاصاً.

ـ هذا أفضل حلّ توصل إليه. لم يكن من السهل عليه ان يعرف كيف سيتصرف.

ـ ما هو الموضوع الذي تريد ان نتحدث فيه؟

ـ سنتحدث عنكِ أنتِ وعما كنت تفعلين وعن مكان إقامتك وعن الذي تنوين القيام به. أمور كهذه، تبدو بسيطة لكنها مهمة.

تنفست على زجاج المحل وانتظرت حتى تتشكّل السحابة ثم تختفي. وقالت ببرود: أعتقد انه من الأفضل ان تعطيني المبلغ وتتركني أتولى شؤوني بنفسي.

ـ لا.

نظرت إليَّ بحدة وهزت كتفيها بنفاذ صبر.

ـ حسناً. إذا كنت مصّراً أنا أسكن في مبنى غرانادا في الشارع الثامن بعد مجموعتين من البيوت إلى الشمال. رقم الشقة ٦١٨. إتبعني بعد عشر دقائق. أفضل أن أذهب بمفردي.

ـ معي سيارة.

ـ سأذهب بمفردي.

واستدارت ومشت بسرعة. وصلت إلى ناصية الشارع واجتازته، ومشت تحت صف من أشجار الفلفل فلم أعد أراها. عدت إلى

السيارة وانتظرت عشر دقائق ثم أدرت المحرك.

مبنى الغـرانـادا رمادي وبشع ويقع على زاوية الشارع. باب المدخل الزجاجي كان يفتح على الرصيف، استدرت حول الناصية رأيت لوحـة كتب عليهـا: «مـرآب». مدخل المرآب طريق منحدرة تتصاعد منها رائحة المطاط وسكون السيارات المتوقفة في صفوف مرتبـة. خرج من كشـك زجاجي رجل أسود طويل ونحيل وتقدم نحوي وأخذ يتأمل السيارة.

سألته: ما هي أجرة توقيف السيارة هنا لفترة قصيرة؟ سأزور شقة في هذا المبنى.

نظر إليَّ بانزعاج وقال: الوقت متأخر يا سيدي. والسيارة بحاجة لتنظيف أيضاً. إدفع دولاراً.

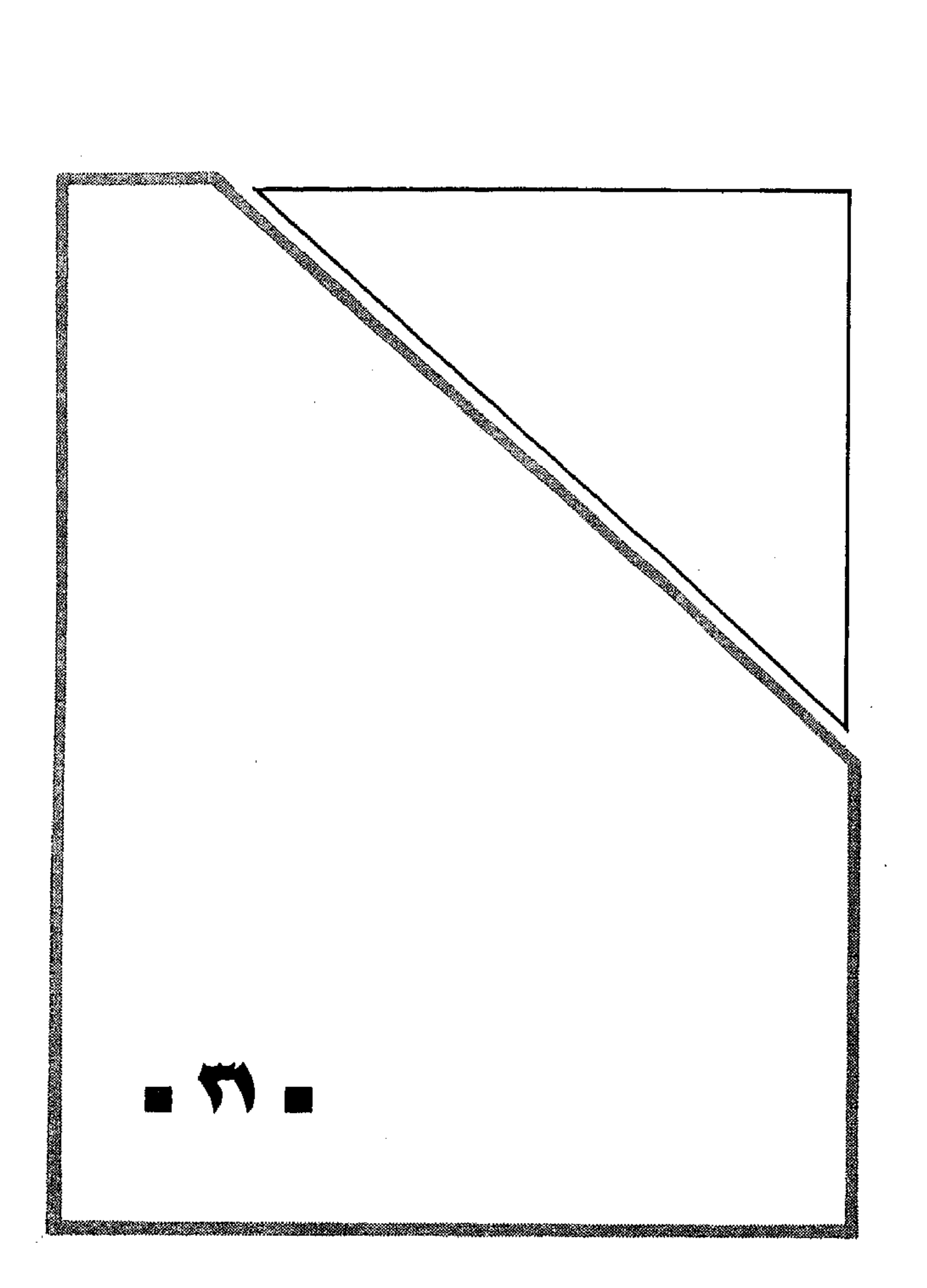
ـ ما الذي يحدث هنا؟

ردّ بإلحاح: إدفع دولاراً!

خرجت من السيارة فأعطاني تذكرة، وأعطيته دولاراً. وبدون ان أسأله قال ان المصعد خلف الكشك بجانب مرحاض الرجال.

صعـدت إلى الطابق السـادس وأخـذت أتفحص الأرقام على الأبواب وأستمع للسكون وأشم رائحة البحر تملأ الممرات. ويبدو المبنى رزيناً، مع احتمال وجود بعض الفتيات المستهترات، وهذا يفسر إصرار الرجل الأسود على الأجر الذي طلبه، لا شك انه يعرف كيف يقدّر الأمور.

وصلت إلى الشقة رقم ٦١٨ ووقفت قليلاً ثم طرقت الباب طرقاً خفيفاً.


٣

كانت لاتزال ترتدي سترتها الرمادية. تنحّت جانباً فدخلت إلى غرفة مربّعة فيها سريران الواحد منهما فوق الآخر وكلاهما مثبت إلى الجدار. الأثاث في غاية البساطة. غمر المكان ضوء أصفر شاحب من مصباح صغير وضع على طاولة تحت النافذة التي كانت مفتوحة.

قالت الفتاة: إجلس وتكلم.

أغلقت الباب وجلست في مقعد هزاز وجلست أنا على كنبة عند طرفها مدخل تغطيه ستارة خضراء باهتة، ويفضي إلى غرفة الملابس والحمام. عند الطرف الآخر كان هناك باب مقفل يبدو انه باب المطبخ.

وضعت رجلاً فوق رجل وأسندت ظهرها إلى الكرسي ونظرت إليَّ بعينين برزت رموشهما الطويلة. حاجباها نحيلان ومقوّسان وبلون شعرها. وجهها هادىء ورصين. لا يبدو وجه امرأة تضيّع وقتها.

قلت: لقد رسمت لك صورة مختلفة تماماً في مخيلتي، كما وصفك لي كينغسلي.

زمّت شفتيها قليلاً ولم تقل شيئاً.

قلت: وحسب وصف لايفري أيضاً. يبدو ان الإنسان يتحدث بلغات مختلفة مع أشخاص مختلفين.

قالت: ليس عندي وقت لهذا النوع من الأحاديث. ماذا تريد ان تعرف؟

ـ هو وكّلني بالبحث عنك، وأنا أقوم بهذه المهمة. تصوّرت انك تعرفين ذلك .

ـ أجل. قالت لي موظفة مكتبه الحلوة ذلك على الهاتف. وقالت ان اسمك مارلو وأخبرتني عن اللفاح .

نزعت اللفاح عن رقبتي وطويته ووضعته في جيبي وقلت: ولذلك أنا أعرف بعض تحركاتك. أعرف انك تركت سيارتك في فندق بريسكوت في سان برناردينو وأنك التقيت بلايفري هناك. وأعرف انك أرسلت برقية من آل باسّو. ماذا فعلت بعد ذلك؟

ـ لا أطلب منك سوى المال الذي أرسله لي. ولا أفهم ما دخلك انت بتحرّكاتي.

ـ لن أناقشك في رأيك هذا. لكن الأمر مرتبط برغبتك في الحصول على المال .

قالت بصوت مُتعب: حسناً. ذهبنا معاً إلى آل باسّو. كنت أفكر في الزواج في تلك الفترة، لذلك أرسلت البرقية. هل رأيتها؟

ـ أجل.

ـ حسناً، ثم غيرت رأيي. طلبت منه ان يرجع إلى بيته ويتركني وشأني فتضايق كثيراً .

ـ هل رحل وتركك هناك؟

ـ أجل، ولِمَ لا؟

ـ ماذا فعلت بعد ذلك؟

ـ ذهبت إلى سانتا باربرا وأمضيت بضعة أيام فيها، حوالى أسبوع. ثم ذهبت إلى باسادينا، وأمضيت أسبوعاً هناك. ثم إلى هوليوود، وبعد ذلك جئت إلى هنا. هذا كل شيء.

ـ وكنت وحدك طوال هذه المدة؟

تردّدت قليلاً ثم قالت: أجل.

ـ لم تلتقي مرة بلايفري؟

ـ ليس من بعد رجوعه.

ـ وما الذي حملك على هذا التصّرف؟

قالت بصوت حادّ: أي تصّرف؟

ـ سفرك إلى جميع هذه الأماكن وعدم إرسالك كلمة واحدة له. ألم يخطر ببالك انك ستثيرين قلقه؟

قالت ببرود: آه، أنت تقصد زوجي. لا أعتقد انني فكرت فيه كثيراً. كان يعتقد انني موجودة في المكسيك، أليس كذلك؟ أما بالنسبة لسؤالك عن كل تحركاتي ـ حسناً، كنت أرغب في التفكير في أموري. لقد وصلت حياتي إلى مرحلة محيّرة ومعقدة. شعرت بحاجة إلى الوحدة لأحاول ان أجد الحلول المناسبة بنفسي.

ـ وقبل ذلك أمضيت شهراً في بحيرة فون الصغيرة تحاولين حلحلة الأمور ولم تتوصلي إلى نتيجة، هل هذا صحيح؟

نظرت إلى حذائها ثم رفعت عينيها وأحنت رأسها، خصلات

شعـرهـا المتمـاوج غطّت وجنتيها، رفعت يدها اليسرى وأرجعت شعرها إلى الخلف، ثم فركت صدغها بإصبعها.

قالت: شعرت بحاجة إلى مكان جديد، لا يكون بالضرورة مكاناً مثيراً، مكان غريب فقط. بدون أية ارتباطات. مكان أجد نفسي فيه وحيدة تماماً.

- وكيف تسير الأمور معكِ؟

- ليست على ما يرام - لكنني لن أعود إلى ديراس كينغسلي. هل يريدني هو ان أفعل ذلك؟

- لا أعرف. لماذا جئت إلى البلدة التي يعيش فيها لايفري؟

قضمت ظفرها ونظرت إليَّ وقالت: أردت رؤيته ثانية. إنه يشغل تفكيري. أنا أحبه وأعتقد انني لا أزال أحبه. لكنني لا أعتقد أنني سأتزوجه. هل هذا منطقي؟

- بالنسبة لهذه المسألة يبدو تفكيرك منطقياً. لكنه ليس كذلك بالنسبة لإقامتك في فنادق قذرة عوضاً عن العودة إلى بيتك.

- أردت ان أكون وحيدة، لكي أفكر في شؤون حياتي.

قالت ذلك بشيء من اليأس وقضمت ظفرها بعصبية مرة ثانية وقالت: هل تسمح وتعطيني المال وتذهب؟

- بـالتأكيد وفي الحال. ولكن ألم يكن هناك سبب آخر دفعك لمغادرة بحيرة فون في تلك الفترة؟ سبب له علاقة بموريال تشيس مثلاً؟

بدت كأنها فوجئت بسؤالي، لكن أي انسان يستطيع التظاهر بذلك.

ـ يا إلهي! وما الذي يجمع بيني وبينها؟ تلك الساذجة والمضجرة ـ ماذا تكون بالنسبة لي؟

ـ ظننت انك ربما اختلفت معها بشأن بيل .

ـ بيل؟ بيل تشيس؟ وتزايدت دهشتها، حتى انها زادت عن حدّها قليلاً.

ـ ادعى بيل انك راودته عن نفسه.

أرجعت رأسها إلى الوراء وضحكت بشكل مفتعل، وقالت: يا إلهي! ذلك السكّير الوسخ؟

وفجأة بدت أكثر رصانة وقالت: ماذا حدث؟ لماذا كل هذه الأسئلة؟

قلت: ربما يكون بيل سكيراً ووسخاً. ورجال الشرطة يصفونه بأنه قاتل أيضاً. قاتل زوجته. لقد عثر على جثتها في البحيرة، بعد شهرين من غرقها.

بلّلت شفتيها والتفتت إليَّ تتأملني بإصرار. فترة قصيرة من الصمت، وأنفاس المحيط الهادىء الرطبة تتسلّل إلى الغرفة وتنتشر من حولنا.

قالت ببطء: هذا يدهشني. لقد انتهت تلك العلاقة على نحو مؤلم. كانا يتشاجران بعنف في بعض الأحيان. هل ظننت ان لتلك الحادثة علاقة بسفري؟

أحنيت رأسي وقلت: هذا احتمال وارد.

ردّت بجدية وهي تهزّ رأسها: لم تكن لي أية علاقة بهما، إلّا ضمن الحدود التي أشرت إليها، لا أكثر.

ـ موريال ماتت غرقاً في البحيرة، ألم تعنِ لك هذه الحادثة شيئاً؟

ـ كنت بالكاد أعرفها. صدّقني، كانت تميل إلى العزلة، وبالاضافة إلى ذلك...

ـ هل كنت تعرفين انها كانت تعمل في عيادة الدكتور ألمور؟

نظرت إليّ بذهول تام هذه المرة، وقالت ببطء: أنا لم أدخل عيادة الدكتور ألمور. زارني عدة مرات في بيتي منذ فترة طويلة. وأنا... ماذا تريد ان تقول؟

ـ موريال تشيس اسمها الحقيقي ملدريد هافيلاند، وكانت تعمل في السابق ممرضة عند الدكتور ألمور.

قالت باستغراب: هذه صدفة غريبة. كنت أعرف ان بيل التقى بها في ريفر سايد. ولم أكن أعرف كيف تمّ ذلك ولا في أية ظروف، ولا من أين جاءت. تقول إنها كانت تعمل في عيادة الدكتور ألمور، حسناً، وهل لهذا أهمية؟

قلت: لا. أعتقد انها مجرد صدفة، وهذه أمور تحدث أحياناً. لكن أنت تدركين الآن سبب رغبتي في التحدث إليك: موريال ماتت وأنت سافرت، وموريال هي ملدريد هافيلاند التي كانت على علاقة بالدكتور ألمور ذات مرة ـ وكذلك كان لايفري، بأسلوب مختلف. ولايفري يسكن في بيت يقع مقابل بيت الدكتور ألمور. هل تبادر إلى ذهنك ان لايفري كان يعرف موريال من مكان آخر؟

فكرت في الأمر وهي تعضّ برفق على شفتها السفلى، وقالت أخيراً: رآها في الجبل، ولم يبد عليه انه سبق وعرفها من قبل.

ـ وما كان ليخفي ذلك طالما انه يحبّ التباهي بعلاقاته.

ـ لا أعتقد ان كريس كان على اتصال بالدكتور ألمور. كان يعرف زوجته، لكنني أعتقد انه لم يكن يعرف الدكتور لذلك فهو لا يعرف عيادته.

ـ حسناً، لا أعتقد اننا وصلنا إلى شيء مفيد بالنسبة لي. لكنك تفهمين الآن السبب الذي دفعني للخوض في هذا الحديث. أستطيع الآن أن أعطيك المبلغ الذي أحمله.

تناولت المغلّف الذي أحمله، ووقفت وألقيت به على ركبتها ثم جلست ثانية، ولكنها لم تمدّ يدها إليه.

قلت لها: أنت تجيدين تمثيل هذه الشخصية. البراءة المرتبكة بالإضافة إلى شيء من المرارة والقسوة. لقد أساء الناس تقديرك. كانوا يعتقدون انك غبية ومتهوّرة ولا تحكّمين عقلك ولا تسيطرين على تصرفاتك. وهذا خطأ فادح.

حدّقت فيَّ وهي ترفع حاجبيها. لم تقل شيئاً. ثم ارتسمت على جانبي فمها ابتسامة رقيقة. مدّت يدها إلى المغلّف وضربت به ركبتها قليلاً ثم وضعته على الطاولة بجانبها، فعلت ذلك دون ان ترفع عينيها عنّي.

قلت: لقد أجدت في تمثيل دور السيدة فالبروك أيضاً. حين أفكر في ذلك الآن أجد في أدائك بعض المبالغة، لكنك نجحت في التأثير عليَّ. تلك القبعة الأرجوانية كانت ستتماشى كثيراً مع الشعر الأشقر لكنها بدت منفّرة على شعرك البني غير المرتب. ومساحيق التجميل التي بدت وكأنك وضعتها في الظلام ويدك مصابة بالتواء، تدل على

انـك سيدة غريبة الأطوار وشديدة العصبية . كل هذا كان جيد جداً. وحين أعطيتني المسدس كما فعلتِ وقعت تماماً تحت تأثيرك.

ضحكت ضحكة نصف مكتومة ووضعت يديها في جيبي سترتها وضربت الأرض بقدميها.

سألتها: لكن ما الذي دفعك إلى الرجوع إلى بيت لايفري؟ لماذا خاطرت وعدت في وضح النهار؟

قالت بهدوء: أنت تعتقد إذاً انني أطلقت النار على كريس لايفري؟

- لا أعتقد ذلك، بل أنا متأكد منه .

- وتريد ان تعرف سبب رجوعي؟

- ليست لذلك أهمية كبيرة .

ضحكت ضحكة حادّة وباردة وقالت: أخذ مني كل ما أملك. أخذ كل المال الذي أحمله في حقيبتي. حتى القطع النقدية الصغيرة. لذلك رجعت. ولم يكن في رجوعي أية مخاطرة. كنت أعرف أسلوب حياته. بل كان الرجوع أفضل، لأنني أخذت الحليب والجريدة من أمام الباب. بعض الأشخاص يفقدون السيطرة على أنفسهم في مثل هذه الأحوال، لكنني لا أفعل ذلك، ولم أجد مبرراً للخوف، وقررت عدم الوقوع تحت تأثيره.

قلت: فهمت. وأنتِ بالطبع أطلقت عليه النار في الليلة السابقة. كان يجب ان أفكر في ذلك، مع انه لا يغيّر شيئاً. كان يحلق ذقنه والرجل عادة يحلق ذقنه في الليل إذا كانت صديقته عنده، أليس كذلك؟

قالت بشيء من المرح: سمعت انهم يفعلون ذلك. وماذا تنوي ان تفعل الآن؟

- يا لك من عاهرة باردة الشعور. ماذا سأفعل؟ سوف أسلّمك إلى رجال الشرطة بالطبع. وسأجد متعة في ذلك .

- لا أعتقد ذلك. قالت تلك الكلمات كأنها تغنيها، وأضافت: كنتَ مستغرباً لأنني أعطيتك المسدس الفارغ، ولِمَ لا؟ إنني أحمل مسدساً غيره. وها هو!

رفعت يدها اليمنى من جيب سترتها وصوّبت المسدس نحوي.

ابتسمت. لم تكن ابتسامة من أعماقي، لكنني ابتسمت.

قلت: إنني أنزعج دائماً من المشهد الذي يواجه فيه المفتش المجرم. المجرم يرفع مسدساً ويصوبه إلى المفتش، ويسرد عليه جميع ملابسات قصته المحزنة، وهو ينوي ان يطلق عليه النار في النهاية. أعتقد ان في ذلك تضييع للوقت، حتى لو انتهى المشهد بقتل المفتش. والمجرم لا ينجح في ذلك غالباً، هناك شيء ما يحدث يمنعه عن تحقيق هدفه في اللحظة الأخيرة. يبدو ان الأقدار لا تستسيغ هذا المشهد أيضاً، وتتمكن دائماً من التحكّم به كما يحلو لها.

- لكننا سنحاول ان نجعل الأمر مختلفاً هذه المرة .

قالت هذا بهدوء وتقدمت نحوي بخطى ثابتة وأضافت: وماذا لو لم أقل لك شيئاً الآن ولم يحدث شيء وأطلقت النار عليك؟

- لن يغيّر هذا رأيي في المشهد.

- لا تبدو خائفاً. وبلّلت شفتيها ببطء وهي تتقدم نحوي دون

ان يصدر لخطواتها وقع على السجادة».

كذبت عليها وقلت: لست خائفاً. النافذة مفتوحة والمسدس سيصدر صوتاً عالياً في هذا الوقت المتأخر، والمسافة بعيدة لكي تنجحي في الهرب وتصلي إلى الشارع. بالاضافة إلى انك غير بارعة في استخدام المسدس. قد تخطئين في التصويب، أنت أخطأت لايفري ثلاث مرات.

قالت: قف!

وقفت.

وضعت المسدس في صدري وقالت: سأكون قريبة منك بحيث لا أخطئك. لا يمكن ان أخطئك الآن. أرفع يديك ولا تتحرك. إذا تحركت سأطلق النار.

رفعت يديّ إلى مستوى كتفيّ ونظرت إلى المسدس. شعرت بثقل في لساني، لكنني لا أزال أستطيع تحريكه.

أخذت تفتشني بحثاً عن مسدس، فلم تجد شيئاً. وقفت تنظر إليَّ وهي تعضّ شفتها. يكاد المسدس يحدث تجويفاً في صدري.

قالت لي: أدر ظهرك.

كانت مهذّبة وهي تطلب مني ذلك كأنها خيّاط يقوم بتجربة المقاييس بذلة.

- في تصّرفاتك دائماً بعض الخلل. أنتِ بالتأكيد لا تعرفين استخدام المسدس، لأنك قريبة مني، وأنا كنت لا أودّ ان أقول لك انك لم تفتحي صمام الأمان. لقد نسيته أيضاً.

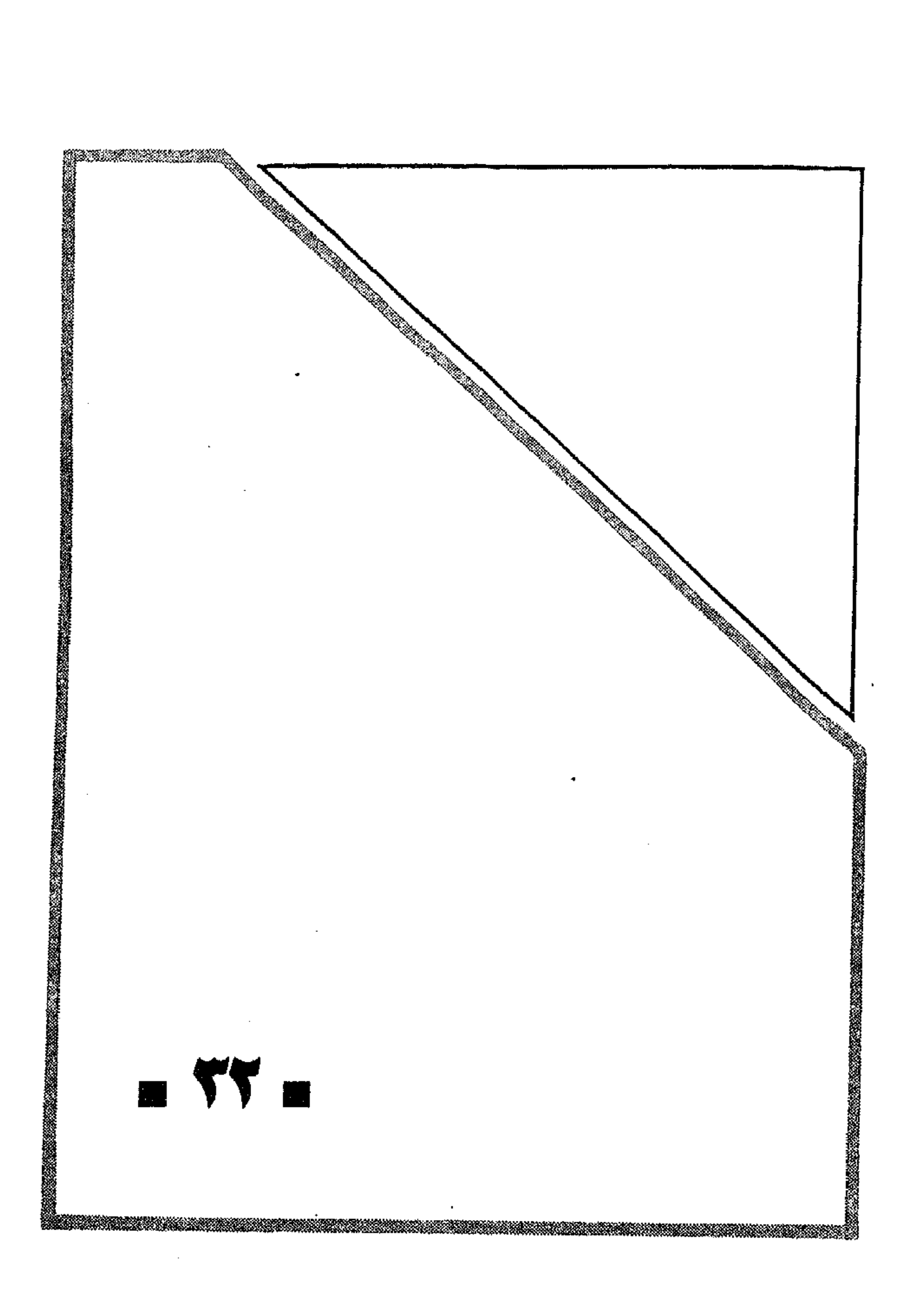
بدأت تحاول تصليح الغلطتين معاً، تريد ان تبتعد عني وتتحسس بإصبعها موضع صمّام الأمان، دون ان ترفع عينيها عن وجهي وهما أمران بسيطان لا يحتاجان لأكثر من بضع ثوان، لكنها انزعجت لأنني لفتّ نظرها، لم يعجبها تفوّق أفكاري، فتضايقت وارتبكت حركتها.

تنفست وكأنها مخنوقة، فأسقطتُ يدي اليمنى وضممت رأسها بسرعة إلى صدري. ثم ضغطت بيدي اليسرى على معصمها الأيمن، فأفلت المسدس من يدها ووقع على الأرض. حاولت ان تصرخ وهي تحرّك فمها المضغوط دون فائدة.

جرّبت ان ترفسني، فقدت توازنها. رفعت يديها تريد ان تنشب أظافرها في جلدي، لكنني أمسكت بمعصمها وأخذت أشدّه إلى الخلف. إنها قوية فعلاً. أرخت جسمها لتترك كل وزنها يضغط على اليد التي ضمت بها رأسها. لم أستطع ان أحملها بيد واحدة فبدأت تنزل وأخذت أنحني معها.

تعاركنا على الأرض قرب الكنبة، وصدرت عنا أصوات طفيفة، وسمعت صوت أنفاسنا. خيّل إليّ ان الستارة أزيحت، لكنني لم أتأكد ولم يكن لديّ وقت للتفكير في ذلك. لاح لي خيال شخص وقف فجأة بجانبي إلى جهة اليسار، لكنني لم أتبين ملامحه. عرفت انه رجل وانه ضخم الجثة.

هذا كل ما عرفته. وانفجر الموقف في اطلاق نار وظلام حتى انني لا أتذكر انه ضربني بقوة. إطلاق نار، وظلام، وقبل الظلام دوار عنيف.


٣٢

فاحت رائحة الشراب. لم تكن رائحة عادية كما لو انني تناولت أربعة أو خمسة كؤوس في صباح يوم بارد في الشتاء قبل النهوض من الفراش، لكن الرائحة كانت قوية كما لو ان المحيط الهادىء كان من هذا الشراب، وغصت أنا في مياهه. كان الشراب في شعري وعلى رموشي وتحت ذقني وعلى قميصي أيضاً. رائحتي تشبه رائحة الضفادع الميتة.

لم أكن أرتدي سترتي وكنت ممدّداً على ظهري قرب كنبة على سجادة لا أعرفها وأنظر إلى صورة معلّقة على الجدار. إطارها من الخشب الرخيص، وفي الصورة جسر ضخم بلون أصفر شاحب عليه قطار أزرق تجرّه عربة سوداء لماعة. من خلال قنطرة كبيرة في الجسر يبدو شاطىء واسع عليه مجموعة من السابحين ومظلات عديدة. وقفت ثلاث فتيات تحت مظلة، واحدة ترتدي بذلة سباحة بلون الكرز والثانية بلون أزرق باهت والثالثة بلون أخضر. ووراء الشاطىء خليج مياهه زرقاء بدرجة غير مقبولة، تغمرها أشعة الشمس وتنتشر على صفحتها مراكب ذات أشرعة بيضاء. وحيث ينعطف الخليج ارتفعت ثلاث مجموعات من التلال بألوان مختلفة،

باللون الذهبي ولون الطين ولون الخزامى الأرجواني الشاحب. في أسفل الصورة كتب بأحرف كبيرة: «شاهدوا الريفييرا الفرنسية وسافروا بالقطار الأزرق.

يبدو الوقت مناسباً للتفكير في هذا الأمر.

مددت يدي بإجهاد وتحسست مؤخرة رأسي. كانت متورّمة. وسرت موجة من الألم في جسمي امتدت حتى أصابع قدميّ. تأوهت بصوت شبه مكتوم، حفاظاً على كبريائي المهنية - أو ما تبقى منها، تحركت ببطء وبحذر ونظرت إلى أسفل السرير المفتوح، فيما كان السرير الثاني مغلقاً ومثبتاً إلى الحائط. على الخشب المطلي رسومات بدت أليفة. كانت الصورة الكبيرة معلّقة فوق الكنبة ولم تلفت انتباهي من قبل.

وأنا أستدير لأزحف سقطت عن صدري زجاجة شراب. كانت بيضاء وفارغة. من غير المعقول ان تحتوي هذه الزجاجة على كمية من الشراب التي وجدت نفسي غارقاً فيها.

رفعت ركبتي ومكثت قليلاً مستنداً إلى ذراعيّ وقدميّ وأشم كأنني كلب لا يستطيع ان يتناول كل الطعام الذي أمامه، لكنه لا يريد ان يتركه في الوقت نفسه. حرّكت رأسي فآلمني. حرّكته ثانية وظل يؤلمني، ثم وقفت واكتشفت انني حافي القدمين.

كان حذائي قرب الحائط، فانتعلته بصعوبة. صرت رجلاً هرماً بدأ يهبط سفح آخر تلة. مع انني لا أزال أحتفظ بأسناني.

قلت: سأرد لك كل هذا، ذات يوم. سأعيد إليك ما أعطيتني، ولن تكون سعيداً بذلك.

على الطاولة، قرب النــافــذة المفتــوحة، مصبــاح، وهناك الكنبة الكبيرة الخضراء، والمدخل الذي تغطيه الستارة الخضراء. يجب ان نتحاشى الجلوس ثانية ومن خلفنا ستارة خضراء؛ فهذا يجلب سوء الحـظ، لمن قلت ذلك؟ لفتاة تحمل مسدساً. فتاة لها وجه واضح الملامح وشعر بني كان أشقر اللون في الأصل.

بحثت عنها، إنها لا تزال في الغرفة تستلقي على السرير.

كانت ترتدي جوارب شفافة، ولا شيء غير ذلك. شعرها مشعّث وعلى حنجرتها كدمات زرقاء. فمها مفتوح ويملؤه لسانها المتورّم. عيناها منتفختان والأبيض فيهما لم يعد أبيض.

على بطنها العاري أربعة خدوش حانقة تبرز باحمرار داكن على بشرتها البيضاء. خدوش عميقة وحاقدة حفرتها أربعة أظافر قاسية.

على الكنبة كومة ملابس لها، رأيت بينها سترتي. انتزعتها من بين الملابس الأخرى وارتديتها. شعرت بوجود شيء بين الملابس، إنه المغلّف والمال لا يزال بداخله. وضعته في جيبي. خمسمئة دولار يا مارلو. أتمنى ان يكون المبلـغ، كله مـوجوداً. لا يبـدو أمامي أمل بتحقيق إنجاز أهم من ذلك.

وقفت بحذر كما لو انني أمشي على سطح جليدي رقيق. وانحنيت لأفرك ركبتي وأنا أتساءل ما الذي يؤلمني أكثر: ركبتي أم رأسي.

صوت وقــع أقـدام يهزّ الممر وضجيج أصوات يقترب. توقف الأشخاص وسمعت طرقاً قوياً على الباب.

وقفت أنظر إلى الباب وشفتاي مشدودتان فوق أسناني. انتظرت

ان يفتح أحدهم الباب ويدخل. جرّب أحد الواقفين في الخارج مسكة الباب، دون فائدة، طرقوا الباب مرة أخرى وعلا ضجيج الأصوات ثانية. تباعدت الخطوات. لن يمضي وقت طويل ليعودوا بالمسؤول عن المبنى ومعه مفتاح الشقة. لن يمضي وقت طويل.

وقت لا يكفي لكي يرجع مارلو إلى بيته من الريفييرا الفرنسية.

أزحت الستارة الخضراء ورأيت ممراً صغيراً معتماً يقود إلى الحمام. دخلت الحمام وأنرت المصباح. على الأرض سجادتان صغيرتان ومنشفة مطوية على حافة الحوض، والنافذة من الزجاج المتجعّد. أغلقت باب الحمام ووقفت عند حافة الحوض وفتحت النافذة. إنه الطابق السادس. مددت رأسي فرأيت طرف الشارع وعدة أشجار والظلام الدامس. نظرت بشكل جانبي فرأيت ان نافذة غرفة الحمام في الشقة المجاورة لا تبعد أكثر من ثلاث أقدام. أية معزاة جبلية تتمتع بقدر من العافية تستطيع ان تصل إلى النافذة الثانية بدون مشكلة.

ولكن السؤال هو هل يستطيع مفتش نال نصيباً وافراً من الضرب ان ينجح في ذلك، وإذا كان الجواب إيجابياً، فما الفائدة من هذه الخطوة؟

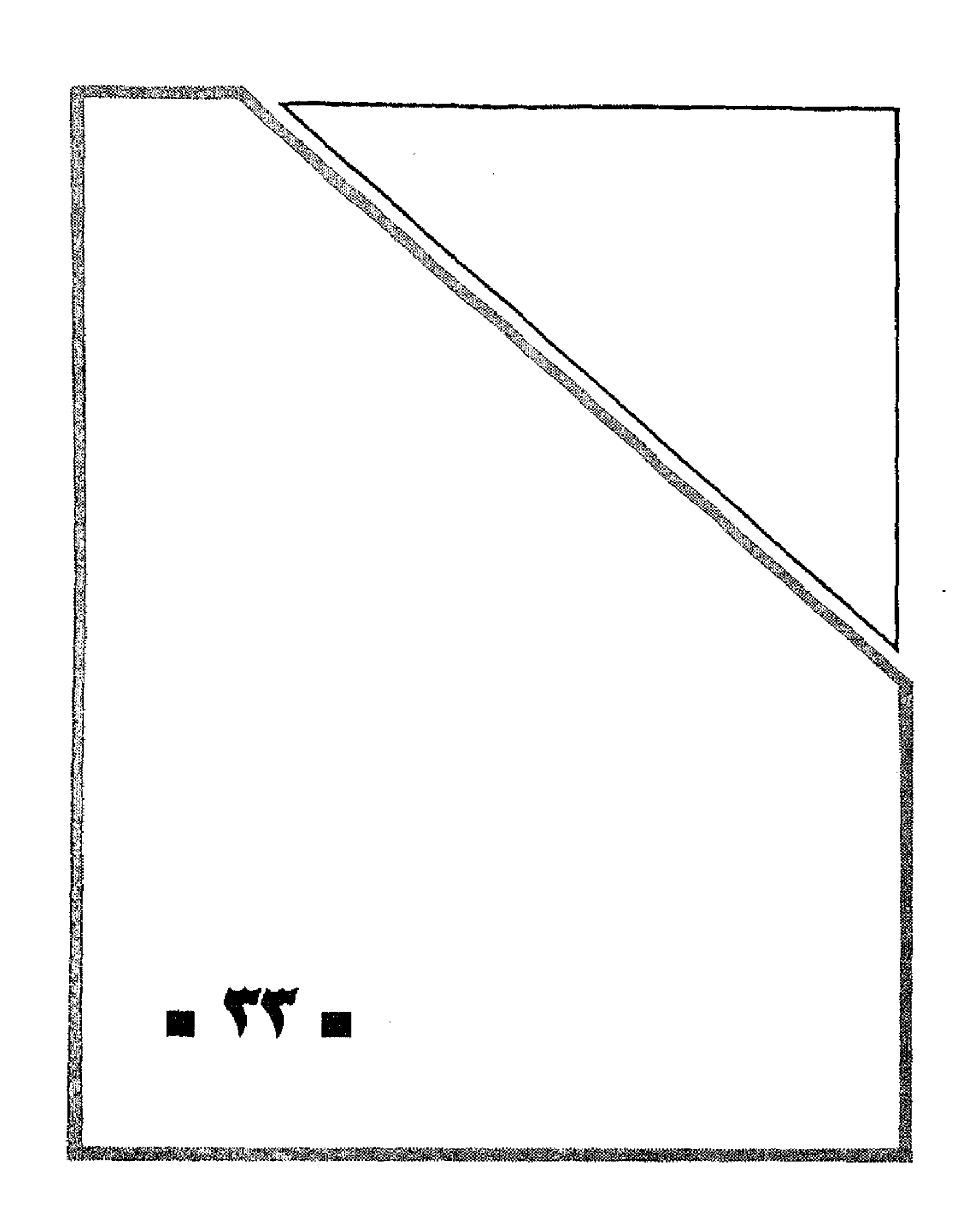
سمعت صوتاً بعيداً وضعيفاً يتلو عليَّ التهديد التقليدي لرجال الشرطة: إفتح الباب وإلّا سنكسره. لم أهتم لأن أحداً لن يرفس الباب، فهذا موجع للأقدام، ورجال الشرطة لا يحبون إلحاق الأذى بأقدامهم، التي تكاد تكون الشيء الوحيد الذي يعاملونه برفق.

تناولت منشفة ونزعت درفتيّ النافذة ووضعت المنشفة على

عتبتها. دفعت بجسمي باتجاه النافذة الأخرى وأنا أمسك إطار النـافذة المفتوحة. مددت يدي لأدفع النافذة فوجدتها مقفلة من الداخل. مددت قدمي وضربت الزجاج فأصدر صوتاً عالياً جداً. لففت المنشفة على يدي اليسرى لأمدّها من الفتحة وأدير المسكة من الداخل. في الشارع تحت مرت سيارة لكن أحداً لم يرني.

دفعت بالنافذة المكسورة ووصلت إلى عتبتها. وقعت المنشفة عن يدي وحطت على مساحة من العشب في الأسفل، بين جناحي المبنى.

دخلت غرفة الحمام في الشقة المجاورة.



٣٣

تلمّست طريقي في العتمة ووصلت إلى باب تحسّست قبضته، فتحته وأخذت أسترق السمع. أشعة ضوء القمر تسللت عبر النوافذ الشمالية وكشفت عن غرفة نوم فيها سريران مرتبان لا أحد ينام فيهما. سريران غير ملتصقين بالجدار. إنها شقة أكبر حجماً من تلك التي كنت فيها. مشيت بجانب السريرين إلى باب آخر ومنه إلى غرفة الجلوس. الغرفتان مقفلتان ورائحة الغبار تملؤهما. وصلت إلى مصباح وأضأته. مررت بإصبعي على طاولة خشبية، هناك طبقة رقيقة من الغبار، كالتي تتجمع في أية غرفة نظيفة إذا كانت مقفلة.

في الغرفة طاولة طعام كبيرة وجهاز راديو، ورفوف للكتب وخزانة امتلأت روايات مجلّدة، وخزانة أدراج من الخشب الداكن مثبتة على قاعدة عالية القوائم عليها صينية نحاسية تحمل زجاجة شراب وأربعة كؤوس. بقربها صورتان فوتوغرافيتان، في إطار مزدوج من الفضّة، لرجل في الأربعين وسيدة، لهما وجهان مستديران يفيضان حيوية والبهجة واضحة في عيني كل منهما. كانا ينظران إليَّ وكأنهما يتضايقان من وجودي.

ملأت كأساً من الشراب وتجرعته فشعرت بشيء من التحسن.

أنـرت مصباح غرفة النوم وفتحت الخزانة. هناك ملابس رجالية تحمل اسم صاحبها: هـ. ج. تالبوت. قصدت الخزانة الخفيضة ذات الأدراج، وعثرت على قيمص أزرق ناعم يبدو أصغر مما أحتاج إليـه. حملته إلى الحمام وخلعت قميصي وغسلت وجهي وصدري ومسحت شعري بمنشفة مبلّلة وارتديت القميص الأزرق. وضعت على رأسي كميـة كبـيرة من مستحضر الشعر واستخدمت فرشاة السيـد تالبـوت ومشطه لأوضّب شعري جيداً. خفّت كثيراً رائحة الشّراب التي كانت تغمرني حتى لم يعد لها أثر يذكر.

لم أتمكن من ايصال الزر الأعلى إلى عروته. عدت إلى الأدراج ووجدت رباط عنق أزرق وضعته وارتديت سترتي ونظرت إلى نفسي في المرآة. أبدو مرتّباً جداً لمثل هذه الساعـة المتأخـرة من الليل، حتى ولو كنت رجلاً حريصاً على مظهري كالسيد تالبوت ـ كمـا يظهر من ملابسه. كنت مرتّباً وواعياً أكثر من اللزوم.

شعّثت شعري قليلاً وحللت رباط العنق وعدت إلى غرفة الجلوس لأتنـاول المزيـد من الشراب. أشعلت سيجارة من علبـة السيـد تالبوت وتمنيت ان يكون السيد تالبوت وزوجته في حالـة أفضل من التي وجدت نفسي فيها، وتمنيت ان أعود مرة ثانية إلى هذه الشقة لأزورهما وأشكرهما.

فتحت باب الشقة الخارجي ووقفت أدخّن سيجارتي. لم أكن واثقـاً من نجاح محاولتي، لكنني في الوقت نفسه لم أكن مقتنعاً بجدوى الانتظار لأنهم سيتمكنون من اكتشاف طريقة هروبي عبر النافذة.

سعل رجل في الممر على مسافة غير بعيدة مني، فأطلّيت برأسي

ورأيتــه ينظر إليَّ. أقبل نحوي في الحال. كان شاباً صغير القامة وحادّ الملامح ويرتدي بذلة رسمية مرتّبة.

تثاءبت وقلت بتكاسل: ماذا يحدث هنا أيها الشرطي؟

حدّق في متمعّنــاً وقــال: هنـاك مشكلة في الشقة المجاورة. هل سمعت شيئاً؟

ـ أظن انني سمعت طرقاً على الباب. عدت إلى البيت منذ فترة قصيرة .

قال: الوقت متأخر.

ـ هذا في اعتقادك. قلت لي ان هناك مشكلة في الشقة المجاورة .

ـ هل تعرف السيدة التي تسكن الشقة؟

ـ أعتقد انني رأيتها!

ـ يمكنك ان تراها الآن! ووضع يديه على حنجرته وجعل عينيه تبرزان وقال بصوت مزعج: هكذا. ألم تسمع شيئاً؟ .

لم أسمع أي صوت يلفت الانتباه ما عدا صوت الطرقات.

ـ وما هو اسمك؟

ـ تالبوت .

ـ انتظر قليلاً يا سيد تالبوت. إنتظر دقيقة واحدة .

اجتاز الممر ثم دخل من الباب المواجه الذي يتسلّل منه الضوء وقال:

ـ أيها الملازم، الرجل الذي يسكن الشقة المجاورة موجود الآن.

خرج رجل طويل من الشقة الثانية ووقفت ينظر إليّ. رجل طويل له شعر بلون الصدأ وعينان زرقاوان، زرقاوان جداً. إنه دغارمو؛ وبهذا اكتمل المأزق.

قال الشرطي الصغير والمرتب يحاول مساعدة زميله: ها هو الرجل الذي يسكن الشقة المجاورة؛ إسمه تالبوت.

نظر دغارمو إليَّ مباشرة، لكن عينيه الباردتين لم تبوحا بأنه يعرفني من قبل. مشى ببطء في الممر ووضع يده القاسية على صدري ودفعني للدخول إلى الغرفة. وحين وصل بي على بعد عدة خطوات من الباب قال دغارمو للشرطي:

- أدخل وأغلق الباب يا صغيري .

دخل الشرطي الصغير وأغلق الباب.

قال دغارمو بتكاسل: مزحة لا بأس بها. إشهر مسدسك عليه يا صغيري.

استلّ الصغير مسدسه بلمح البصر وعضّ على شفتيه وقال بهدوء: يا للروعة! وصفر قليلاً ثم أضاف: كيف عرفت إيها الملازم؟

- عرفت ماذا؟ سأله دغارمو دون ان يرفع بصره عني، وقال لي: ماذا كنت تنوي ان تفعل يا صاحبي - تريد ان تنزل إلى الشارع لتشتري جريدة لتعرف ما إذا كانت ماتت أم لا؟

قال الصغير: يا للروعة! قاتل معقّد جنسياً! نزع ملابس الفتاة وخنقها بيديه. أيها الملازم، كيف عرفت؟

لم يجبه دغارمو. وظل واقفاً يتمايل بجسمه الضخم ووجهه الصلب.

قال الصغير فجأة: أجل، انه القاتل، بكل تأكيد. لاحظ هواء هذه الغرفة أيها الملازم. هذه الغرفة لم تفتح نوافذها منذ عدة أيام. وانتبه للغبار الذي يغطي رفوف الكتب. والساعة فوق الرف متوقفة أيضاً أيها الملازم. دخل إلى هذه الشقة عبر... دعني ألقِ نظرة، هل تسمح لي أيها الملازم؟

دخل غرفة النوم مسرعاً، وأخذ يبحث بارتباك بينما ظل دغارمو واقفاً كمن تبلّد شعوره.

عاد الصغير وقال: أدخل وألق نظرة على نافذة الحمام. هناك قطع زجاج مكسور في الحوض. وهناك قميص تفوح منه رائحة الشراب بدرجة مقزّزة. أنت تتذكر ان هذه الرائحة كانت تفوح بقوة في الشقة الثانية حين دخلناها. ها هو القميص أيها الملازم! يبدو وكأنه غُسل بالشراب.

رفع القميص وفاحت رائحته في الهواء بسرعة. نظر إليه دغارمو بدون إنفعال واضح، ثم تقدّم وفتح سترتي ونظر إلى القميص الذي أرتديه.

قال الصغير: أنا أعرف ماذا فعل، لقد سرق قميصاً من عند الرجل الذي يسكن هذه الشقة. هل عرفت ماذا فعل أيها الملازم؟

قال دغارمو وهو يضع يده على صدري: أجل.

كانا يتحدثان عني وأنا واقف كأنني قطعة من الخشب.

ـ فتّشْه يا صغيري.

دار من حولي يتحسس هنا وهناك بحثاً عن مسدس وقال: إنه لا يحمل سلاحاً.

قال دغارمو: فلنخرج به من المدخل الخلفي. هذا «الانجاز» من حقّنا إذا تمكنا من الخروج قبل مجيء ويبر. ذلك الغبي «ريد» لا يستطيع ان يجد حشرة عثّ في علبة للأحذية.

قال الصغير غير مقتنع: لكنك لست مسؤولاً عن التحقيق في هذه القضية. ولقد سمعت انك مفصول مؤقتاً من وظيفتك.

قال له دغارمو: وماذا أخسر إذا كنت مفصولاً؟

قال له الصغير: أنا سأخسر البذلة.

نظر إليه دغارمو متعباً، فاحمرت وجنتا الصغير وبدا القلق في عينيه الحمراوين البرّاقتين.

- حسناً، يا صغيري، إذهب واخبر ريد بالأمر.

تريّث قليلاً ثم قال: أنت تقول أيها الملازم وأنا معك. لا داعي لأن أكون على علم بأنك مفصول.

قال دغارمو: سنصطحبه إلى المركز معاً، أنا وأنت فقط.

- أجل بكل تأكيد.

وضع دغارمو إصبعه على ذقني وقال بهدوء: قاتل مهووس جنسياً، هذا أفضل مما كنت أتخيّل على أية حال، وابتسم لي ابتسامة شاحبة حركت قليلاً فمه الكبير والقاسي.

■ ٣٤ ■

خرجنا من الشقة ومشينا في الممر إلى الجهة الثانية من الشقة ٦١٨، التي كـان الضوء يتسّرب من بابها المفتوح. وقف رجلان في الخـارج يرتـديـان ملابس عادية ويدخنان، وقد وضع كل منهما سيجارته في باطن يده المكوّرة وكأن هناك ريحاً تهبّ عليهما. سمعنا أصوات جدال داخل الشقة.

إجتزنا الممر من الجهة الثانية ووصلنا إلى المصعد. فتح دغارمو باب سلّم الحـريق الذي يقـع بمحـاذاة بيت المصعـد ونزلنا على الدرجات الإسفلتية وكان لوقع أقدامنا صدى عميق. حين وصلنا إلى الطابق الأول فتح دغارمو الباب قليلاً وأخذ يسترق السمع. نظر إليَّ من فوق كتفه وقال:

ـ معك سيارة؟

ـ في المرآب، في الطابق السفلي .

ـ هذا أفضل .

ونزلنا ما تبقى من السلم إلى الطابق المعتم. خرج الرجل الأسود الطويـل من الكشـك وتقدم نحونا، أعطيته التذكرة، وأخذ يتطلع خلسة إلى بذلة الشرطي الصغير. لم يقل شيئاً وأشار إلى الكرايزلر.

جلس دغـارمـو في مقعد السائق وصعدت بجانبه فيما جلس الصغير في المقعد الخلفي. صعدنا إلى باب المرآب وخرجنا إلى هواء الليل البارد والعليل. سيارة كبيرة بضوء أحمر كاشف كانت تتقدم باتجاهنا.

بصق دغارمو من النافذة وانحرف بالسيارة إلى الجهة الأخرى.

قال: هذا ويبر، إنه يصل متأخراً عن الجنازة كعادته. هذه ضربة قوية له يا صغيري.

ـ لا يعجبني الوضع كثيراً أيها الملازم. بصراحة لست مرتاحاً .

ـ تجلد أيها الصغير. قد تصبح في المباحث الجنائية .

قال الصغير: أفضل ان أبقى كما أنا وأحافظ على عملي.

كانت شجـاعته تتلاشى بسرعة كبيرة. إنطلق دغارمو بالسيارة بأقصى سرعتها في البداية، ثم أخذ يخففها تدريجياً. قال له الصغير بارتباك:

ـ أرجو ان تكون واثقاً من الطريق التي تسلكها أيها الملازم. لكن هذه الطريق لا توصل إلى مركز الشرطة .

ـ هذا صحيح. إنها لا توصل إليه أبداً .

خفّف السرعة واستدار بالسيارة عند المنعطف ليدخل في شارع في منـطقـة سكنية فيها بيوت صغيرة متشابهة وأمامها مساحات خضراء. أوقف السيـارة بهـدوء بمحـاذاة الرصيف والتفت إلى المقعد الخلفي وقال للصغير:

ـ هل تعتقد ان هذا الرجل قتلها يا صغيري؟

ردّ الصغير بصوت مشدود: إنني أسمعك!

- هل معك مصباح جيب؟

- لا!

قلت: يوجد واحد في العلبة إلى ناحية اليسار.

بحث عنها الصغير وتناول المصباح وأضاءه. فقال له دغارمو: إلق نظرة على مؤخرة رأس هذا الرجل.

ركّز الضوء على مؤخرة رأسي وسمعت أنفاسه وشعرت بها على رقبتي. تحسّس بأصابعه التورّم فانتفضت من الألم. ثم أطفأ المصباح وعادت السيارة لتغوص ثانية في الظلام المسيطر.

قال الصغير: أعتقد انه تلقى ضربة قوية أيها الملازم، ولم أعد أفهم ما حدث.

- والفتاة أيضاً. الورم ليس بارزاً في مؤخرة الرأس لكنه موجود. تلقّت ضربة كي يتمكن المجرم من نزع ملابسها وتعذيبها قبل قتلها، ليتمتع بمشهد الدم الذي يسيل من جلدها الممزق، ثم يخنقها. وخلال كل هذه العملية لم يرتفع صوت أحد، ومن أين يأتي؟ وليس في الشقة تلفون، فمن الذي أبلغ الشرطة أيها الصغير؟

- ومن أين لي ان أعلم؟ لقد اتصل شخص وقال ان سيدة قتلت في مبنى غرانادا شقة ٦١٨ في الشارع الثامن. وكان ريد يبحث عن مصوّر حين وصلت أنت إلى المركز. وقال الشرطي الذي تلقى المخابرة ان الشخص الذي اتصل ذو صوت أجشّ وانه على الأرجح وضع محرمة على فمه للتمويه. ولم يصرح عن اسمه

قال دغارمو: حسناً، لنفترض انك أنت قاتل الفتاة، كيف تخرج من الشقة؟

قال الصغير: أخرج من الباب، ولمَ لا؟ ثم التفت نحوي وسألني بصوت عال: لماذا لم تفعل ذلك؟

لم أجبه. فقال دغارمو بدون انفعال:

ـ هل تخرج من نافذة حمّام في الطابق السادس وتدخل في نافذة أخرى إلى شقة قد يكون سكانها نائمين، هل تفعل ذلك؟ وهل تدّعي انك الشخص الذي يسكن الشقة المجاورة وتضيّع وقتك بالإتصال بالشرطة، هل تفعل ذلك؟ تلك الفتاة يمكن ان تظل اسبوعاً ممددة على سريرها، دون ان يكتشف أحد أمر الجريمة، فهل كنت ستضحي بهذه الفرصة يا صغيري؟

ـ لا أعتقد انني أفعل ذلك، ولا أعتقد انني أتصل بالشرطة. لكن يبدو ان المهووسين جنسياً يقومون بأعمال غير مفهومة، أيها الملازم. ليسوا طبيعيين مثلنا. ربما كان مع هذا الرجل شخص آخر ليساعده لكنه ضربه على رأسه لكي تحوم الشبهات حوله.

ـ ها أنت تثير نقطة مهمة. لكن نحن نناقش الوضع والشخص الذي يملك جميع الأجوبة يجلس بيننا ولا يقول شيئاً.

والتفت برأسه الضخم نحوي وقال: ماذا كنت تفعل في تلك الشقة؟

قلت: لا أذكر. يبدو ان الضربة أفقدتني الذاكرة. قال دغارمو: سنساعدك لكي تتذكر. سنأخذك إلى الجبل على بعد بضعة أميال حيث ستجلس في هدوء وتتذكر. وستتذكّر بالتأكيد.

قال الصغير: ليس هذا الأسلوب المتبع أيها الملازم. لماذا لا نأخذه إلى المركز وننهي هذه العملية كما ينص القانون.

ـ اللعنة على القانون، أنا أحب هذا الرجل وأريد ان أتحدث معه مطوّلاً. إنه لا يحتاج إلّا لبعض الملاطفة، فهو خجول .

قال الصغير لا أريد ان يكون لي دور في ذلك.

ـ ماذا تريد إذاً؟

ـ أن أعود إلى المركز .

ـ لا أحد يمنعك، يا صغيري، وهل ستذهب مشياً على الأقدام؟

صمت الصغير لفترة ثم قال بهدوء: أجل، سأذهب مشياً.

وفتح باب السيارة ونزل على الرصيف وقال: وأعتقد انك تعرف بأنني سأبلّغ عما حدث أيها الملازم؟

ـ صحيح. قل لويبر انني كنت أسأل عنه. وفي المرة المقبلة التي يبتاع لنفسه فيها «همبورغر» قل له ان يضع صحناً فارغاً لي .

قال الشرطي الصغير ليس لهذا معنى بالنسبة لي وأغلق باب السيارة. فأدار دغارمو المحرك وانطلق بسرعة أربعين ميلاً قبل ان يتجاوز المجموعة الأولى من البيوت. وفي المجموعة الثالثة وصل إلى الخمسين. خفّف السرعة حين وصل إلى الشارع العريض واتجه شرقاً وانطلق ضمن السرعة القانونية. سيارات معدودة مرّت بنا من الجانبين، لكن العالم كله كان غارقاً في صمت بارد في ذلك الصباح المبكّر.

حين تجـاوزنا حدود المدينة قال دغارمو بهدوء: دعني اسمع روايتك. ربما نجد لهذه المشكلة حلاً.

صعـدت السيـارة مسافة طويلة ثم انحدرت إلى حيث يلتوي الشارع وكأنه طريق داخل حديقة مستشفى المحاربين القدامى. أعمدة الضوء العالية التي يحمل الواحد منها ثـلاثة مصـابيح كانت تحيط بها هالة من الضوء بسبب ضباب الشـاطىء الذي يتسلل خلال الليل.

بدأت أتكلم: جاء كينغسلي إلى بيتي هذه الليلة وقال ان زوجته اتصلت هاتفياً، وهي تطلب مبلغاً من المال. وطلب مني ان أحمل المال إليها وان أحاول مساعدتها للتخلص من أية مشكلة قد تكون وقعت فيها. لكن رأيي أنا كان مختلفاً. قيل لها كيف تتعرّف إليَّ، وكان عليَّ ان ألتقي بها في حانة الطاووس في الشارع الثامن، بعد كل ساعة بخمس عشرة دقيقة. أية ساعة.

قال دغارمو ببطء: كانت بحاجة لتبتعد قليلاً كل فترة. وهذا يعني انها كانت تتجنّب شخصاً معيناً. كالقاتل مثلاً. ورفع يديه قليلاً ثم تركهما تسقطان على عجلة القيادة.

ـ ذهبت إلى الحانة بعد ساعات من اتصالها. قيل لي ان شعرها مصبـوغ بلون بني غامق. مرت بقربي وهي خارجة من الحانة، لكنني لم أعرفها، لأنه لم يسبق لي ان رأيتها مباشرة، لم أكن قد رأيت لها سوى صورة جميلة، ظننت انها هي، لكن الشبه لم يكن واضحاً. أرسلت إليَّ صبياً مكسيكياً لكي أخرج إليها. كانت تريد المـال ولا تريد الخوض في أي حديث. وأنا أردت سماع قصتها. وأخيراً إقتنعت بأن تتحدث إليَّ وطلبت مني أن أوافيها إلى شقتها

في الغرانادا، وأن لا ألحق بها قبل عشر دقائق.

ـ وقت كافٍ لتدبير مكيدة.

ـ كانت هناك مكيدة بالفعل، لكنني لست متأكداً ان لها دوراً فيها. لم تكن تريدني أن أذهب إلى شقتها، وكانت ترفض التحدث معي. لكنها كانت تتوقع انني سألحّ في طلب شرح من جانبها قبل إعطائها المال، لذلك فإن ممانعتها قد تكون مجرد دور لعبته لكي أشعر انني أنا سيّد الموقف. إنها بالفعل تجيد التمثيل، هذه ميزة اكتشفتها عندها. على أية حال ذهبت إلى شقتها وتحدثنا. لم تقل لي شيئاً مهماً حتى بدأنا نتحدث عن مقتل لايفري. عندئذٍ صار حديثها مفهوماً وغيّرت أسلوبها بسرعة لأنني هدّدتها بتسليمها إلى الشرطة.

قرية ويست وود مظلمة ما عدا مبنى المحطة وبضع نوافذ متفرقة في البيوت التي تقع إلى شمال الطريق.

قلت: رفعَتْ عليَّ مسدساً وأعتقد انها كانت تنوي استخدامه. لكنها اقتربت كثيراً مني، فطوّقت رأسها بذراعي. وفيما كنا نتعارك جاء شخص من خلف الستارة الخضراء وضربني على مؤخرة رأسي. وعندما أفقت من الغيبوبة كان المجرم قد ذهب.

قال دغارمو ببطء: هل تمكنت من رؤيته؟

ـ لا، لكن خُيّل إليَّ انه رجل، وانه رجل ضخم الجثة. وقد وجدت هذا اللفاح على الكنبة بين الملابس الأخرى.

تناولت لفاح كينغسلي الأصفر والأخضر من جيبي ووضعته على ركبته وقلت: رأيت كينغسلي يضع هذا اللفاح مساء البارحة.

نظر دغارمو إلى اللفاح ورفعه ليتفحصه ثم قال:

ـ وكيف ينسى كينغسلي دليلاً كهذا، انه متميز ويلفت النظر في الحال؟ حسناً، وماذا جرى بعد ذلك؟

ـ سمعت طرقــاً على البــاب، كنت مشــوّش الذهن وشعـرت بالخوف. وجدت نفسي غارقاً في الشراب الذي غمر ثيابي وحذائي، وسترتي كانت على الكنبة. كان مظهري والرائحة التي تفوح مني يدلاّن على انني شخص من النـوع الذي يمكن ان يهاجم امرأة ويعـرّيهـا من ثيـابها، ثم يخنقها. لذلك خرجت من نافذة الحمام ونظفت نفسي قدر المستطاع وأنت تعرف الباقي .

قال دغارمو: ولماذا لم تنتظر في الشقة التي دخلت إليها؟

ـ وما الفائدة من ذلك؟ حتى شرطي من مدينة باي يستطيع ان يكتشف طريقـة هروبي في فتـرة قصيرة. كانت الفرصة الوحيدة المتاحة لي أن أخرج قبل اكتشاف تلك الطريقة. لو أنني لم ألتق بشخص يعرفني كنت سأنجح في الخروج من المبنى .

قال دغارمو: لا أعتقد ذلك، لكنني أفهم ما بذلته في هذا السبيل. ما رأيك بدافع القتل في هذه القضية؟

ـ تقصد لماذا قتلها كينغسلي.. إذا كان هو المجرم؟ هذا ليس سؤالاً صعباً. كانت تخدعه وتسبب له العديد من المشاكل التي قد تؤثر على مركزه، وأخيراً ارتكبت جريمة قتل. بالإضافة لكونها سيدة غنية وكينغسلي يريد أيضاً الزواج من امرأة أخرى. يبدو انه خاف ان تستطيع بالمال الذي تملكه ان تفلت من التهمة ويطلق سراحها وتسخر منه. وإذا لم تتمكن من الإفلات وحكم عليها بالسجن. فإن أموالها ستكون بعيدة عن متناول يده، لأنه سيجد نفسه مضطراً

لطلب الطلاق للتخلّص منها. لذلك كان لديه دافع قويّ لارتكاب الجريمة. وهو أيضاً أراد استخدامي كبش محرقة. مع ان الحقيقة ستظهر بعد فترة، لكن هذه الخدعة تسبّب الارتباك والتأخير في عمل رجال الشرطة. لو ان المجرمين لا يعتقدون انهم سينجحون في الإفلات من العقوبة لكان عدد الجرائم يقلّ بصورة ملحوظة .

ـ قال دغارمو: لكن المجرم قد يكون شخصاً آخر لم نتعرض إليه حتى الآن. حتى لو ان كينغسلي زارها في شقتها قد يكون المجرم شخص آخر غيره، وشخص آخر قد يكون قتل لايفري أيضاً .

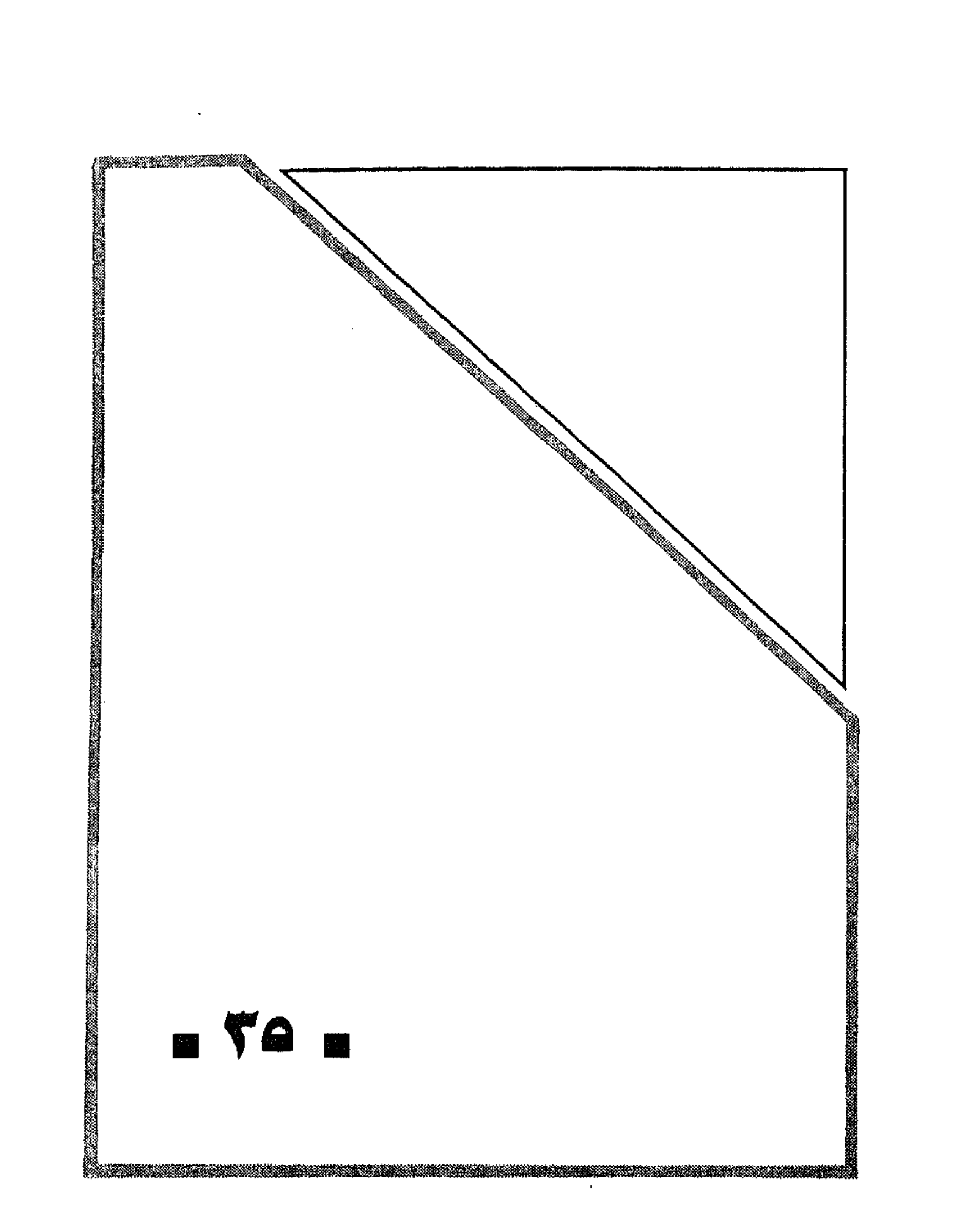
ـ فليكن الأمر كما تريد .

إلتفت نحوي وقال:

ـ أنا لا أريد شيئاً على الإطلاق. إذا نجحت في حل هذه المسألة، سأسترجع وظيفتي ولن أنال أكثر من تأنيب رسمي، وإذا فشلت سأكون مضطراً لمغادرة البلدة. أنت قلت عني أنني غبيّ،. حسناً، أنا غبي. والآن قل لي، ما هو عنوان كينغسلي؟ هناك عمل أجيده وهو حمل الناس على الكلام.

ـ ٩٦٥ كارسون درايف، بيفرلي هيلز. بعد خمس مجموعات من البيوت إلى الجهة الشمالية من سفوح التلال. والبيت يقع إلى ناحية اليسار تحت سان سيت بقليل. لم أزره في بيته، لكنني أعرف تسلسل أرقام البيوت هناك.

أعطاني اللفاح الأخضر والأصفر وقال لي: ضعه في جيبك لنواجهه به في اللحظة المناسبة.


■ ٣٥ ■

يتألف البيت من طابقين وله سطح داكن اللون. انعكست أشعة القمر البرّاقة على جدرانه كأنها طبقة حديثة من الطلاء. تغطي النصف السفلي للنوافذ الأمامية قضبان حديدية. وأمام الباب الرئيسي الذي كان مائلاً ويصل إلى زاوية حائط بارز، امتدت مرجة خضراء. كل النوافذ كانت مظلمة.

ترجّل دغارمو من السيارة ومشى عبر الحديقة ونظر إلى المرآب. توجّه نحو طريق السيارة واختفى خلف زاوية البيت. سمعت صوت باب المرآب حين فتحه ثم سمعت صوت ارتطامه حين أنزله. عاد وظهر عند زاوية البيت. هزّ رأسه واجتاز الأرض التي تكسوها الحشائش حتى وصل إلى الباب. وضع إصبعه على الجرس وتناول سيجارة من علبته بيد واحدة ووضعها بين شفتيه.

ابتعد قليلاً عن الباب ليشعلها وأضاء وهج الثقاب خطوطاً عميقة في وجهه. بعد قليل رأينا ضوءاً في الشق الأعلى من الباب. وتحرك الثقب الذي يختلس منه النظر، فرفع دغارمو شارته أمام فتحة الثقب، وببطء انفتح الباب فدخل دغارمو.

بعد أربع أو خمس دقائق من دخوله تسّرب الضوء من خلال عدة

نوافذ، ثم انطفأ ثانية. خرج دغارمو وبينما هو يسير باتجاه السيارة انطفأ الضوء فوق الباب وغمر الظلام البيت بأكمله مرة ثانية.

وقف بجانب السيارة يدخّن وينظر إلى منعطف الشارع.

قال: في المرآب سيارة صغيرة يقول الطاهي انها سيارة السيدة. كينغسلي غير موجود. يقولون إنهم لم يروه منذ هذا الصباح. فتشت جميع الغرف يبدو انهم يقولون الحقيقة، جاء ويبر بعد الظهر ومعه خبير في استخراج البصمات ولا يزال مسحوق الغبار الذي يستخدم لرفع البصمات موجوداً في أنحاء مختلفة من غرفة النوم. ويبر يحاول العثور على بصمات ليقارنها بالبصمات التي وجدناها في بيت لايفري. لم يقل لي نتيجة تحرياته. أين يكون كينغسلي برأيك؟

- في أي مكان على الطريق، في فندق، في حمام تركي يريح أعصابه. يجب ان تزور صديقته أولاً. إسمها فرومسيت وهي تسكن في برج برايسون في ساحة سان سيت. وهذه منطقة بعيدة باتجاه وسط البلدة: بالقرب من ويلشاير.

سألني دغارمو وهو يصعد إلى السيارة: وما هي مهنتها؟

- إنها تدير له شؤون مكتبه وتساعده خارج أوقات الدوام. لكنها ليست مجرد حسناء تعمل في مكتب، إنها ذكية وقديرة.

- وفي هذا الموقف ستحتاج لكل مواهبها. وانطلق بالسيارة إلى ويلشاير ثم اتجه شرقاً.

بعد خمس وعشرين دقيقة وصلنا إلى برج برايسون، وهو كناية عن قصر أبيض جدرانه مغطاة بالجصّ المزخرف، وفي الباحة الأمامية مصابيح مزركشة وأشجار نخيل عالية. عدة درجات

رخامية توصل إلى المدخل ذي القناطر المغربية والذي يفضي إلى قاعة انتظار كبيرة جداً على أرضها سجّادة شديدة الزرقة. تزين الغرفة جرار كبيرة زرقاء على الطراز الشرقي، وهي كبيرة لدرجة ان الواحدة منها تتسع لنمر. هناك مكتب وموظّف ليليّ له شاربان نحيلان.

اندفع دغارمو نحو مصعد بابه مفتوح وجلس بجواره على مقعد صغير عجوز متعب ينتظر وصول زبون ليصطحبه. تحرك الموظف بسرعة ووقف وراء دغارمو وقال له:

ـ لحظة واحدة من فضلك، من تريد ان تزور؟

استدار دغارمو ونظر إليّ باستغراب. وقال: هل سمعته يقول مَنْ؟

ـ أجل، لكن لا تضربه، فهذه الكلمة موجودة في اللغة .

ـ عض دغارمو على شفتيه وقال: أعرف انها موجودة، وكنت دائماً أتساءل متى يستعملونها. إسمع يا عزيزي، نريد الشقة ٧١٦، هل لديك اعتراض؟

ـ رد الموظف ببرود: بالتأكيد عندي اعتراض. نحن نتصل بالسكان لنخبرهم بوجود زائرين في...

ورفع يده وأدارها قليلاً لينظر إلى ساعته، وتابع يقول: الساعة الرابعة صباحاً وثلاث وعشرون دقيقة.

ـ قال دغارمو: لقد فكرت في هذا الأمر، لذلك لم أشأ إزعاجك. هل فهمت؟

وتناول شارته الرسمية من جيبه ورفعها أمامه فانعكست أشعة

الضوء على طلائها الذهبي والأزرق. وأضاف: أنا ملازم في الشرطة.

هزّ الموظف كتفيه وقال: حسناً، أرجو ألَّا تكون هناك أية مشاكل. من الأفضل ان أتصل بالشقة لأعلن عن زيارتكما. ما اسم كل منكما؟

ـ الملازم دغارمو، والسيد مارلو.

ـ الشقة ٧١٦، هذه شقة الآنسة فرومسيت. انتظرا لحظة.

دخل خلف ستارة زجاجية وسمعناه يتكلم على الهاتف بعد انتظار دام لفترة غير قصيرة. عاد وأحنى رأسه قائلاً: الآنسة فرومسيت موجودة وسوف تستقبلكما.

قال دغارمو: لقد نزعت حملاً عن ظهري! لا تكلّف نفسك عناء الإتصال بمن يعمل عندك مختلس نظر من ثقوب الأبواب وترسله وراءنا. عندي حساسية ضدّ هؤلاء الأشخاص.

ابتسم الموظف ابتسامة نحيلة وباردة، وتوجهنا نحو المصعد.

كان الطابق السابع بارداً وهادئاً. الممر طويل جداً ووصلنا أخيراً إلى الباب الذي يحمل لوحة عليها ٧١٦ بأرقام نافرة وذهبية وحولها دائرة من الأوراق الذهبية أيضاً. بجانب الباب زرّ جرس عاجيّ اللون. ضغط دغارمو على الزر فانسابت من الجرس أنغام موسيقية وانفتح الباب.

كانت الآنسة فرومسيت ترتدي ثوباً أزرق مضّرباً كاللحاف فوق بيجامتها. وتنتعل خفاً يزينه الريش وله كعب عالٍ. تركت خصلات شعرها الداكن تنساب على كتفيها، ومسحت بقايا الكريم عن وجهها ووضعت مسحة رقيقة من الماكياج.

دخلنا إلى غرفة ضيّقة بعض الشيء، وعلى جدرانها عدة مرايا جميلة بيضوية الشكل. الأثاث رمادي والقماش أزرق وأحمر ضارب إلى الرمادي. لا يبدو هذا أثاث شقة مفروشة. جلست على كرسي مزدوج وأسندت ظهرها تنتظر بهدوء ان يبادر أحدنا بالكلام.

قلت لها: أقدم لك الملازم دغارمو من شرطة مدينة باي. نحن نبحث عن كينغسلي، لم نجده في بيته ففكرنا أنك تستطيعين ان تدلينا على مكانه.

قالت دون ان تنظر إليّ: والأمر ملحّ إلى هذه الدرجة.

ـ أجل، وهناك حدث طارىء.

ـ وما هو؟

قال دغارمو بحدة: نريد فقط معرفة مكان كينغسلي، أيتها الأخت. ليس لدينا الوقت لنخوض في حديث هنا.

ـ أعتقد انه من الأفضل ان تخبرني بالأمر يا سيد مارلو.

ـ حملت إليها المال كما اتفقنا، والتقيت بها. ذهبت إلى شقتها للتحدث معها. ضربني على رأسي رجل كان مختبئاً خلف ستارة، ولم أره. وحين أفقت من غيبوبتي وجدتها جثة هامدة.

ـ مقتولة؟

ـ مقتولة.

أغمضت عينيها الجميلتين وزمت شفتيها الجذابتين. ثم وقفت بحركة مفاجئة وتوجهت إلى طاولة صغيرة لها سطح رخامي وأرجل طويلة. تناولت سيجارة من علبة صغيرة عليها زخرفة فضية، وأشعلتها وهي تحدّق شاردة الذهن. هزّت عود الثقاب في يدها عدة

مرات ببطء شديد، ثم وضعته في المنفضة وكان لايزال مشتعلاً. استدارت نحونا وأسندت ظهرها إلى الطاولة.

قالت: أعتقد انني يجب ان أصرخ أو أنفعل، لكنني لم أشعر بأي تأثّر.

قال دغارمو: لسنا مهتمّين بمشاعرك الآن. نريد ان نعرف فقط أين هو كينغسلي. فإما ان تقولي لنا أو لا، وفي الحالتين إعفينا من المشاعر. إتخذي القرار الذي يعجبك.

قال لي بصوت منخفض: هل هو ملازم في شرطة مدينة باي؟

أحنيت رأسي، فاستدارت نحوه ببطء وبتعالٍ رائع ورمقته بازدراء وقالت: إذا كان هذا أسلوبك يجب ان تعرف انه لا يحق لك دخول شقتي، كما ان هذا ليس من حق أي رجل آخر سيء الطباع وكثير الكلام يحاول ان يفرض نفسه.

نظر إليها دغارمو ببرود: ابتسم ومشى في الغرفة يحرك قدميه بعد ان أزعجه الجلوس في مقعد واطيء. أشار بيده إليّ وقال:

ـ حسناً، جرّب أنت الكلام معها. أستطيع ان أحصل على مساعدة رفاقي في لوس انجلوس، لكنني أحتاج إلى وقت كي أشرح لهم القضية ولن نتحرك قبل اسبوع بدءاً من الثلاثاء القادم.

قلت: آنسة فرومسيت، أرجو ان تخبرينا إذا كان قصد مكاناً معيناً؛ أنت تدركين طبعاً انه لا بد من العثور عليه.

قالت بهدوء: لماذا؟

أرجع دغارمو رأسه إلى الخلف وضحك: هذه الفتاة طيبة القلب.

تظنّ انه من الأفضل ان نخفي عنه مقتل زوجته.

قلت له: إنها أذكى مما تظن. صار أكثر جديّة وأخذ يعضّ إصبعه. نظر إليها من أعلى رأسها حتى أسفل قدميها بوقاحة.

قالت: هل الأمر يقتصر على تبليغه بالحادثة؟

أخذت اللفاح الأخضر والأصفر من جيبي وحملته أمامها.

ـ تمّ العثور على هذا اللفاح في الشقة التي وقعت فيها الجريمة. أعتقد انك رأيته من قبل؟

نظرت إلى اللفاح، ثم نظرت إليَّ دون ان يطرأ تغيير على ملامحها وقالت:

ـ أنت تطلب قدراً كبيراً من الثقة يا سيد مارلو، مع انك على ما يبدو لم تكن مفتشاً بارعاً.

قلت: إنني أطلب هذه الثقة، وأتوقع الحصول عليها. أما بالنسبة لبراعتي، فأنت لا تعرفين عنها شيئاً.

قال دغارمو: شيء جميل. أنتما تشكّلان فريقاً هائلاً، ولا تحتاجان إلّا لمجموعة من المهرجين ليمشوا وراءكما. لكن الآن...

قاطعته كأنه لم يكن موجوداً وقالت لي: كيف حصلت الجريمة؟

المجرم خنقها ونزع عنها ثيابها، وترك خدوشاً عميقة من أظافره على جسدها.

قالت بهدوء: ديري لا يرتكب عملاً بهذه البشاعة.

رد دغارمو: لا أحد يعرف ماذا يفعل شخص سواه، يا أختي. هذه قناعة كل شرطي،

لم تنظر إليه، وتابعت تقول دون ان تغير نبرة صوتها:

- أتريد ان تعرف أين ذهبنا بعد مغادرة شقتك، وما إذا كان رافقني إلى بيتي... أمور كهذه؟

- أجل .

- لأنــه لو رافقني إلى هنـا لن يكـون عنـده وقت للعودة إلى الشاطىء وارتكاب الجريمة! أليس كذلك؟

- هذا جزء هام من الموضـوع .

ردّت ببطء: لم يرافقني إلى البيت. لقد أوقفت سيارة تاكسي في شارع هوليوود، بعد حوالى خمس دقائق من مغادرة شقتك، ولم أره ثانية. كنت أعتقد انه ذهب إلى بيته.

قال دغارمو: تحاول الفتاة عادة ان تقدم لصديقها مساعدة أكبر من هذه. لكن الفتيات يختلفن، أليس كذلك؟

قالت لي الآنسة فرومسيت: أراد ان يصطحبني إلى بيتي، لكن المسافة طويلة وفي الاتجاه المعاكس لبيته؛ وكنّا متعبيْن. وأنا أخبرك بذلك لأنني واثقة انه ليس مهماً إطلاقاً، ولو كنت مقتنعة بأهميته لما قلته!؟

- كان لديه متسع من الوقت إذاً؟

هزت رأسها وقالت: لا أعرف. لا أعرف كم من الوقت يحتاج. لا أعرف من أين له ان يعرف عنوانها. لم يعرفه مني، ولا منها عبري. لأنها لم تطلعني عليه.

عيناها السوداوان تأملتا عينيّ تتفحصانهما وتجسّانهما: هل هذه هي الثقة التي تريد؟

طويت اللفاح وأعدته إلى جيبي قائلاً: نريد ان نعرف الآن أين هو؟

ـ لا أستطيع ان أخبرك لأنني لا أعرف .

تابعت عيناها اللفاح حتى دخل جيبي وتسمّرتا هناك. ثم قالت: تقول انك تلقيت ضربة على مؤخرة رأسك، هل تعني انك فقدت الوعي؟

ـ أجل، ضربني شخص كان مختبئاً خلف الستارة. كانت قد رفعت عليَّ مسدساً وكنت منشغلاً في محاولة إنتزاعه من يدها. أنا متأكد انها هي التي قتلت لايفري .

وقف دغارمو فجأة وقال متذمراً: لقد قمت بدور رائع يا صديقي لكنك لن تصل إلى شيء، هيا بنا.

قلت: انتظر قليلاً. لم أنته بعد. لنفترض انه مشغول البال، يا آنسة فرومسيت، وان ما يشغله يوتّر أعصابه، تلك كانت حالته الليلة الماضية، ولنفترض انه يعرف عن هذه القضية أكثر مما نعتقد، أو مما أعتقد، ويعرف ان الأمور ستصل إلى نهايتها، في هذه الحالة سيقصد مكاناً هادئاً ويحاول ان يقرّر ماذا سيفعل. ألا تعتقدين ذلك؟

سكتُّ أنتظر جوابها وأنظر بطرف عيني إلى دغارمو الذي فرغ صبره. بعد قليل قالت الفتاة بهدوء: في هذه الحالة لن يهرب أو يختبىء، لأن الموضوع لا يمكن الهرب منه أو الاختفاء بسببه. لكنه قد يحتاج إلى وقت ليفكّر بينه وبين نفسه.

ـ في مكان غريب، في فندق. قلت ذلك وأنا أفكر بالقصة التي

سمعتها في الغرانادا، أو في مكان أكثر هدوءاً».

نظرت من حولي أبحث عن التلفون.

قالت وقد أدركت ما أريد: إنه في غرفة النوم.

اجتزت الصالة ودخلت الغرفة ودغارمو يتبعني. كانت غرفة مطلية باللونين العاجي والوردي الباهت. يتوسطها سرير كبير تركته الآنسة فرومسيت عند وصولنا. على طاولة الزينة التي تعلوها عدة مرايا، أدوات التجميل. ومن خلال باب مفتوح في الغرفة رأيت غرفة حمام بلاطها توتيّ اللون. التلفون كان على طاولة صغيرة قرب السرير.

جلست على حافة السرير، وسويت مخدتها برفق، ثم رفعت السماعة وطلبت رقماً للمسافات البعيدة. حين أجابتني عاملة الهاتف قلت لها إنني أطلب الحديث إلى مسؤول الأمن في منطقة بوما واسمه جيم باتون، وأنني أريد التحدث إليه شخصياً، وان الأمر في غاية الأهمية.

وضعت السماعة ثانية وأشعلت سيجارة ودغارمو يحملق فيَّ مشدوهاً وقد وقف بجانبي على أتم الاستعداد، كمن يستعدّ لإظهار شراسته، وسألني:

- وماذا نفعل الآن؟

- ننتظر.

- من صاحب القرار هنا؟

- بمجرد ان تسألني فأنت تعرف الجواب. أنا صاحب القرار. إلّا إذا أردت ان يكون لشرطة لوس انجلوس دور فيه.

ضرب عود ثقاب على ظفره وأخذ يتأمله وهو يشتعل وحاول ان يطفئه بنفس طويل وثابت لكن اللهب خفت قليلاً فقط. رمى العود من يده وتناول عوداً آخر وضعه بين أسنانه وأخذ يعلكه. رنّ جرس الهاتف.

- مخابرتك إلى بوما جاهزة .

سمعت صوت باتون الناعس على الخط: نعم؟ أنا باتون، من بحيرة بوما.

- هذا مارلو من لوس انجلوس، هل تتذكرني؟

- بالتأكيد أتذكرك، يا بني. لكنني لم أستيقظ تماماً بعد .

- أرجو ان تقدّم لي خدمة. أنت تستطيع ان ترفضها بالطبع. أرجو ان تذهب إلى بحيرة فون الصغيرة أو ترسل أحداً من قبلك، لمعرفة ما إذا كان كينغسلي موجوداً في بيته هناك. لا تدعه يراك. تستطيع ان ترى سيارته خارج الكوخ، أو ترى الكوخ مضاء. وتأكد من بقائه هناك. أرجو ان تتصل بي بعد ذلك لأنني سأحضر إلى المنطقة. هل تستطيع ان تفعل ذلك؟

قال باتون: ليس عندي سبب لأمنعه من مغادرة المنطقة إذا أراد ذلك .

- إنني أصطحب معي ملازماً في شرطة مدينة باي، وهو يريد ان يستجوبه في جريمة قتل. ليس بشأن الجريمة التي وقعت في منطقتك، بل جريمة أخرى .

ساد الصمت فترة ثم قال باتون: هل هي لعبة جديدة منك يا بني؟

ـ لا. اتصل بي على رقم ٢٧٢٢ تانبريدج .

ـ يحتاج الأمر إلى حوالى نصف ساعة .

وضعت السماعة وكان دغارمو يبتسم فقال: هل أعطتك هذه الفتاة إشارة لم أفهمها؟

وقفت وقلت: لا. إنني فقط أحاول ان أقرأ أفكاره. انه ليس قاتلاً ميت الشعور. والنار التي كانت تلتهب في أعماقه انطفأت الآن. لذلك فأنا أرجّح ان يكون في مكان هادىء وبعيد... لكي يستجمع شتات نفسه. إنه على الأرجح سيبادر في غضون ساعات قليلة إلى تسليم نفسه. من الأفضل ان تصل إليه قبل ذلك.

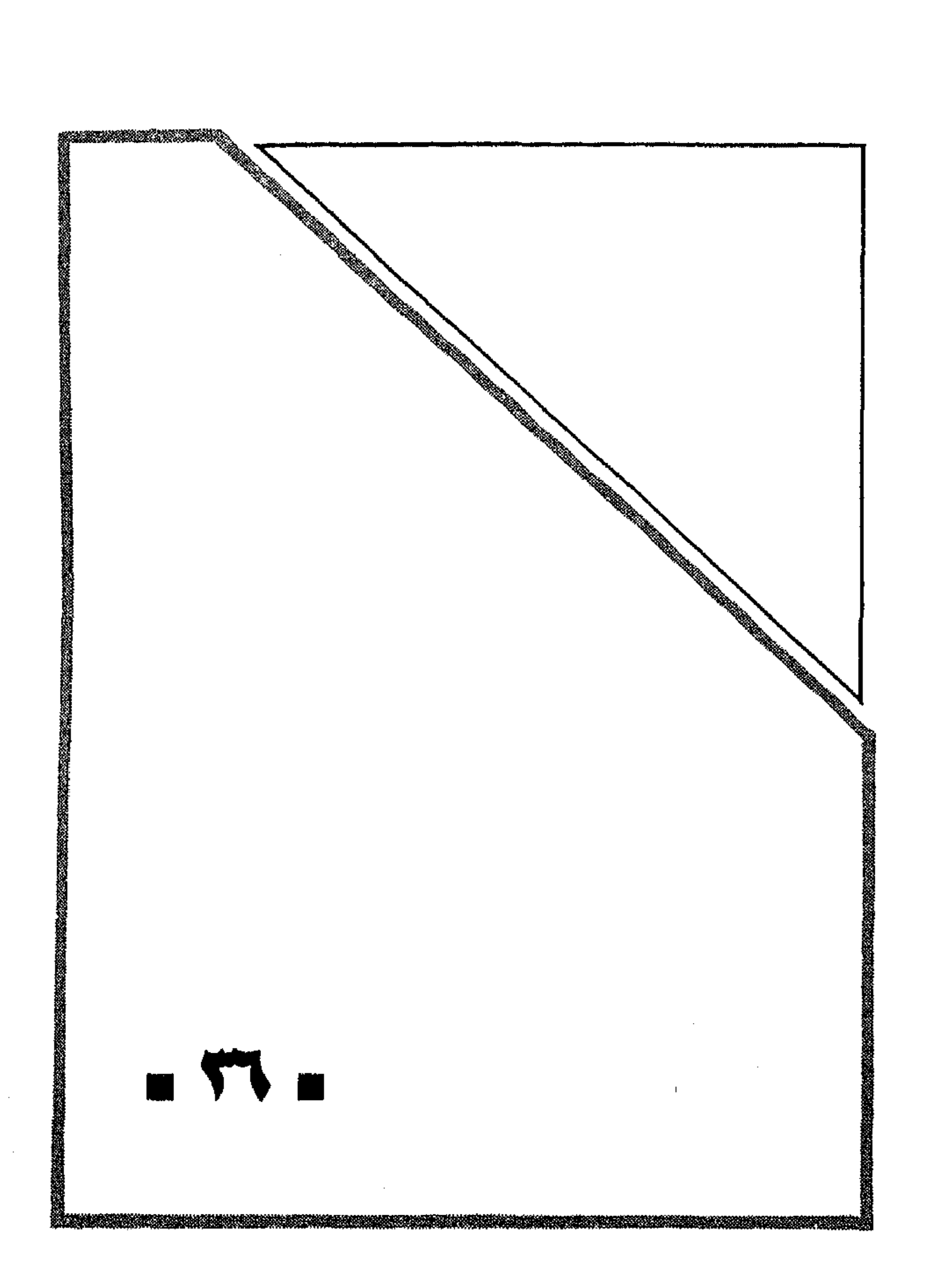
قال دغارمو ببرود: إلّا إذا أطلق رصاصة على رأسه. هؤلاء الأشخاص لديهم الاستعداد لذلك.

ـ وأنت لن تتمكن من منعه إلّا إذا وجدته .

ـ هذا صحيح .

عدنا إلى غرفة الجلوس. أطلّت الآنسة فرومسيت من مطبخها وقالت إنها تعد قهوة. جلسنا لنتناول القهوة وكنا نشبه أشخاصاً جاؤوا إلى محطة القطار ليودّعوا أصدقاءهم.

اتصل باتون بعد خمس وعشرين دقيقة وقال إن كوخ كينغسلي مضاء وهناك سيارة متوقفة بجانبه.


■ ٣٦ ■

تناولنا طعام الفطور في الحمراء، وملأنا خزان السيارة بالبنزين. ثم انطلقنا في الطريق العام رقم ٧٠، وأخذنا نتجاوز الشاحنات ونقترب من مناطق المزارع الكبيرة التي تربّى فيها المواشي. توليت القيادة، وكان دغارمو بجانبي متقلّب المزاج ويضع يديه في جيبي سترته.

صفوف طويلة من أشجار الليمون تسرع في دورانها على جانبي الطريق، وكأنها قضبان في مجموعة من الدواليب. أخذت أستمع إلى صوت عجلات السيارة وشعرت انني متعب ومجهد من قلّة النوم والانفعال الشديد.

وصلنا إلى منحدر كبير جنوبي سان ديماس يمتد إلى سلسلة جبال ثم ينحدر إلى بومونا. هذا هو الحد الأقصى للحزام الضبابي، وبداية المنطقة نصف الصحراوية حيث الشمس خفيفة وجافة مثل كأس شراب في الصباح الباكر، وحارة مثل أتون عند الظهر، وتسقط غاضبة مع مجيء الليل كأنها حجر.

وضع دغارمو عود ثقاب في زاوية فمه وقال: كان ويبر مزعجاً

للغاية البارحة. طلب مني الخروج من الغرفة لأنه يريد التحدث إليك.

لم أقل شيئاً. نظر إليَّ ثم أشاح بوجهه. لوح بيده خارج النافذة وقال:

ـ لا أقبل أن أعيش في هذه المنطقة الملعونة حتى لو أعطوني إياها. الهواء راكد وكأنه مستهلك، حتى في الصباح الباكر.

ـ سوف نصل إلى أونتاريو بعد قليل. سننعطف في شارع فوتهيل حيث ستشاهد وعلى امتداد خمسة أميال صنفاً من أشجار الغرفيليا الموجودة في العالم.

قال دغارمو: لن أعرف الفارق بينها وبين خرطوم المياه.

وصلنا إلى وسط المدينة واتجهنا شمالاً بمحاذاة الحديقة الرائعة، ودغارمو ينظر إلى أشجار الغرفيليا بازدراء.

قال بعد قليل: التي غرقت في البحيرة كانت امرأتي، وأكاد أفقد صوابي منذ ذلك الحين. تنتابني حالات غضب شديد. لو أستطيع ان أضع يدي على المدعو تشيس...

ـ تسبّبت في العديد من المشاكل حتى الآن لأنك تركتها تفلت من العقاب بعد قتلها زوجة ألمور.

حدقت في زجاج السيارة أمامي، وشعرت ان رأسه تحرّك، وان عينيه تجمدت نظرتهما على وجهي. لم أكن أعرف ماذا تفعل يداه، ولم أعرف أي نوع من الانفعال ارتسم على ملامحه. بعد صمت طويل، قال بضع كلمات كأنها تسرّبت من بين أسنانه المشدودة ورافقها صرير حين سمعتها.

ـ هل أنت مجنون أم مريض؟

ـ لا. ولا أنت أيضـاً. أنت تعرف جيداً ان فلورنس ألمور لم تنهض من فراشها وتمشي إلى المرآب. أنت تعرف ان تالي سرق خفّها لهذا السبب، ذلك الخفّ الذي لم يطأ ممرّ الإسفلت من قبل، وأنت تعرف ان ألمور لم يقتل زوجته بالمورفين، وانه لو أراد قتلها سيكون المورفين آخر شيء في العالم يستخدمه. وأنت تعلم ان شخصاً غيره هو القاتل الفعلي. وأن ألمور حمل زوجته إلى المرآب ومدّدها هناك وهي لاتـزال حسب اعتقاده على قيد الحياة لكي تتنشق الدخان وتصاب بالاختناق، ولكنها كانت قد فارقت الحياة. أنت تعرف جميع هذه التفاصيل .

ـ قال دغارمو بهدوء: كيف تمكنت من الحفاظ على حياتك طوال هذه المدة؟

ـ لأنني أتحاشى الوقوع في أخطاء كثيرة، ولا أخاف من الذين يحترفون الظهور بمظهر الأشداء. أثار ألمور شكوكي لأنه رجل حقير، وهو بالاضافة إلى ذلك مصاب بحالة ذعر سببها انه يرتكب أعمالاً لا يستطيع الكشف عنها. قد يدينه القانون لأنه أعدّ للجريمة، ولا أعرف تماماً ما هو حكم القانون في مثل هذه الحالة.
سيحاول ألمور بالطبع ان يثبت ان زوجته كانت في غيبوبة عميقة وانه كان من الصعب إنقاذها. لكن إذا نظرنا إلى الجريمة من ناحية التنفيذ فأنت تعرف ان الفتاة هي التي قتلتها.

ضحك دغارمو ضحكة مرتبكة وفي غير موضعها. وصلنا إلى شارع فوتهيل وانعطفنا شرقاً مرة ثانية. كان الطقس بارداً، لكن

العرق كان يتصبب من جبين دغارمو، ولم يتمكن من خلع سترته لأنه يضع مسدسه تحت إبطه.

قلت: كانت ملدريد هافيلاند على علاقة بألمور، وزوجته عرفت ذلك وهددته. هذا ما عرفته من والديها، وملدرئيد هافيلاند كانت تملك معلومات وافية عن المورفين ومن أين تحصل عليه إذا احتاج الأمر، وتعرف الكمية التي يجب استخدامها. كانت وحدها في البيت مع فلورنس ألمور، بعد ان مدّدتها على سريرها. هيأت إبرة بالكمية المناسبة وغرزتها في ذراع المرأة، التي كانت فاقدة الوعي، في المكان نفسه الذي غرز فيه ألمور الإبرة المهدئة التي أعطاها إياها. ولقد ماتت، على الأرجح، في الفترة التي غادر فيها ألمور البيت، وعند رجوعه وجدها ميتة. شعر انه في ورطة وعليه ان يجد حلاً لها. لا أحد يصدق أن شخصاً غيره أعطى لزوجته حقنة بكمية كبيرة من المخدر، إلّا الشخص الذي يعرف جميع الظروف المحيطة بالحادثة. وأنت كنت تعرف ذلك. وإلّا فأنت غبيّ أكثر بكثير مما أتصور. أنت غطيت على جريمة الفتاة، لأنك كنت لاتزال تحبّها. أثرت مخاوفها لكي تغادر البلدة وتصبح بعيدة عن أيدي رجال الشرطة، وساهمت في إبعاد التهمة عنها. تركت المذنبة تفلت من العقاب، لأنها تمكنت من الإيقاع بك. لماذا قصدت الجبل تبحث عنها؟

ـ قال بصوت أجش: وكيف أعرف أين أبحث عنها؟ لا أعتقد انك ستتضايق لو أجبت على ذلك بنفسك، أليس كذلك؟

ـ على الإطلاق. كانت قد سمئت من بيل تشيس، ومن إدمانه ومن نوبات الغضب التي تنتابه ومن حالة التقشف التي تعيشها معه. لكنها كانت بحاجة إلى المال لكي تغيّر نمط حياتها. ظنّت انها

في أمان، وإنها تستطيع ان تستخدم ما لديها من معلومات ضد ألمور. فكتبت إليه تطلب منه مالاً لذلك طلب منك ألمور ان تذهب إليها وتتكلم معها. وهي لم تعط ألمور اسمها الجديد، ولا أية تفاصيل عن المكان الذي تعيش فيه. قالت له في رسالتها انه يستطيع ان يرسل الرد إلى مركز البريد في بوما ويكتب اسم ملدريد هافيلاند على المغلّف، وهي ستستلم الرسالة. لكن الرسالة لم تصل، لذلك لم يكن هناك أحد في تلك المنطقة يعرف الرابط بينها وبين ملدريد هافيلاند. وأنت لم تكن تحمل سوى صورة قديمة وبتصّرفاتك الفظّة المعهودة لم تفلح في الوصول إلى نتيجة ولم يساعدك سكان المنطقة.

قال دغارمو وهو يحاول ان يخفي غيظه: من الذي قال لك انها حاولت إبتزاز ألمور؟

ـ لا أحد. لقد فكرت في الأمر ووجدته يتلاءم مع الأحداث. لو ان لايفري أو السيدة كينغسلي كانا يعرفان الهوية الحقيقية لموريال تشيس وأدليا بهذه المعلومات كنت ستعرف كيف تعثر عليها. وتعرف الاسم الذي اختارته لكنك لم تعرف هذه الأمور، ولقد وضعك على بداية الطريق الشخص الوحيد الذي يعرف الحقيقة، ملدريد نفسها. لذلك افترضت ان تكون قد كتبت رسالة إلى ألمور.

قال أخيراً: حسناً، فلننس هذا الموضوع، لا أهمية له الآن. إذا كنت في ورطة فهذا بسبب تصّرفاتي وسأعيدها ثانية في ظروف مماثلة.

ـ لا بأس، فأنا لا أخطط للإيقاع بأحد، ولا حتى بك أنت. إنني أقول لك ذلك كي لا تحاول ان تجعل كينغسلي مسؤولاً عن جرائم لا تخصّه. إذا كانت هناك جريمة قد تورّط فيها فليدفع الثمن .

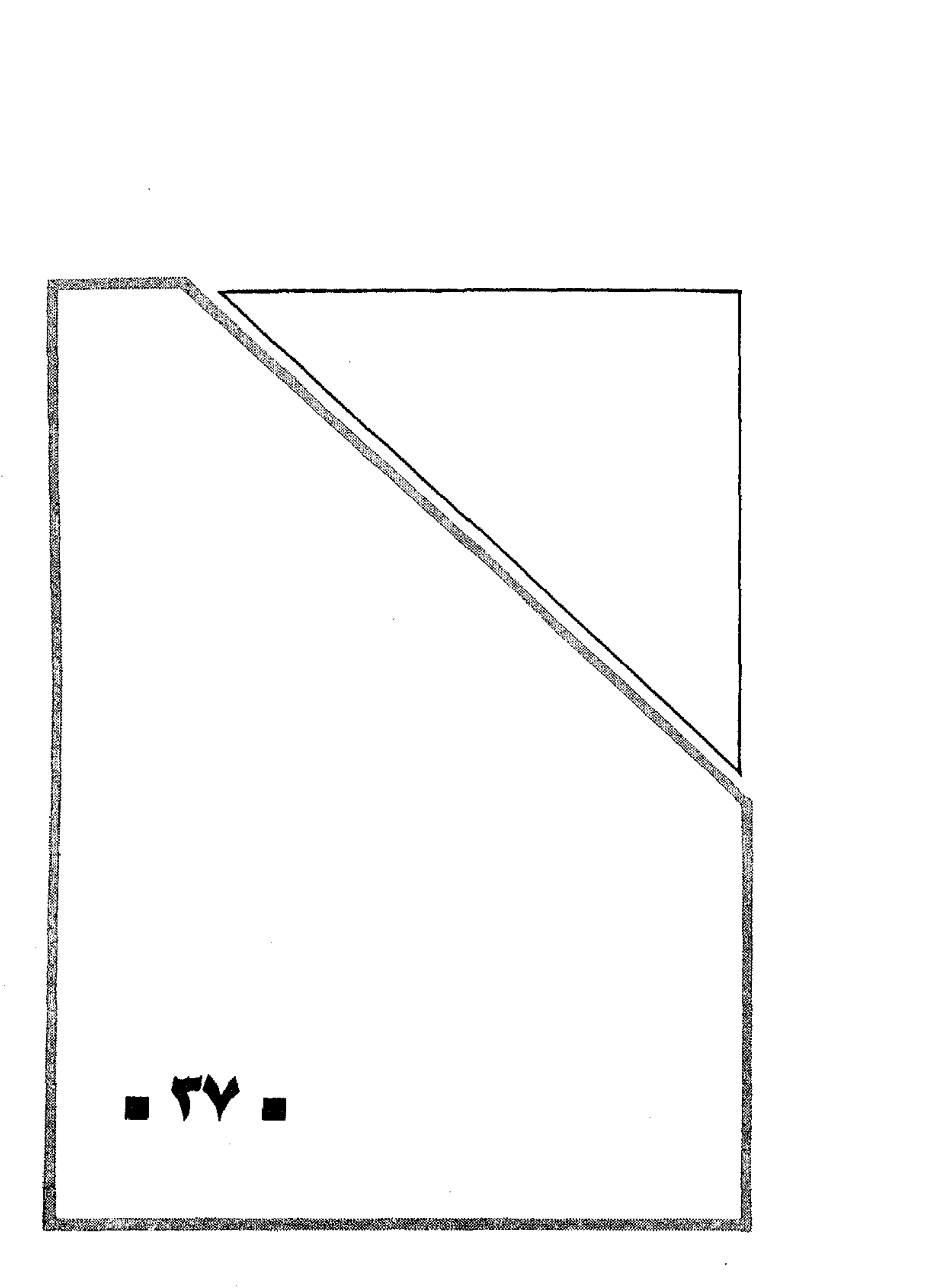
ـ هل هذا هو السبب؟

ـ أجل .

ـ ظننت انك تقول ذلك لأنك تكره تصّرفاتي .

ـ لقد تجاوزت كراهيتك وتخلصت منها. إنني أكره بعض الأشخاص، لكنني لا أكرههم لفترات طويلة.

بدأنا نجتاز المنطقة التي تكثر فيها زراعة الكرمة، فامتدت على جانبي الطريق أرض فسيحة تغطيها أشجار العنب ومن خلفها ترتفع سلسلة من التلال. وصلنا بعد قليل إلى سان برناردينو وقطعناها دون توقّف.


■ ٣٧ ■

وصلنا إلى كريست لاين على ارتفاع خمسة آلاف قدم، ولم يسرِ الدفء في أوصالي. توقفنا أمام مقهى لنتناول شراباً. وحين عدنا إلى السيارة استلّ دغارمو مسدسه من الحزام تحت إبطه وألقى عليه نظرة. كان مسدس «سميث أند ويسون» عيار ٣٨ / ٤٤، وهو سلاح خطير يشدّ الكتف إلى الوراء مثل المسدس عيار ٤٥ لكن فعاليته أهم بكثير.

قلت: لن تحتاج إليه، لأن السيد كينغسلي على الرغم من انه ضخم وقوي، ليس من النوع الذي تجابهه بمسدس.

أعاد المسدس إلى حزامه وشدّ على أسنانه. لم نتكلم في المرحلة الأخيرة من الطريق، لأنه لم يعد لدينا ما نقوله: انطلقت بنا السيارة عبر المنعطفات وبمحاذاة منحدرات سحيقة. على جانب الطريق أقيمت الحواجز لحماية الناس، منها حواجز من قضبان حديدية بيضاء، وبعضها كناية عن سلاسل معدنية ثقيلة، وقد يكون الحاجز جداراً مشيّداً بالحجارة. صعدنا بين أشجار السنديان الباسقة ووصلنا إلى مرتفعات كانت فيها أشجار الصنوبر أطول بكثير. ثم وصلنا أخيراً إلى الجسر الذي يعبر فوق بحيرة بوما.

أوقفت السيارة، واقترب الحارس من النافذة وسلاحه في يده.

- أرجو ان تغلقا نوافذ السيارة قبل التقدم باتجاه الجسر .

مددت يدي لأرفع زجاج النافذة خلفي. تناول دغارمو شارته ورفعها قائلاً باسلوبه المعروف: لا داعي لذلك يا عزيزي. آنا ملازم في الشرطة.

حدّق فيه الحارس بصلابة وقال دون ان يغير نبرة صوته: يجب ان تغلقا جميع النوافذ من فضلكما.

قال دغارمو: اللعنة عليك، اللعنة عليك أيها الجندي الصغير.

قال الحارس: هذا أمر. تقلّصت قليلاً عضلات فكّيه وتأمل بعينيه الرماديتين دغارمو وأضاف: لست أنا كاتب هذا الأمر، يا سيدي، إرفع زجاج النافذة.

قال دغارمو بتحدٍّ: ولنفترض انني قلت لك إذهب وارم نفسك في البحيرة؟

قال الحارس: قد أفعل ذلك، لأنني أخاف بسهولة وربّت على مقبض بندقيته المغطّى بالجلد.

أدار دغارمو رأسه وأغلق نافذته والنافذة التي وراءه. تقدمنا على الجسر. هناك حارس عند منتصف المسافة وحارس آخر عند الطرف الثاني. يبدو ان الحارس الأول اتصل بهما لأنهما نظرا إلينا بتحدّ وبأسلوب غير ودي.

وصلنا إلى الصخور الصوانية ونزلنا إلى مراعٍ يكسوها العشب الخشن، ترعى فيها الأبقار. الأشخاص لم يتغيّروا منذ البارحة،

فمنهم من يرتـدي البنطلون الواسع، ومنهم من اختار البنطلون القصير، والبعض يحمل المحارم الريفية المزركشة. النسيم الناعم نفسه، وكذلك الشمس بأشعتها الذهبية والسماء الزرقاء الصافية، ورائحـة الصنوبر وطراوة الصيف المنعشة. لكن يوم البارحة بدا وكأنه منذ مئة عام، لقد تجمد الزمن كذبابة في حجر كهرمان.

إنعطفت في اتجاه بحيرة فون الصغيرة وسلكت الطريق الملتوية بين الصخـور الضخمة التي تمر بجانب الشلال الصغير. كانت بوابـة أرض كينغسـلي مفتوحة، وسيارة باتون متوقفة في الطريق ومقدمتها باتجاه البحيرة التي لم تكن رؤيتها ممكنة من تلك الزاوية. لم يكن هناك أحد في السيارة: وعلى زجاجها بطاقة تقول: احتفظوا بجيم باتون مسؤول الأمن. إنه عجوز لم يعد قادراً على البحث عن عمل آخر.

وبجـانبهـا، ومقدمتها إلى الجهة الثانية، توقفت سيارة كُوبية صغيرة بداخلها رجل يضع قبعة صيّاد أسود. أوقفت سيارتي خلف سيـارة باتـون وأخذت المفتاح وترجلت. خرج آندي من السيارة الكُوبية ووقف ينظر إلينا بثبات.

قلت: هذا الملازم دغارمو من شرطة مدينة باي.

قال آندي: جيم ينتظرك عند أعلى التلة، لم يتناول طعام فطوره بعد.

صعدنا إلى أعلى التلة فيما عاد آندي إلى سيارته. خلفها كانت الطريق تفضي إلى البحـيرة الصغـيرة بمياهها الزرقاء. وبدا كوخ كينغسلي إلى الجهة الثانية خالياً.

قلت: هذه هي البحيرة.

نظر إليها دغارمو بصمت وهزّ كتفيه بعصبية واكتفى بالقول: هيّا لنلقي القبض على هذا المجرم.

واصلنا السير ورأينا باتون خلف صخرة. كان يرتدي السترة العتيقة نفسها، والبنطلون الكاكيّ والقميص الذي زرّره حتى عنقه. والنجمة على صدره الأيسر لايزال طرفها منحنياً، وفكّاه يتحركان ببطء ويمضغان كتلة من التبغ.

قال: إنني سعيد برؤيتك ثانية ولم ينظر إليَّ بل إلى دغارمو.

مدّ يده وصافح يد دغارمو القاسية.

- في المرة الأخيرة التي رأيتك فيها أيها الملازم كنت تحمل إسماً آخر. اسم سّري كما تسمونه. ولا أظن انني كنت لطيفاً معك. أرجوك ان تقبل اعتذاري. لأنني كنت أعرف من هي صاحبة الصورة التي كنت تحملها.

أحنى دغارمو رأسه ولم يقل شيئاً.

قال باتون: يبدو انني لو قمت بدوري كما ينبغي كنت سأوفّر متاعب كثيرة، أو أنقذ حياة انسان. إنني مستاء جداً مما حصل، لكنني لست من الذين يشعرون بالضيق لفترة طويلة، فلنجلس الآن لتشرح لنا طبيعة المهمة التي تقوم بها.

قال دغارمو: زوجة كينغسلي ماتت مقتولة ليلة البارحة في مدينة باي. ويجب ان أستجوبه في هذا الشأن.

- هل تعني انك تشتبه به؟

قال دغارمو، وهو يصرّ على أسنانه: إلى حد بعيد.

حكّ باتون رقبته ونظر إلى البحيرة وقال: لم يخرج من الكوخ حتى الآن. يبدو انه نائم. في الصباح الباكر تسلقت خلسة إلى جوار البيت. سمعت صوت المذياع، وأدركت من الأصوات التي سمعتها انه كان يشرب، فلم أزعجه، هل أجدت التصرف؟

قال دغارمو: سنذهب لعنده الآن.

- هل تحمل مسدساً أيها الملازم؟

ربّت دغارمو بيده تحت إبطه الأيسر. نظر باتون إليَّ فأومأت برأسي أنني لا أحمل مسدساً.

قال باتون: ربما يكون كينغسلي مسلحاً. لا أريد إطلاق نار هنا أيها الملازم، لأنه يسيء إليَّ كثيراً. سكان هذه المنطقة لا يقبلون العنف. وأنت كما تبدو لي تعرف كيف تشهر مسدسك بسرعة.

قال دغارمو: أنا سريع بالفعل إذا كنت تقصد ذلك. لكن إطمئن أريد من هذا الرجل ان يتكلم فقط!

نظر باتون إلى دغارمو ثم إلَّي، ثم نظر ثانية إلى دغارمو وبصق كتلة التبغ جانباً.

قال بعناد: لم أسمع ما يسمح لي حتى بالتحدث إليه في هذا الموضوع .

جلسنا على الأرض ورويِنا له القصة بالتفصيل. استمع بصمت وبدون ان ترفّ له عين. وقال لي في النهاية: لا شك انك تعمل بأسلوب غريب. وأنا شخصياً أعتقد انكما تستندان إلى معلومات خاطئة تماماً. لكننا سنذهب لنقابله. سأدخل أولاً - قد يكون كما

تقـولان عنه، وقد يكون مسلّحاً وفي حالة يائسة لذلك فإن بطني الكبير سيكون هدفاً سهلاً بالنسبة له.

وقفنـا وسلكنـا الطريق الطويلة التي تلتفّ حول البحيرة حين وصلنا إلى الرصيف قلت:

- هل شّرحوا جثتها أيها الشريف؟

أحنى رأسه وقال: لقد ماتت غرقاً. يقولون إنهم متأكدون من ذلك. ليست هناك آثار سكّين أو رصاص، ولم يرتطم رأسها بمادة صلبة أو بأي شيء من هذا القبيل. هناك علامات كثيرة على الجثة وهي لكثرتها لا تدل على شيء. وعلى أية حال لم تكن الجثة في حالة تسمح بالتشريح الدقيق.

إبيضّ وجه دغارمو من شدة الغيظ.

قال باتـون بلطف: هذا كلام قاس وما كان يجدر بي الإشارة إليه، لأنك كنت تعرف السيدة جيداً.

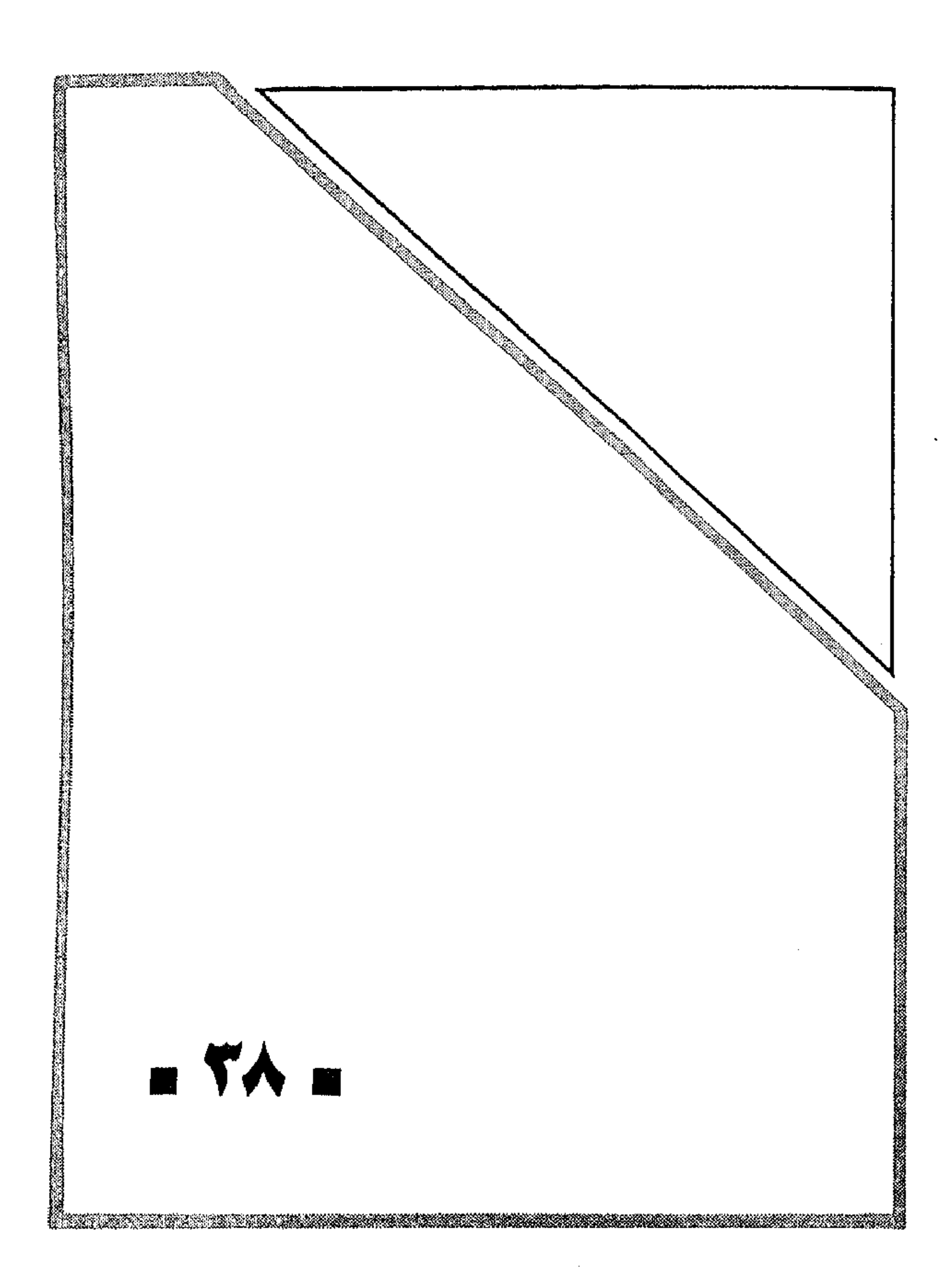
قال دغارمو: يجب ان ننتهي من هذه القضية وننفّذ المهمة التي جئنا من أجلها.

واصلنـا السـير بمحاذاة البحيرة ووصلنا إلى كوخ كينغسلي. صعدنا درجات السلم الخشبية السميكة. تقدم باتون ووقف على الشرفة أمام الباب. فتح باب الشريط الذي لم يكن مقفلاً، وجرّب الباب الرئيسي، فوجده غير مقفل أيضاً. وضع يده على مسكة الباب وأدارها دون ان يفتحه، وفتح دغارمو باب الشريط ودخلنا معاً إلى الغرفة.

كان ديـراس كينغســلي جالساً في مقعد وثير قرب المدفأة وقد أغمض عينيه، على الطاولة بجانبه كأس فارغة وزجاجة شراب شبه فارغـة أيضـاً. رائحـة الشراب فاحت في أرجاء الغرفة، وبجانب الزجاجة طبق امتلأ بأعقاب السجائر، وعلبتان فارغتان ومطويتان.

كانت جميـع النوافذ مقفلة فانحبس الهواء في الداخل وصار الجو خانقاً. كان كينغسلي يرتدي كنزة صوفية غليظة وقد احمرت وجنتاه وبدت عليه علامات الاجهاد. كان يشخر ويداه تتدليان إلى جانبي المقعد وأطراف أصابعه تلامس الأرض.

تقدم باتون منه ووقف ينظر إليه بهدوء لفترة طويلة. ثم قال له بلطف وبصوت واثق: يا سيد كينغسلي، نريد ان نتحدث معك.


■ ٣٨ ■

تحرّك كينغسلي فجأة وفتح عينيه ونظر إلينا من دون ان يحرّك رأسه. نظر إلى باتون، وإلى دغارمو وأخيراً إليَّ بعينين ناعستين انعكست فيهما أشعة الضوء. جلس منتصباً وفرك يديه ثم فرك وجهه.

قال: كنت نائماً. نمت منذ حوالى ساعتين بعد تناول كمية كبيرة من الشراب. لم يسبق لي ان سكرت إلى هذا الحدّ. وأرخى يديه على جانبي المقعد.

قال له باتون: أقدم لك الملازم دغارمو من شرطة مدينة باي، وهو يريد التحدث إليك.

نظر كينغسلي إلى دغارمو نظرة عابرة ثم حدّق فيَّ. بدا صوته حين تكلم للمرة الثانية انه غير ثمل ورزين ومرهق لدرجة الموت.

قال: لقد تركتهم ينالون منها؟

قلت: كنت سأفعل ذلك، لكنني لم أفعل.

فكّر كينغسلي في جوابي والتفت نحو دغارمو. ترك باتون الباب مفتوحاً، ورفع الستائر المعدنية عن نافذتين وفتحهما. جلس في

مقعد قرب إحداهما وضمّ يديه على بطنه. ولم يرفع دغارمو نظره عن كينغسلي.

قال له بفظاظة: زوجتك ماتت يا كينغسلي، إذا كان هذا الخبر جديداً بالنسبة لك .

حدّق فيه كينغسلي وبلّل شفتيه.

قال دغارمو: أترون؟ انه يأخذ الأمر ببساطة، دعه يرى اللفاح.

تناولت اللفاح الأخضر والأصفر من جيبي وفردته أمامه. مدّ دغارمو إصبعه مشيراً إليه وسأله: هل هذا اللفاح لك؟

أحنى كينغسلي رأسه وبلّل شفتيه مرة ثانية.

قال دغارمو وهو يتنفس ببعض الصعوبة: هذا إهمال منك ان تتركه وراءك . بدا متوتراً وبرزت على وجهه خطوط عميقة من منخريه حتى جانبي فمه.

قال كينغسلي بهدوء شديد: وأين تركته؟ وبعد نظرة سريعة ألقاها على اللفاح دون ان يرفع بصره نحوي.

– في مبنى الغرانادا الذي يقع في الشارع الثامن من مدينة باي. في الشقة ٦١٨ ـ هل هذه معلومات جديدة لك؟

عندها رفع كينغسلي عينيه ببطء وقال لي: هل كانت تقيم هناك؟

أحنيت رأسي: لم تكن تريدني أن أذهب إلى شقتها، لكنني رفضت تسليمها المبلغ قبل سماع أقوالها. اعترفت لي بأنها هي التي قتلت لايفري. وصوّبت مسدسها نحوي تريد تنفيذ جريمة

أخرى. تسلّل شخص من خلف الستارة وضربني، ولم أتمكن من رؤية وجهه. حين عدت إلى صوابي وجدتها ميتة.

ووصفت لـه حالتهـا وأخبـرته بما حدث بعد ذلك بالتفصيل استمع إليَّ دون انفعال واضح. وبعد ان أنهيت كلامي أشار إلى اللفاح وسألني: وما دخل هذا في الموضوع؟

- يرى الملازم ان هذا اللفاح هو دليل إثبات ضدك - انك انت الذي اختبأت في الشقة .

فكّر كينغسلي وكأنه لم يفهم تماماً مغزى كلامي. أسند ظهره وأراح رأسـه على ظهـر المقعد، وقال بعد فترة من الصمت: تابع كلامك، من المؤكد انك تعرف ما تريد قوله، وأنا متأكد من انني لا أفهمه.

قال دغارمو: حسناً، تستطيع ان تلعب دور المغفل، وستعرف إلى أين سيوصلك. أخبرنا ماذا فعلت البارحة بعد ان أوصلت صديقتك إلى شقتها.

قال كينغسلي بهدوء: إذا كنت تقصد الآنسة فرومسيت فأنا لم أصطحبها إلى شقتها، لقد افترقنا واستقلّت هي سيارة أجرة، وكنت أنا أنوي العودة إلى بيتي لكنني لم أفعل، وجئت إلى هنا. اعتقدت ان الرحلة وهواء الليل والهدوء تساعدني على استعادة حالتي الطبيعية.

قال دغارمو: اسمعـا ما قال، وما الذي جعلك تفقدها؟

- أردت استعادتها بعد القلق الشديد الذي عانيت منه .

قال دغارمو: اللعنة. وهل يؤدي بك أمر بسيط مثل خنق زوجتك

وحفر خطوط على بطنها بأظافرك إلى حالة قلق شديد؟ لا أعتقد ذلك.

قال باتون متدخلاً في الحديث: يا بني، لا يجدر بك التحدث إليه بهذا الأسلوب. هذا غير مقبول، لم تقدم بعد أي دليل ضده.

استدار دغارمو نحوه بحركة عنيفة وقال: ماذا؟ واللّفاح أيها السمين، ألا تعتبره دليلاً؟

ردّ باتون ببرود: لم تبيّن لنا علاقته بما حدث ـ لم أفهم ذلك من كلامك. وأنا لست سميناً أيضاً، إنني ممتلىء قليلاً فقط.

أشاح دغارمو بوجهه عنه باشمئزاز. وأشار بإصبعه إلى كينغسلي وقال بصوت أجش: أظن انك ستدعي انك لم تذهب إلى مدينة باي.

ـ لا. ولماذا تريدني أن أذهب إلى هناك؟ مارلو هو الذي تولّى الاهتمام بالأمر. ولا أفهم لماذا تعتبر اللّفاح دليلاً ضدي طالما ان مارلو هو الذي كان يحمله.

تصلّبت قدما دغارمو وصار متوحّش الملامح. استدار نحوي ببطء شديد، والغضب يتطاير من عينيه، وقال: لم أعد أفهم شيئاً. حقيقة، لم أعد أفهم. هل كنت تسخر طوال هذه المدة؟

قلت له: لم أقل لك عن اللّفاح سوى انه كان في الشقة وانني رأيته على رقبة كينغسلي عند حلول المساء. ويبدو انك لم تكن تريد معرفة المزيد. كنت سأضيف انني ارتديته في فترة متأخرة من الليل كي تتمكن الفتاة من التعرّف إليَّ بسهولة.

ابتعد دغارمو عن كينغسلي وأسند ظهره إلى حافة المدفأة، ومطّ

شفته السفلى بأصابع يده اليسرى، فيما كانت أصابع اليد اليمنى مطوية إلى جنبه.

قلت: لقد أخبرتك انني لا أعرف السيدة كينغسلي إلّا من خلال صورة فوتوغرافية، لذلك كان كل واحد منا بحاجة إلى وسيلة ليتعرف بها إلى الآخر. واللّفاح بألوانه المميّزة كان مفيداً لهذه الغاية. والحقيقة أنني رأيتها مرة واحدة قبل لقائنا الأخير، مع انني لم أعرفها في حينه، ولم أدرك ذلك حين التقيت بها مباشرة، والتفت إلى كينغسلي وقلت، السيدة فالبروك.

ردّ ببطء: لكن أنت قلت بأن السيدة فالبروك كانت صاحبة البيت.

- هذا ما قالته لي، وأنا صدقتها في ذلك الحين. ولماذا لا أصدقها؟

ابتلع دغارمو ريقه بصوت مسموع، وبدا الاهتياج في عينيه. أخبرته عن السيدة فالبروك وعن قبعتها الأرجوانية وعن ارتباكها وعن المسدس الفارغ الذي كانت تحمله وأعطتني إياه.

وحين أنهيت كلامي قال بحذر شديد: لم أسمعك تخبر ويبر شيئاً من هذا القبيل!

- لم أخبره. لأنني لم أكن أريد ان أعترف بأنني وصلت إلى بيت لايفري قبل الإتصال بالشرطة بثلاث ساعات: وانني قصدت كينغسلي وأخبرته بما حدث قبل معرفة رجال الأمن بالأمر.

قال دغارمو بابتسامة باردة: سنعرف كيف نكافئك على تصّرفك هذا: يا إلهي، يبدو أنني كنت مغفلاً بالفعل! كم تدفع لهذا المفتش

يا سيد كينغسلي كي يتسترّ على جرائمك؟

ردّ كينغسلي غافلاً: الأجر المعهود. ووعدته بمكافأة قيمتها خمسمئة دولار إذا أثبت ان زوجتي لم تقتل لايفري.

قاد دغارمو بسخرية: من المؤسف انه لن يكسبها.

قلت: لا تكن غبياً. لقد كسبتها فعلاً.

ساد الصمت في أرجاء الغرفة. صمت مشحون يشبه السكون قبل قدوم العاصفة. لكن العاصفة لم تأتِ، وظل الصمت مهيمناً يرزح بثقل وصلابة كأنه جدار. تحرك كينغسلي قليلاً ثم أحنى رأسه.

قلت: لا أحد يعرف ذلك أفضل منك يا دغارمو.

كان وجه باتون جامداً كقطعة خشب غليظة، وهو يراقب دغارمو بهدوء. لم ينظر إلى كينغسلي أبداً. وكان دغارمو يتأمل وجهي شارد الذهن، كأنه ينظر إلى شيء بعيد جداً، إلى جبل يقع خلف وادٍ شاسع.

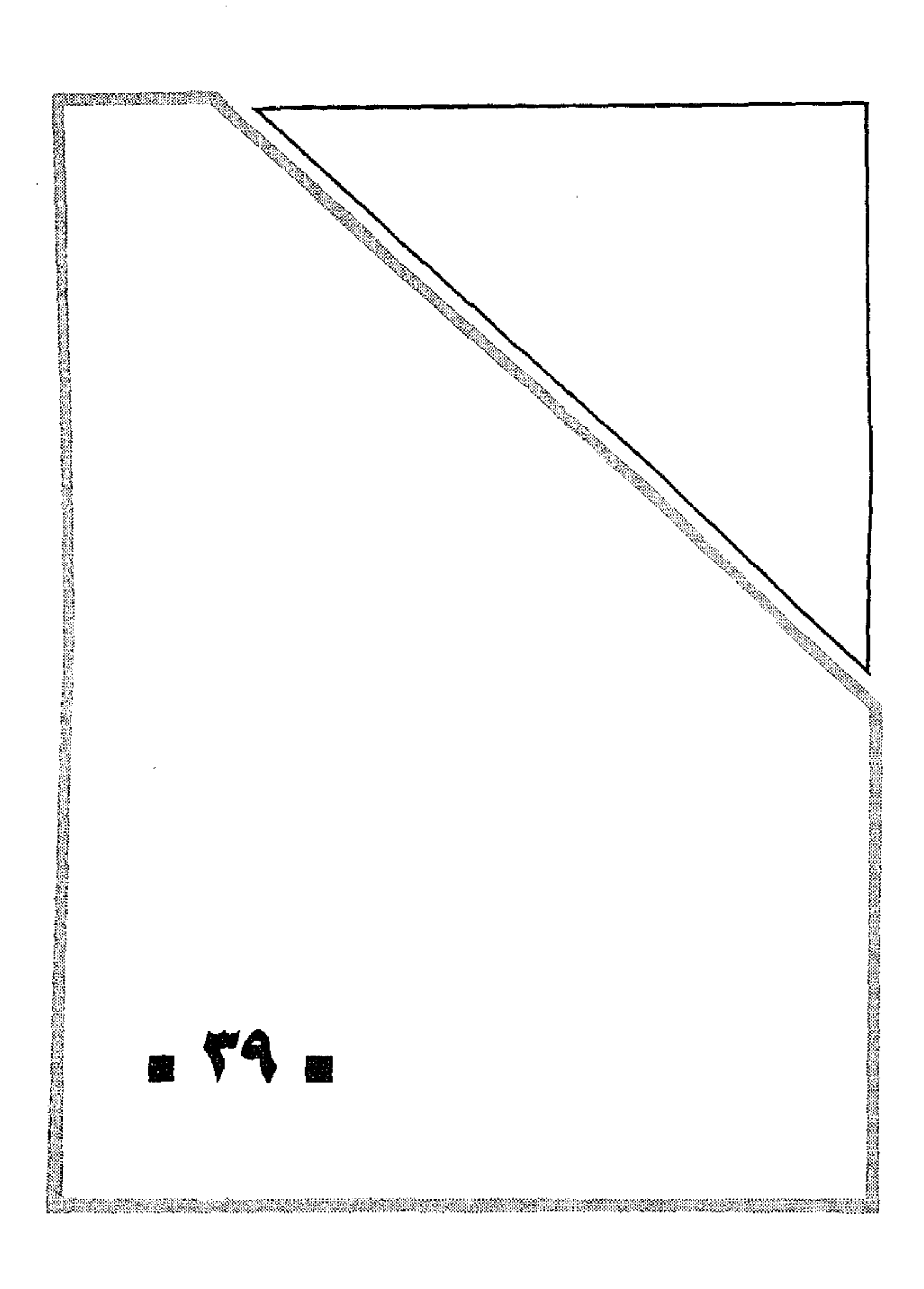
وبعد فترة بدت طويلة قال دغارمو بهدوء: لا أعرف ما الذي يجعلك تدّعي ذلك، فأنا لا أعرف شيئاً عن زوجة كينغسلي، ولا أعتقد انني رأيتها أبداً ـ أعني قبل الليلة الماضية.

أخفض جفنيه قليلاً ليراقبني، لأنه كان يعرف تماماً ماذا سأقول، وأنا قلت ما كان يتوقعه.

ـ وأنت لم ترها حتى في الليلة الماضية لأنها ماتت منذ أكثر من شهر، وقد انتشلت جثة هامدة في بحيرة فون الصغيرة. لأن السيدة

التي رأيتها مقتولة في الشقة في الغرانادا كانت ملدريد هافيلاند، وملدريد هافيلاند هي موريال تشيس. وبما ان السيدة كينغسلي قضت قبل فترة طويلة من موت لايفري فهذا يعني انها ليست هي القاتلة.

شدّ كينغسلي بقوة على ذراعي المقعد، لكنه لم يقل شيئاً، لم يقل شيئاً أبداً.


٣٩

فترة ثانية من الصمت العميق. كسرها باتون حين قال بصوته الهادىء والمتمهل: هذا استنتاج اعتباطي إلى حد ما، ألا تعتقد ان بيل تشيس يستطيع التعرف إلى زوجته؟

قلت: «ومن أين له ان يتبيّن ملامحها وقد مضى شهر عليها وهي في مياه البحيرة؟ بالإضافة إلى انها كانت ترتدي ملابس زوجته وتضع حليّها. وشعرها الأشقر يشبه شعر زوجته ووجهها مشوّه. ولماذا يشك في الأمر طالما انها تركت له رسالة يمكن تفسيرها على انها رغبة في الانتحار. كانا قد تشاجرا، وحين رجوعه إلى البيت لم يجدها، ولم يجد ملابسها أو سيارتها. وبعد شهر من رحيلها لم يعرف شيئاً عنها. لم تكن أية فكرة حول مكان اقامتها. وفي هذه الفترة برزت الجثة في قاع البحيرة وعليها ملابس موريال. سيدة شقراء تشبه زوجته بجسمها. بالطبع هناك علامات فارقة، ولو ان أحداً شك بعملية التبديل التي حصلت كان من الممكن العثور على هذه العلامات والتأكد منها. لكن الشك لم يتبادر إلى ذهن أحد لأن الجميع اعتقدوا ان كريستال كينغسلي لاتزال على قيد الحياة، وانها سافرت مع لايفري. تركت سيارتها في سان برناردينو وأرسلت إلى زوجها المزعوم برقية من آل باسّو. وهكذا لم يعد بيل تشيس يفكر

في أمرها، ولم تكن تشغل باله من الأصل، لأنها كانت بالنسبة له خارج إطار الصورة. وما الذي يجعله يضعها داخل هذا الإطار؟

قال باتون: كان يجدر بي أن أفكّر بذلك بنفسي. لكنني لو فعلت كنت سأطرد في الحال لأن تلك الفكرة بعيدة جداً.

قلت: أجل، تبدو كذلك ظاهرياً فقط. لنفترض ان الجثة لم تظهر تحت البحيرة إلَّا بعد سنة من اختفاء موريال، أو انها لم تظهر أبداً وهذا محتمل لأن أحداً لن يفتش قاع البحيرة بحثاً عنها، فالجميع يتصورون ان موريال تشيس رحلت ولن يكلف أحد نفسه بالبحث عنها حتى لو اختفت أخبارها تماماً. أما السيدة كينغسلي فلها وضع مختلف. إنها ثرية ولها علاقاتها، وزوج يقلق لغيابها. سيصار إلى البحث عنها، كما حدث فعلاً، وذلك بعد فترة من سفرها. ولن يتم ذلك في الحال إلَّا إذا حدث ما يثير الشكوك. وقد لا تتوصل عمليات البحث الجارية إلى معلومات حولها إلَّا بعد بضعة أشهر. وإذا توصلت التحريات إلى انها تركت بالفعل هذه المنطقة واستقلت القطار من سان برناردينو شرقاً. فقد لا يتم تفتيش البحيرة أبداً. ولنفترض انهم فتشوا البحيرة ووجدوا الجثة، فلن يكون هناك مجال للتعرف على الملامح كما يجب تعرفون ان بيل تشيس مسجون بتهمة قتل زوجته، وبذلك ينتهي موضوع الجثة. لكن كريستال كيغسلي لا تزال مفقودة، وهذا لغز لم يجد حلًّا بعيداً. أخيراً سيفترضون انها قضت في حادثة ما، لكن أحداً لن يستطيع ان يحدد المكان أو الزمان أو الطريقة. ولولا لايفري لما كنا الآن مجتمعين للتحدث في هذا الموضوع؟ لايفري هو مفتاح القضية كلها. كان في فندق بريسكوت في سان برناردينو في الليلة التي كانت تستقل سيارة كريستال كينغسلي

وتـرتدي مـلابسها، وكـان بالطبـع يعرف هـويتها. لكن وجـود موريال تشيس هناك لم يثر شكوكه، لأنـه على الأرجـح لم يكن يعرف انها ترتدي ملابس كريستـال كينغسلي وأن سيـارة هذه الأخيرة في المرآب. لم يعرف سوى انـه التقى بموريـال تشيس، وموريال عرفت كيف تدبر أمرها معه بعد ذلك.

سكت قليـلاً وانتظرت ان يبادر أحد الحاضرين بالكلام. لكن أحـداً منهم لم يفعـل. جلس باتـون صامتـاً في كرسيـه، ويداه المكتنزتان مطويتان على بطنه. وأسند كينغسلي رأسه وأغمض عينيه نصف إغمـاضة ولم تصدر عنه أية حركة. أما دغارمو فمال إلى الحـائـط قرب المدفأة، وكان مشدود الملامح وأبيض الوجه: رجل ضخم وكئيب ويجيد إخفاء ما يفكّر فيه.

تابعت الحديث.

ـ إذا كانت موريـال تشيس انتحلت شخصيـة كريستـال كينغسلي فهذا يعني انها قتلتها. هذا أمر بديهي. حسناً، فلنلق نظرة على هذا الأمـر. نحـن نعـرف من هي ونعـرف مميـزات شخصيتهـا. لقـد ارتكبت جريمـة قتـل قبل لقائها ببيل تشيس وزواجها منه. كانت ممرضة في عيادة الدكتور ألمور وصديقته في الوقت نفسه، وقتلت زوجة الدكتور بدقة بالغة، وحتى ألمور تستّر على جريمتها. وكان لها زوج سابق بين رجال شرطة مدينة باي، وكان هذا غبياً لدرجة انه تستّر على جريمتها بدوره. كانت تعرف كيف تفرض سيطرتها على الرجال وتجعلهم ينفذون ما تشاء. لم أعرفها مدة كافية لأعرف سبب تلك السيطرة، لكن تصرفاتها تثبت ذلك. والذي استطاعت ان تفعله بلايفري يثبت ذلك أيضاً. كانت تقتل الأشخـاص الذين يقفـون في طريقها. وزوجة كينغسلي وقفت في

طريقها. لم أكن أنوي الإشارة إلى ذلك، لكن الأمر لم يعد مهماً. كريستال كينغسلي كانت بدورها تجيد تطويع الرجال. لقد حملت بيل تشيس على تنفيذ رغبتها ولم تتقبل زوجة هذا الأخير الأمر بابتسامة. وموريال كانت في الوقت نفسه قد سئمت من الحياة في هذه المنطقة ـ لا شك في ذلك ـ وتريد الرحيل، لكنها بحاجة إلى المال، جربت الحصول عليه من ألمور، وهذا جعل دغارمو يصل إلى هنا بحثاً عنها. خافت لأن دغارمو من الأشخاص الذين يصعب الوثوق بتصرفاتهم. وكانت على حق في انها لم تضع ثقتها به، أليس كذلك يا دغارمو؟

حرّك رجله على الأرض وقال بتجهّم: الوقت ليس في صالحك يا عزيزي، تكلم طالما انك تستطيع ذلك.

ـ لم تكن ملدريد بحاجة إلى سيارة كريستال كينغسلي أو ملابسها أو حليها، لكن هذا لا ضرر منه. والمال الذي كانت تحمله كان بدون شك ذو فائدة كبيرة، وقد عرفت من كينغسلي ان زوجته كانت تفضل الاحتفاظ نقداً بمبلغ كبير من المال. وهي بالتأكيد كانت تقتني مجوهرات يمكن تحويلها لاحقاً إلى مال أيضاً. كل هذه الأمور جعلت من قتلها مسألة ضرورية ولا تخلو من المتعة. وبهذا نكون قد فهمنا الدافع. والآن سأتطرق إلى الفرصة الملائمة لتنفيذ الجريمة والوسائل التي استخدمتها لتحقيق غرضها.

خدمتها الظروف وجاءت الفرصة المناسبة حسب طلبها تماماً. كانت قد تشاجرت مع بيل الذي ترك البيت ليسكر مع رفاقه. كانت تعرف انه يدمن الشراب وأنه يشرب لفترة طويلة وهذا يعني انه لن يعود بسرعة، وهي كانت تحتاج إلى الوقت. فالوقت عنصر أساسي.

افترضت ان لديها الوقت الكافي، وإلاّ ما كانت لتباشر بأي عمل. جمعت ملابسها وأخذت الحقائب في السيارة إلى بحيرة كون، وخبأت كل شيء هناك. عادت مشياً على الأقدام. كان عليها ان تقتل كريستال كينغسلي وان تلبسها من ملابس موريال تشيس، ان تحملها إلى البحيرة. وكل هذا يحتاج إلى الوقت. وبالنسبة للجريمة نفسها أعتقد انها جعلتها تسكر أو ضربتها على رأسها ثم أغرقتها في حوض الحمام في الكوخ. هذا تصّرف معقول وبسيط ويسهل تنفيذه لأنها كانت ممرضة. وكانت تجيد السباحة ـ هذا ما قاله لنا بيل انها سبّاحة ماهرة. وبما ان الجثة تغرق لم يكن عليها سوى ان تجعلها تغرق في المكان الذي تختاره. ليس هذا صعباً على امرأة تعرف كيف تسبح. ونفّذت خطتها. ارتدت ملابس كريستال كينغسلي وأخذت منها ما تشاء ووضّبته في الحقائب، ثم صعدت في سيارة كريستال وغادرت المنطقة. وفي سان برناردينو التقت بالعقبة الأولى التي وقفت في طريقها، التقت بلايفري.

ـ لايفري كان يعرفها باسم موريال تشيس. وليس لدينا أي دليل أو سبب لنفترض انه كان يعرفها بهوية مختلفة. التقى بها هنا من قبل، وكان على الأرجح في طريقه إلى هنا حين التقى بها في الفندق. وهي لم تكن تريده ان يصل إلى الكوخ لأنه سيجده مغلقاً، وقد يتحدث مع بيل بشأنها ومن ضمن خطتها ان لا تدع بيل يتأكد من انها تركت منطقة بحيرة فون، لأنها تريده ان يتعرّف على الجثة في حال العثور عليها، ويقول إنها جثة زوجته. لذلك حاولت رمي شباكها حول لايفري، ولم يكن هذا صعباً عليها، كما اننا نعرف جيداً ان لايفري لا يضيع وقته إذا سنحت له فرصة اللقاء بإمرأة جديدة. هو لا يرغب إلاّ في جمع أكبر عدد منهن حوله. وكان هدفاً

سهلاً بالنسبة لامرأة مثل ملدريد هافيلاند. وهكذا تمكّنت منه واصطحبته معها. أخذته إلى آل باسّو ومن هناك أرسلت برقية لم يكن يعرف عنها شيئاً. أخيراً تركته يعود إلى مدينة باي. أراد الرجوع إلى بيته، وهي لا تريده ان يكون بعيداً عنها لأنه المصدر الوحيد الذي يشكّل خطراً عليها. لايفري هو الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يدحض جميع الاحتمالات بأن تكون كريستال كينغسلي قد غادرت كوخها في بحيرة فون. وحين بدأ البحث عن كريستال كينغسلي ووصلت التحريات إلى لايفري لم تعد حياته تساوي شيئاً بالنسبة لها. إجاباته السلبية قد لا يصدقها أحد، كما حدث فعلاً، لكنه عندما يروي القصة بكاملها قد يكون صادقاً ويمكن التأكد مما يقوله. وهكذا عندما بدأت التحريات وُجد لايفري مقتولاً في غرفة الحمام، مساء اليوم الذي استجوبته فيه. هذا كل ما في الأمر، ويبقى السؤال المطروح حول سبب رجوعها إلى بيت لايفري صباح اليوم التالي. هذا تصّرف يقوم به المجرمون عادة. ادعت انه أخذ ما كانت تحمل من المال، لكنني لم أصدقها. أعتقد انها على الأرجح كانت تنوي الحصول على ما لديه هو من مال، أو انها تريد إلقاء نظرة على المكان والتأكد من ان كل شيء كما تريد، أو ان الأمر كان كما قالت، لكي تأخذ الحليب والجريدة عن عتبة الباب. كل شيء ممكن. رجعت إلى مكان الجريمة وأنا التقيت بها هناك فمثلت عليَّ دوراً ناجحاً وتركتني مرتبكاً لا أعرف ماذا أفعل.

قال باتون: من الذي قتلها يا بني؟ لا أعتقد انك توجّه التهمة إلى كينغسلي؟

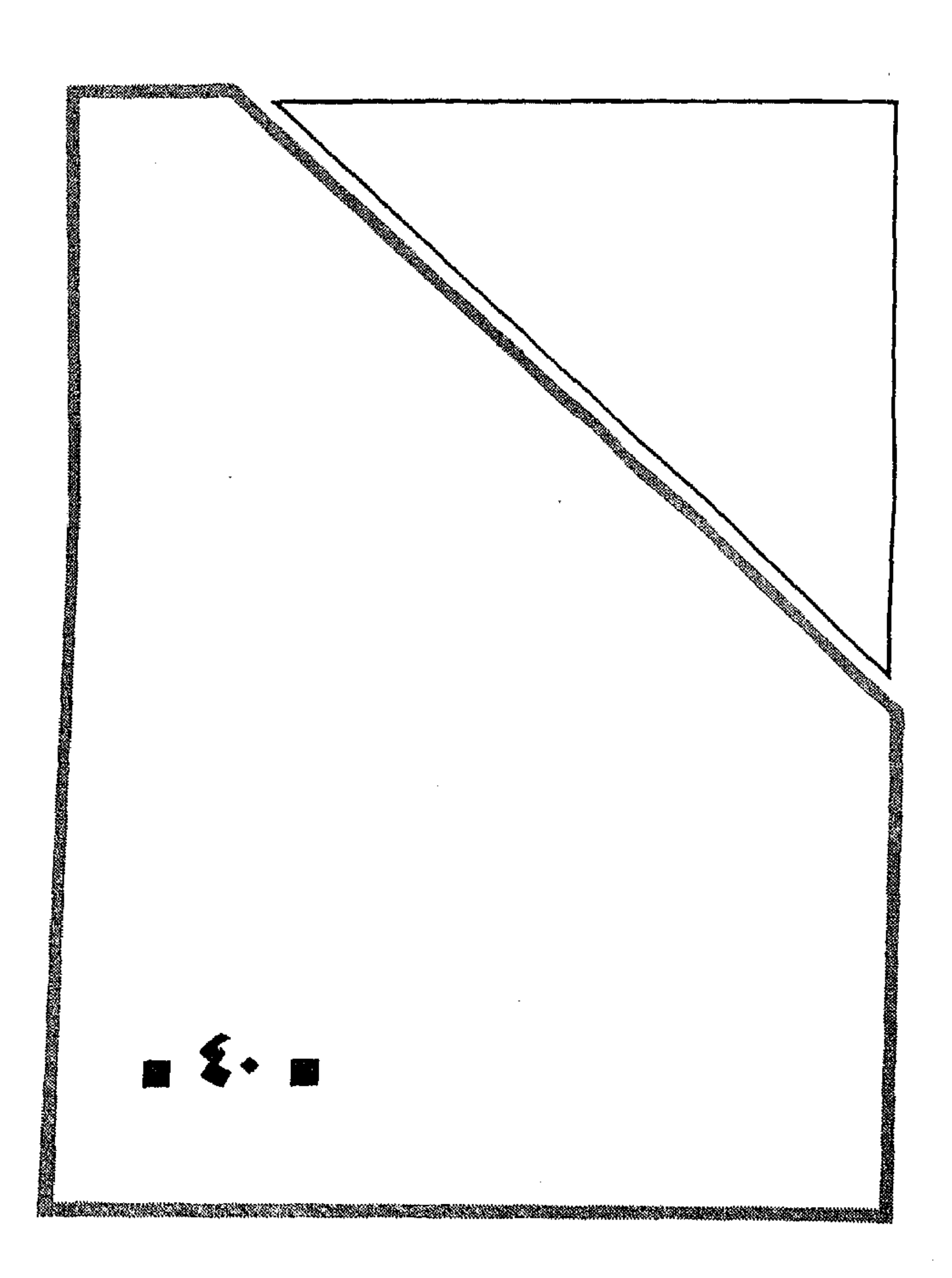
نظرت إلى كينغسلي وقلت: لقد قلت انك لم تتكلّم معها على الهاتف، فهل اقتنعت الآنسة فرومسيت بأنها تتحدّث إلى زوجتك؟

هزّ كينغسلي رأسه وقال: أشك في ذلك، لأنه من الصعب جداً خداعها. قالت لي انها شعرت بأن زوجتي تغيّرت كثيراً وصارت لطيفة. لم تنتابني الشكوك في ذلك الحين. ولم أفكر في الأمر إلّا بعد مجيئي إلى الكوخ. شعرت أن شيئاً ما حصل. كان البيت مرتباً ونظيفاً وموضّباً تماماً، وكريستال لم تكن تترك البيت بهذه الصورة. كانت ستلقي ثيابها في أرجاء غرفة النوم، وترمي بأعقاب السجائر في كل مكان، وسيكون المطبخ ممتلئاً بالزجاجات الفارغة والكؤوس المتسخة. وكنت سأجد أطباقاً وسخة ونملاً وذباباً. فكّرت ان زوجة بيل نظّفت المكان، ثم تذكرت انها بالتأكيد لم تفعل ذلك في ذلك اليوم. كانت تتشاجر مع زوجها، الذي قتلها بعد ذلك، أو انها انتحرت. فكّرت في جميع هذه الملابسات وبأسلوب غير واضح، ولا أقول انني تمكنت من التوصّل إلى أي حل.

نهض باتون من كرسيه وخرج إلى الشرفة، وعاد وهو يمسح شفتيه بمنديله، ثم جلس ثانية وارتاح على جنبه الأيسر لأنه كان يحمل حزام المسدس على الجنب الآخر نظر إلى دغارمو وهو يفكر. دغارمو وقف يسند ظهره إلى الحائط، وبدا قاسياً ومتصلباً كأنه رجل من حجر، وراح يطوي أصابع يده اليمنى.

قال باتون: لم تقل لنا بعد مَن الذي قتل موريال. هل هذا جزء من العرض، أم انك لاتزال تحتاج إلى مزيد من التحريات؟

قلت: الذي قتلها هو شخص كان مقتنعاً بأنها تستحق القتل، شخص أحبها وكرهها في الوقت نفسه، شرطي يدينها لما ارتكبت من جرائم، لكنه ليس نزيهاً بالقدر الذي يحمله على تسليمها للسلطة للكشف عن الحقيقة. شخص مثل دغارمو.


٤٠

ابتعد دغارمو عن الحائط وابتسم بكآبة. قام بحركة مفاجئة بيده اليمنى واستلّ مسدسه. كان معصم يده رخواً مما جعل فوهة المسدس مصوّبة نحو الأرض. قال دون ان يلتفت نحوي:

ـ لا أعتقد ان معك مسدساً. باتون معه مسدس لكنني لا أعتقد انه سيتمكن من تناوله بالسرعة المطلوبة. ربما لديه دليل على ادعائك الأخير. أم ان هذا ليس مهماً لكي تشغل بالك به؟

ـ إنه دليل بسيط، لكنه سيزداد أهمية. في الشقة في بناية الغرانادا وقف شخص خلف الستارة الخضراء لأكثر من نصف ساعة، ولزم مكانه بسكون تام، لا يجيده إلّا رجل شرطة تدرّب على المراقبة والإنتظار قبل الانقضاض على المجرمين. شخص معه هراوة وعرف انني تلقيت ضربة بدون ان ينظر إلى مؤخرة رأسي. أنت أخبرت الشرطي الصغير بذلك، هل تذكر؟ شخص كان يعرف ان القتيلة ضُربت بهراوة أيضاً، مع ان علامات الضرب لم تكن واضحة، ولم يكن لديه وقت كافٍ ليتفحص الجثة للعثور عليها. شخص عرّى القتيلة وترك أظافره تحفر خطوطاً على جلدها بكراهية كما يحقد أي ساديّ على امرأة حولت حياته إلى جحيم. شخص

تحت أظافر يده قطع جلد ودماء لاتزال موجودة الآن، وبكمية تكفي لكي يجري عليها المختبر الفحوصات اللازمة. أراهن بأنك لن تترك باتون يتفحص أظافر يدك اليمنى يا دغارمو .

رفع دغارمو المسدس قليلاً، وعلت وجهه ابتسامة ماكرة وعريضة. وسألني: ومن أين لي ان أعرف عنوان شقتها؟

ـ ألمور رآها خارجة من بيت لايفري، أو داخلة إليه، فتوترت أعصابه، وحين رآني جالساً في سيارتي قبالة بيته تضايق واتصل بك. أما كيف تتبعتها إلى شقتها فإنني لا أستطيع ان أعرف ذلك تماماً. بالرغم من ان الأمر ليس صعباً. ربما اختبأت في بيت ألمور ثم تبعتها، أو تبعت لايفري. هذا يدخل في إطار العمل الروتيني بالنسبة لشرطيّ مثلك.

أحنى دغارمو رأسه وظل صامتاً لفترة وهو يفكّر كان متجهم الملامح لكن التماعة عينيه الزرقاوين توحي بأنه يستمتع بالموقف ويعتبره تسلية. كانت الغرفة حارة ومثقلة بجو كارثي وصل إلى حده. إلاّ ان دغارمو كما يبدو كان أقل واحد منا يشعر بذلك.

قال أخيراً: سأرحل عن هذه المنطقة، لن أذهب بعيداً، لكنني لن أدع أي شرطي يضع يده على كتفي. هل هناك اعتراض؟

قال باتون بهدوء: هذا غير ممكن، يا بني. تعرف جيداً انني يجب ان ألقي القبض عليك، مع اننا لا نملك الإثباتات الكافية فإنني لا أستطيع ان أتركك حرّاً.

ـ لك بطن جميل وسمين يا باتون. وأنا ماهر في إطلاق النار. كيف تتخيّل انك ستتمكن من إلقاء القبض عليّ؟

قال باتون وهو يعبث بخصلات شعره البارزة من تحت قبعته: إنني أفكّر في الأمر، ولا أظن انني توصلت إلى حل. لا أريد رؤية فراغات في بطني، وفي الوقت نفسه لن أسمح لك بأن تسخر مني في مقاطعتي.

قلت: دعه يذهب. لن يستطيع الخروج من هذه الجبال. لهذا السبب أحضرته إلى هنا.

ردّ باتـون بهدوء: أي شخص يحاول الاقتراب منه سيصاب بالأذى، وهذا لا يجوز، لذلك لن أترك أحداً غيري يفعل ذلك.

ابتسم دغـارمو وقال: أنت رجل طيب القلب يا باتون، اسمع سوف أعيد المسدس إلى الحزام ونبدأ العراك بأظافرنا، فأنا أجيد هذا النوع أيضاً.

أعاد المسدس إلى الحزام ووقف ينتظر فيما كان باتون يمضغ بهدوء وعيناه تحدّقان في عيني دغارمو.

قال متذمراً: لست سريع الحركة مثلك، لكنني أرفض ان أكون جباناً. ونظر إليّ بكآبة وقال. ما الذي جعلك تأتي به إلى هنا؟ ليس لي علاقة بما حدث. والآن أنظر إلى الورطة التي وضعتني فيها.

بدا متضايقاً ومرتبكاً وضعيفاً إلى حد ما.

أرجع دغارمو رأسه قليلاً إلى الخلف وضحك. وفيما كان يضحك امتدت يده ليستلّ مسدسه مرة ثانية.

لم أر باتون يتحرك، لكن أرجاء الغرفة اهتزت من صوت مسدسه.

انتفضت يد دغارمو إلى الأعلى وأفلت منها مسدس سميث اند

ويسون الثقيل وارتطم بالحائط الخشبي خلفه. هزّ يده اليمنى التي فقد الإحساس بها، ونظر إليها بذهول.

وقف باتون ومشى ببطء عبر الغرفة ورفس المسدس ليدخله تحت المقعد. نظر إلى دغارمو بحزن، فيما كان هذا يعالج جرحاً صغيراً في إصبعه.

قال له بجدية: أنت أعطيتني فرصة، ولا يجدر بك أبداً ان تعطي رجلاً مثلي فرصة للتحرك. إنني أجيد التصويب بمسدسي منذ سنين عديدة، قبل ولادتك يا بني.

أحنى دغارمو رأسه وانطلق نحو الباب.

قال له باتون بهدوء: لا تفعل ذلك!

لم يرد عليه دغارمو، وصل إلى الباب ودفع باب الشريط ليفتحه. استدار لينظر إلى باتون وكان وجهه شاحباً جداً.

قال: إنني خارج وليس أمامك سوى طريقة واحدة لتمنعني. إلى اللقاء أيها السمين.

لم يتحرك باتون.

خرج دغارمو من الباب ومشى بخطوات ثقيلة على الشرفة وهو ينزل السلم. توجهت نحو النافذة لأراه. باتون لم يتحرك، ورأيت دغارمو يصل إلى الجسر الصغير، فقلت:

- إنه يجتاز الجسر، هل يحمل آندي مسدساً؟

رد باتون بدون انفعال: لا أعتقد انه يستخدم سلاحه حتى لو كان يحمله، لأنه لا يعرف انه يجب عليه ان يفعل ذلك.

قلت: اللعنة.

تنهد باتون: ما كان يجب ان يعطيني فرصة كهذه. لقد أخافني وشعرت بالرغبة في معاملته بالمثل. إنه ضعيف على ما يبدو وهذا لا يفيده.

ـ إنه مجرم.

ـ ليس مجرماً من النوع الذي صنّفته فيه. هل سيارتك مقفلة .

أحنيت رأسي وقلت: آنـدي يتقدم نحوه من الجهة الثانية من الجسر. ودغارمو أوقفه ويتحدث إليه.

قال باتون بانزعاج: ربما سيأخذ سيارة آندي.

قلت ثانية: اللعنة.

نظرت إلى كينغسلي الذي أحاط رأسه بيديه وجلس يحدّق في أرض الغرفة. استدرت نحو النافذة وكان دغارمو اختفى خلف التلة. آندي كان لا يزال يقطع الجسر بخطوات بطيئة ويلتفت من حين لآخر إلى الوراء. سمعنا صوت محرك سيارة. نظر آندي إلى الكوخ ثم استدار وبدأ يركض في الاتجاه المعاكس.

ابتعد صوت السيارة، وبعدما اختفى تماماً قال باتون: حسناً، أعتقد انه من الأفضل لنا ان نعود إلى المركز ونجري بعض الإتصالات الهاتفية.

وقف كينغسلي فجأة وتوجّه نحو المطبخ وعاد يحمل بيده زجاجة من الشراب. ملأ لنفسه كأساً وشربها جرعة واحدة. لوّح بيده وخرج متثاقلاً إلى غرفة نومه حيث ألقى بنفسه على سريره.

خرجت مع باتون بهدوء من الكوخ.

■ ٤١ ■

كان باتون قد أجرى عدة اتصالات لوضع حواجز على الطرقات، حين وصلته مخابرة من الرقيب المسؤول عن حراسة جسر بحيرة بوما. خرجنا مباشرة من المركز واستقلينا سيارة باتون التي تولّى آندي قيادتها بسرعة كبيرة عبر القرية وعلى ضفاف البحيرة للوصول إلى الجسر الكبير. لوّح لنا الرقيب بيده وكان ينتظرنا في سيارته الجيب. قرب مركز القيادة.

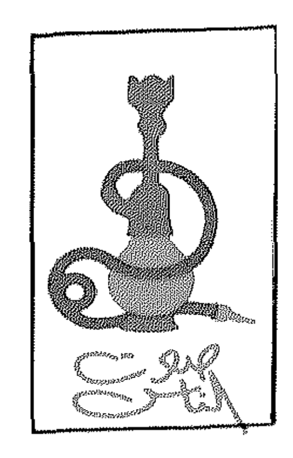
انطلق الرقيب بسيارته وتبعناه حوالى مئتي قدم على الطريق العام حيث توقفت مجموعة من الجنود عند حافة الوادي السحيق ينظرون إلى الأسفل. عدة سيارات توقفت في المكان، ومجموعة من الأشخاص وقفوا بجانب الجنود. ترجّل الرقيب من سيارته وترجلنا بدورنا ومشينا نحوه.

قال الرقيب: هناك رجل رفض التوقّف حين طلب منه الحارس ذلك. وأضاف بنبرة مريرة. انطلق بسرعة مذهلة فرمى الحارس إلى جانب الطريق، والحارس الآخر في وسط الجسر قفز في الماء لكي لا يدوسه، أما الحارس عند هذا الطرف فابتعد عن الطريق وأمره بالوقوف، لكن الرجل واصل تقدمه.

تأمل الرقيب الوادي العميق وقال: الحراس لديهم الأوامر بإطلاق النار في مثل هذه الحالة. والحارس الأخير أطلق النار على الرجل.

وأشار إلى أخدود في جانب المنحدر وقال: سقط من هنا.

على عمق مئة قدم في أسفل الوادي رأينا سيارة كُوبية صغيرة محطَّمة بجانب صخرة صوّانية ضخمة. كانت منقلبة تقريباً، وكان هناك ثلاثة رجال يعملون على تحريكها لينتشلوا من الركام بقايا رجل.



قال كينغسلي للمحقق مارلو، لا تعجبني تصرفاتك فاجابه على الفور، انا لا اعرضها للبيع!
ولكن كينغسلي، وهو تاجر عطور ثري استاجر خدمات مارلو لكي يتقصى له عن مصير زوجته التي اختفت في ظروف غامضة.
لا يريد كينغسلي من مارلو ان يعيد اليه زوجته ولكنه طلب اليه البحث عن مصيرها وقد نجح المحقق مارلو في مهمته عندما عثر على امراة ثرية لعوب تهوى النشل من المخازن وتدمن الشراب.



1855131641